فضل العرب
والتنبيه على علومها

لأبي محمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة

تقديم وتحقيق

د . وليد محمود خالص

جامعة البنات الأردنية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الطبعة الأولى

1998

منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

ابوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ ص. ب ٢٣٨٠ ـ هاتف : ٢١٥٣٠٠

ABU DHABI - U . A . E . - P .O. BOX : 2380 - TEL. 215300 Cultural Foundation
http:// WWW. Cultural. org.ae

فضل العرب

والتنبيه على علومها

٨١٠ر٨
ق ت ف ض
ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم، ٢١٣ – ٢٧٦ هـ.
فضل العرب والتنبيه على علومها/ لابن قتيبة الدينوري؛
تقديم وتحقيق وليد محمود خالص. – ط ١. –
ابوظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٨.
٢٦٨ ص ، ٢٤ سم.
ببليوجرافية: ص ٢٥٥ – ٢٦٨.
يشتمل على كشافات.
١ – الحضارة العربية. ٢ – الادب العربي – مختارات. ٣ – الاخلاق
الاسلامية. ٤ – العلوم عند العرب. ٥ – العالم العربي – تاريخ.
أ – وليد خالص، محقق. ب – العنوان.

التنفيذ الداخلي: عادل يونس　　تصميم الغلاف: علي الجاك
إشراف: عبد الوهاب احمد تاج الدين

المحتويات

قال أبو محمد : «وقد كنتُ في عنفوان الشباب وتطلُّب الآداب أحبُّ أن أتعلَّقَ من كلِّ علمٍ بسبب ، وأن أضربَ فيه بسهم» .

تأويل مختلف الحديث ص ٦١

وقال أيضاً : «وما أبرأ إليكَ بعدُ من العثرة والزلّة ، وما أستغني منكَ إن وقفتَ على شيء من التنبيه والدلالة ، ولا أستنكفُ من الرجوع إلى الصواب عن الغَلط ، فإنَّ هذا الفنَّ لطيفٌ خفيٌّ ، وابنُ آدمَ إلى العجزِ والضعفِ ، والعَجلة وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم» .

الأنواء ، ص ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كان من حقّ هذا الكتاب أن يرى النورَ كاملاً منذ أمد بعيد ، محققاً ومطبوعاً لسببين أراهما وجيهين : أولهما إنَّ الاهتمام بكتب ابنِ قتيبةَ ، ونشرَها بدأ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فمنذ أن نَشَرَ وستنفلد كتابَ (المعارف) سنة ١٨٥٠ ميلادية ، والعنايةُ بابنِ قتيبةَ تزدادُ ، وتوجَّهُ له الأنظارُ ، فتبدأ كتبهُ الأخرى في الصدور تباعاً بنشراتِ علمية تارةً ، ونشرات تجارية تارةً أخرى ، ويرافقُ هذا النشرَ تصويرُ بعضِ من كتبه لتكونَ سهلةً ميسورةً بين أيدي الباحثين ، والقراء ، غير أنَّ هذا الكتابَ الذي عملنا على تحقيقه لا يجدُ من المحقّقين ، والدارسين سوى الصدود والإعراض ، ولم نجدْ وقتَها سبباً مقنعاً يفسّرُ ذلك الصدود ، ويكشف سرَّ ذلك الإعراض ، لكنَّ الاستغراقَ في العملِ كشفَ أشياءَ . وثانيهما إنَّ هذا الكتابَ معروفٌ للدارسين : دارسي ابن قتيبة خاصة ، والباحثين في الشعوبية عامَّة ، وقد نشرتْ مجلة (المقتبس) قطعةً منه في العددين الحادي عشر ، والثاني عشر سنة ١٩٠٩ ميلادية ، وأعاد الأستاذ محمد كرد علي عليه رحمة الله نشرَ تلك القطعة نفسها في كتابه (رسائل البلغاء) ، فإن كانتْ مجلةُ (المقتبس) عزيزةَ الوجودِ ، صعبةَ المنالَ : لقدمها ، وقلّة ما طُبع منها فلا تصلُ إليها اليدُ بسهولة ، أقول إذا كان الأمرَ كذلك (فرسائل البلغاء) شائعٌ بين الناس ، كثيرُ التداول ، مطبوعٌ غيرَ مرَّة ، يضافُ إلى هذا أمرٌ جديرٌ بالذكر ، وهو إنَّ النسخة الوحيدة التي تملكُها دارُ الكتب المصرية من هذا الكتابِ مثبتةٌ في فهرسِ الكتبِ العربيةِ الموجودة بالدارِ لغاية

آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية ، وصدرَ هذا الفهرسُ سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وهو ذائعٌ بين الدارسين تحتفظُ بنسخ منه المكتباتُ العامة ، كما تعرفُه بعضُ خزائن الكتب الخاصة ، ومع هذا كلِّه يعزفُ المحقّقون عنه ، فلم نسمعْ أنَّ أحداً نَهَدَ إلى تحقيقه ، ونشره ، واكتفى الدارسون بتلك القطعة من الكتاب التي نشرها المرحومَ الأستاذ كرد علي ، فهل لهذا من تفسير؟ لَعلَّ التفسيرَ الوحيدَ الذي يحلُّ هذا الإشكال يكمنُ في النسخة الوحيدة من المخطوط في دار الكتب تلك التي أشرنا إليها سابقاً ، فهي كما ورد في فهرس كتب الدار : «بها تقطيع كثير وأكل أرضة . . . . ناقصة من الأول»[1] ، ولا مفرَّ من أن تكونَ هذه النسخةُ معتمدَ مَنْ يتصدَّى لتحقيق الكتاب ، وهو أمرٌ دونَه صعوباتٌ شتّى ، أو كما تقول العرب : دونَه خَرْطُ القتاد بسبب رداءة تلك النسخة ، وصعوبة القراءة فيها ، ناهيك عن البتر الذي أصابَها .

وحين أقدمَ كاتبُ هذه السطور على تحقيق هذا الكتاب كانت أمامه ثلاثةُ طرق ، أولها أن يتركَ العملَ كلَّه ، ويعتزلَ المخطوطَ أُسوةً بغيره من (المعتزلة) ، ويختارَ مخطوطاً آخرَ أصغرَ حجماً ، وأكثرَ وضوحاً ، وأقلَّ مؤونةً ، قد سَلِمَ من تلك النواقص ، وبريء من هاتيك العيوب ، فيذيعه على الناس ، وليظلَّ مخطوطُ ابن قتيبة قابعاً في مكانه ينتظر وينتظر .

وثاني هذه الطرق يتلّخص في أن يعمدَ إلى هذا المخطوط نفسه فينشره كما هو عليه بلا جهد مضاعف ، أو محاولات في التجويد ، يساعده على هذا ، النسخةُ نفسُها ، فهو يذيعها بخيرها وشرِّها ، وربَّما زاد قليلاً فتحدَّث عن (النقل الحرفي) و (الأمانة العلمية) ، ولو فعل ذلك لما لامه أحدٌ ، فهو يقدِّمُ نصّاً وجده كما هو ، وإن أسعفت الأيامُ – وقليلاً ما تسعف – بنسخة ثانية أعادَ

---

(١) فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ، ٣/ ٢٧٢ .

النشرَ كرَّةً أخرى معتمداً عليها ، ومقابلاً بينها وبين نسخة الدار هذه التي بين يديه ، فليقدّم الوعودَ ، ويمنّي النفسَ والآخرين ، ولكن هيهات .

أمّا الطريقُ الأخير ، وهو الثالث ، فشاقٌّ صعبٌ ، محفوفٌ بالمكاره ، تبدو معالمُه في أن يقومَ هو نفسه بـ (ترميم) النسخة الوحيدة ، وإعادة بنائها ، وخاصّةً في النصوص التي يستشهدُ بها ابن قتيبة ، وهذا يقتضيه قراءةُ عشرات من المصادر قراءةً متأنّية ، غيرَ مكتفٍ بـ (التقليب) أو (الكشف في الفهارس) ، فهذا لا يحقّقُ غرضَه ، إذ القضيةُ برمّتها أشبهُ ما تكون بالبحث عن إبرة وسطَ كومٍ كبير من القشّ ، فربّما يجدها وربّما يخفق ، وقد ظفر بالإبرة مرّات ، وأخفقَ في العثور عليها أخرى ، غير أنَّ لذّةَ الاكتشاف أعانته ، وقدّمت له أياديَ بيضاءَ جدّدتْ همّته ، وشحذت عزيمته ، غير مبالٍ بتعبٍ ، أو آبهٍ بجهد ، ومكّنته من سدّ كثيرٍ من الفجواتِ ، وإصلاحِ مواضعَ من الخلل ، ورأبِ الصدعِ في كثيرٍ من الأماكن .

هذه هي الطرق التي كانت أمام كاتبِ هذه السطور ، وهو يضربُ الأمرَ ظهراً لبطنٍ في انتقاء أحدها ، والاستقرار عليه . فماذا يفعل؟ تبيّن ممّا سبق أنّه اختارَ أصعبَها ، وهوَ الأخير ، ولذلك طالَ العملُ عنده ، واستغرق زمناً زاد على ستّ سنوات ، وجهداً لا يعرفُه إلاّ مَنْ كابَدَ الشوقَ في قراءة المصادر ، والتفرّغ لها . وهو يحتسبُ ذلك كلّه عنده وحده سبحانه ، فهو تبارك اسمُه القادرُ على الجزاء ، غير أنّه بعد ذلك كلّه استطاعَ أن يقدِّمَ كتابَ ابن قتيبةَ - إلاّ في مواضعَ قليلة - بحلّة تليقُ به ، وهو أهلٌ لها ، جديرٌ بها ، فمكانةُ ابن قتيبة في تراثنا العربي ، والموضوعُ الذي يعالجهُ أظهرُ من أن تُقدَّم البراهينُ على اهمّيتها وخطورتها .

هذا ما وقعَ ، بَسَطتُه بين أيدي القراء ، لعلَّ فيه توضيحاً وبياناً ، وفي مقدمة

التحقيق فَضْلُ مزيدٍ يكشفُ خافياً ، ويبّين مستتراً ، وآخر دعوانا أن الحمدُ للّه ربِّ العالَمين .

وليد محمود خالص

مقدّمة التحقيق

ابن قتيبة الدينوري ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد المتوفّى سنة ٢٧٦ للهجرة ، علمٌ من أعلام تراثنا العربي ، يلمسُ المدقّقُ في سيرته [١] إخلاصاً نادراً للعلم ، وصبراً عجيباً عليه ، وحرْصاً فائقاً على نشره ، فهو طيلةَ حياته بين طلب ، وتدريس ، وتأليف ، وافتاء ممّا يتطلّبُ ذهناً وقّاداً ، وسعةً في العلم لم ينَلْها إلّا القليل ، وهو من النوادر أيضاً ، أولئك الذين كثُرتْ تآليفهم ، وغزُرَ انتاجُهم ، وتنوّعت المعارفُ بين دفّتي تلك التآليف ، ممّا منحها مذاقاً خاصاً ، وأسلوباً متميزاً اصطنعه ابنُ قتيبةَ لنفسه ، واختطّه منهجاً لها ، فهو يحشدُ معارفَ متباعدةً في موضع واحد توضيحاً لما يعالجه من قضايا ممّا يقوّي رأيَه ، ويدعمه ، غير أنَّ هذا الذي يتميّز به يُتْعبُ محقّقَ كتبه في الوقت ذاته ، ويجعلُه يلاحقُ تلك المعارف في مصادرَ مختلفة ، ومظان متنوعة ، ربّما يظفر ببعضها أحياناً ، ويرجعُ بالخيبة أحياناً أخرى ، وهو يذكّرنا بمعاصره الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة على اختلاف جوهري بينهما في مسائلَ أساسية ، ورحم اللهُ المحقّق الجليل الأستاذ عبدالسلام هارون الذي وهبَ الجاحظَ وكتبه من عمرهِ النصيبَ الأوفر ، فأخرج نفائسَه ونَشَر أعلاقَه مختلطةً

(١) تحفل المكتبة العربية بكتب ودراسات كثيرة عن سيرة ابن قتيبة ، وكتبه ، وجوانبه العلمية ، ولذلك وجدنا من فضول القول وتطويله أن نعمد إلى كتابة شيء عن سيرته مرّة أخرى ، ولذلك نحيل هنا على أربعة كتب فصّلت الحديثَ عنه تفصيلاً وافياً ، ورسمت صورة متكاملة منه ، فلأصحابها الفضلُ في تلك الأيدي التي أسدوها تنويراً لحياة ابن قتيبة ، وخدمة لتراثه ، وهي : ابن قتيبة . د . إسحق موسى الحسيني ، وابن قتيبة العالم الناقد الأديب ، د . عبد الحميد سند الجندي ، وابن قتيبة ، د . محمد زغلول سلام ، وابن قتيبة والشعوبية ، د . عبد الله الجبوري ، عدا المقالات والدراسات الأخرى عن حياته ، وكتبه .

بجهده ، ممزوجةً بصبره وإصراره ، ولم يكن لينهضَ بذلك العبء الضخم سوى خبير متمرّس ، متبحّر في التراث العربي مثل الأستاذ هارون تغمّده الله برحمته .

وكانت كتبُ ابن قتيبةَ ، وتآليفُه مورداً عذباً نَهَلَ منه الدارسون منذ وقت مبكر في حياته ، وتواصلَ هذا الاهتمامُ بعد وفاته ، فابنهُ أحمد مثلاً كان يحدِّثُ بكتب أبيه ، ويحفظها كما يحفظُ القرآن [1] . ونوَّهتْ كتبُ التراجم بتلك الكتبَ ، وقرنت شهرتُه بها ، فابن النديم (توفي ٤٣٤ للهجرة) يقول : «هو كثيرُ التصنيف والتأليف ، وكتبُه مرغوبٌ بها في الجبل» [2] ، ويقول الخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣ للهجرة) إنّه «صاحبُ التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة» ، [3] وهو أيضاً «صاحبُ التصانيف الحسان في فنون العلوم» [4] ، و «له تصانيفُ كلّها مفيدة» [5] ، فهو إذن صاحبُ التصانيف عُرف بهذا ، وصارت تلك التصانيفُ عَلَماً عليه حتى أنّنا نقرأ قولَ أهل المغرب بشيء من العجب ، وهو : «كلُّ بيت ليس فيه من تصنيفه شيء لا خيرَ فيه» [7] ، إذ اختلط العلمُ في تلك التصانيفَ بأشياءَ من التقوى ، والبركة ، وهو ما كان يحرص عليه الكثيرُ ، العلمُ مقترناً بالدين .

وما تزال هذه الكتبُ إلى يوم الناس هذا ، مفزعَ الدارسين ، وملجأ الباحثين وهم يجولون في أنحاء التراث العربي ، يستنطقون نُصوصَه ، ويفيدون من كنوزه في شتّى أبواب الثقافة العربية الاسلامية ، ولا نرى داعياً يدعو للحديث

(١) ينظر ترتيب المدارك ، ٥/ ٢٧٣ ، والولاة والقضاة ، ص ٤٨٥ .

(٢) الفهرست ، ص ١١٥ .

(٣) تاريخ بغداد ، ١٠/ ١٧٠ .

(٤) إنباه الرواة ، ٢/ ١٤٣ .

(٥) مرآة الجنان ، ٢/ ١٩١ ، وروضات الجنات ، ٥/ ١٠٥ .

(٦) ينظر الأنساب ، ١٠/ ٦٣ ، والوافي بالوفيات ، ١٧/ ٦٠٧ ، وتهذيب الأسماء ، ٢/ ٢٨١ .

(٧) تفسير سورة الاخلاص ، ص ٨٦ .

عن هذه الكتب إذ فصَّلت المصادرُ ، والمراجع [1] التي سبقتنا الحديثَ عنها ، غير أنَّنا نقف عند كتابنا هذا الذي حققّناه فنكسرَ الحديث عنه على أربعة محاورَ هي :

عنوان الكتاب – نسبته إلى ابن قتيبة – وصف المخطوط والمطبوع – عملنا في الكتاب .

– ٢ –

تواجه الدارسَ هنا مشكلةٌ حقيقية هي عنوانُ الكتاب ، إذ يَردُ بصورة مختلفة في المصادر التي ترجمت لابن قتيبة ، أو ذكرت كتبَه ، كما إنَّ ابنَ قتيبةَ نفسَه – كعادته في الإحالة على كتبه – يشير إلى هذا الكتاب مستخدماً عنوانين مختلفين ، فنراه يقول : «وما جاء في الشعر كثير ، وقد أفردتُ للشعراء كتاباً[2] ، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب» ، [3] ويقول أيضاً : « . . . غير أنّي رأيتُ ما ذكرتُ من ذلك في كتاب العرب كثيراً كافياً» [4] ، ويقول : «وقد أودعتُ كتابَ العرب في الشعر أشياءَ من هذا الفنِّ ، ومن غيره ستراها هناك مجموعة كافية» [5] ، فهو يسمّيه (كتاب العرب) في النصوص السابقة ، غير أنّه يعود مرّةً أخرى ليذكرَه باسم مغاير لذلك العنوان السابق في كتابه (غريب الحديث) فيقول : «وقد ذكرتُ هذا وأشباهَه في كتاب فضل العرب والتنبيه

(١) تنظر الكتب الأربعة المتقدّمة التي أفردت للحديث عن ابن قتيبة ، ويضاف إليها هنا تلك المقدّمة النفيسة التي صدَّر بها السيد أحمد صقر عليه رحمة الله كتاب [تأويل مشكل] القرآن ، فقد فصَّل فيها الحديث عن كتبه ، ونشير أيضاً إلى مقدمة تحقيق كتابه [عيون الأخبار] ففيها حديث موسّع عن كتبه ، ونهج النهج نفسه الأستاذ محبّ الدين الخطيب عليه رحمة الله في مقدمة تحقيقه كتاب [الميسر والقداح] ، والدكتور ثروت عكاشة في مقدمة تحقيقه كتاب [المعارف] ، ونشر الدكتور عبد الله الجبوري دراسة في جزئين بمجلة كلية الآداب / الجامعة المستنصرية هي [دراسة في كتب ابن قتيبة] استقصى فيها كتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع استقصاءً نادراً .

(٢) يريد به كتابه [الشعر والشعراء] .

(٣) عيون الأخبار ، ٢/ ١٨٥ .

(٤) الشعر والشعراء ، ١/ ٦٤ .

(٥) المصدر السابق ، ١/ ١٠٣ .

على علومها ، واحتججت عنها بما فيه كفاية إن شاء الله» [1] ، فهو هنا يورد اسماً كاملاً للكتاب هو (فضل العرب والتنبيه على علومها) ، وإذا أردنا الاستعانة بما ورد في المخطوط فإننا نقرأ في آخر الجزء الأول ما يأتي : «آخر الجزء الأول والحمد للّه» ، ونقرأ في صفحة عنوان الجزء الثاني : «الجزء الثاني في فضلِ العرب على العجم» ، ونقرأ في آخره : «تمَّ كتاب العرب وعلومها» ، فهذا اضطرابٌ واضحٌ في العنوان ، فهوَ (فضل العرب على العجم) تارة ، و (العرب وعلومها) تارة أخرى [2] ، ممّا يدعو إلى التحفّظِ في الاستقرار على واحد بعينه .

ولم نكن أسعدَ حظّاً ونحن نستقرئ المصادرَ التي قدَّمتْ ثبتاً بأسماء كتب ابن قتيبة ، فبعضها أغفل الكتابَ تماماً[3] ، أمّا مَنْ ذكره منها فنراه يضطربُ هوَ الآخر في تعيين عنوان محدَّد له ، غير أنّها تكادُ تُجمع على أنَّ له كتاباً دافع فيه عن العرب ، وبيَّن علومَها ، وتصدَّى للشعوبية ، فابن النديم [4] يسمّيه (التسوية بينَ العرب والعجم) ، ويتابعهُ في هذه التسمية القفطي [5] (توفي سنة ٦٤٦ للهجرة) ، والذهبي [6] (توفي سنة ٧٤٨ للهجرة) ، والصفدي [7] (توفي سنة ٧٦٤ للهجرة) ، وحاجي خليفة[8] (توفي سنة ١٠٦٧ للهجرة) .

وهو عند طائفة أخرى كتاب (العرب والعجم) ، نجد هذا عن القاضي

---

(١) غريب الحديث ، ٢/ ٥٨٠ .

(٢) ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا واضعَ فهرس الكتب العربية بدار الكتب إلى اثبات العنوانين السابقين ، وهو يصنع ذلك الفهرس ، ينظر ، ٣/ ٢٧٢ .

(٣) مثل الخطيب في تاريخ بغداد ، والسمعاني في الأنساب ، واليافعي في مرآة الجنان ، والكندي في الولاة والقضاة ، والخوانساري في روضات الجنات .

(٤) الفهرست ، ص ١١٦ .

(٥) انباه الرواة ، ٢/ ١٤٣ .

(٦) سير أعلام النبلاء ، ٣/ ٢٩٨ .

(٧) الوافي بالوفيات ، ١٧/ ٦٠٨ .

(٨) كشف الظنون ، ٥/ ٤٤١ .

عياض[1] (توفي سنة ٥٤٤ للهجرة) ، وابن فرحون[2] (توفي سنة ٧٩٩ للهجرة) ، وابن حجر[3] (توفي سنة ٨٥٢ للهجرة) .

ويصيبُ العنوانَ شيءٌ من الاختلاف أيضاً في تلك الكتب التي نقلتْ عن الكتاب ، وأشارتْ إلى عنوانه فهو في العَقد الفريد[4] (كتاب تفَضيل العرب) ، وفي الآثار الباقية[5] (كتاب تفَضيل العرب على العجم) ، وفي بلوغ الأرب[6] (كتاب تفضيل العرب) فنراهم غيرَ متفّقين على عنوانٍ واحدٍ للكتاب كما رأينا سابقاً عند أولئك الذين ترجموا لابن قتيبة .

ولعلَّ هذا الاختلافَ في عنوان الكتاب نابعٌ من أنَّ بعضَ مَنْ ذكر الكتابَ لم يطَّلعْ عليه مباشرة ، بل اكتفى بالنقلِ عمَّن تقدَّمه فأثبتَ العنوانَ كما رآه في الكتاب الذي ينقلُ عنه ، وسببٌ آخر هو ابنُ قتيبة نفسُه حين أورد اسمَ كتابه بعنوانينَ مختلفين ، فظنَّ آخرون أنَّ واحداً منهما هو العنوان المختار ، وكيف لا؟ وقد قال به المؤلفُ نفسُه . وسببٌ ثالث يكمن في أنَّ بعضَ مَنْ ذكر الكتابَ ، أو نقل عنه أثبتَ عنواناً قريباً منه اعتماداً على شهرة الكتاب من جهة ، ومنزلة ابن قتيبة العالية من جهة أخرى ، ولم يكن هذا الكتابُ نسيجَ وحده بين الكتبَ ، فكثيرٌ منها أُشير إليها بكلمة ، وعنوانُها الكاملُ كلمات مثالُ ذلك : الموشح ، وخزانة الأدب ، وأمالي المرتضى ، وتفسير القرطبي ، والنجوم الزاهرة ، ووفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ، والصاحبي ، وترتيب المدارك ، وكشف الظنون ، فهذه عشرةُ كتب عُرِفَتْ بهذه العنواناتِ وهي في الحقيقة

(١) ترتيب المدارك ، ٥/ ٢٧٣ .

(٢) الديباج المذهب ، ١/ ١٦١ .

(٣) رفع الإصر ، ١/ ٧٣ .

(٤) العقد الفريد ، ٣/ ٤٠٨ .

(٥) الآثار الباقية ، ص ٢٣٨ .

(٦) بلوغ الارب ، ١/ ١٦٩ ، ولعلّه استقى العنوان من العقد الفريد .

تمثِّلُ جزءاً منها ، فالموشح هو الموشحُ في مآخذ العلماء على الشعراء في عدَّة أنواع من صناعة الشعر ، ولم يُعرف إلاّ بالموشح ، ومثلُه ترتيبُ المدارك فهو ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك ، ولم يُعرف إلاّ كسابقه بترتيب المدارك ، ولن نسترسلَ في هذا الأمر فهو ذائعٌ في المصادر يَعْرِفُه المتتبِّعُ ، ويدركُ كنهَه ، وليس بعيداً أن يكون هذا الكتاب كسابقه من تلك الكتب اكتفى الناقلُ منه بالكلمة ، وقنع بالإشارة وهو في فسحة منه بالانتشار والذيوع . ولعلَّ تلك الأسبابَ السابقةَ جميعَها تظافرت لتعمّقَ هذا الاختلافَ الذي رأيناه في عنوان الكتاب .

وإذا أردنا الوصولَ إلى نتيجة حاسمة في هذه المشكلة ، فإنَّنا نرجِّحُ أنَّ عنوانَه هو [فضل العرب والتنبيه على علومها] لأربعة أسباب هي :

١- إنَّ ابن قتيبة نفسَه ارتضاه عنواناً له ، وذكره بصريح القول في كتابه [غريب الحديث] كما تقدّم ، فهذا دليلٌ بيِّنٌ على أنَّه يقدِّمُ اسمَ الكتاب كاملاً - وقليلاً ما يفعل - ، ويشير إليه بلا أدنى شك .

٢- إنَّ المدقِّق في العنوان السابق يلحظُ أنَّه مكتف بنفسه لا يحتاجُ إلى مزيد مثل بقية العنوانات التي تقدَّم ذكرها ، وهذا يتلاءمُ مع ما نعرفهُ عن عنوانات كتبه الأخرى التي يميلُ فيها إلى الاختصار ، ودلالته على مضمون الكتاب .

٣- إنَّ اطلاقَ ابن قتيبة على الكتاب عنواناً آخر هو [العرب] لا ينفي العنوانَ الذي رجَّحناه ، بل يؤكِّدُه ، فهذا ممّا يتفق مع دأب ابن قتيبة وعادته حين يشيرُ إلى واحد من كتبه في كتاب آخر ، ويحيلُ عليه وغالباً ما يكتفي بكلمة واحدة أو كلمتين من العنوان الكامل اعتماداً على شهرته ومعرفة الناس به ، ولعلَّ في النماذج الآتية مزيدَ توضيح لهذا السبب ، فنراه يقول في كتابه [غريب القرآن] : « . . . على ما بيَّنا في كتاب المشكل» [1] ، أو يقول : «والبلاءُ يتصرَّف على

وجوه قد بيَّنتُها في كتاب المشكل»[٢] ، أو يقول : «والحبلُ يتصرَّفُ على وجوهٍ قد ذكرتُها في تأويل المشكل»[٣] ، أو يقول : «وهذا مبيَّنٌ في كتابي المؤلَّف في مشكل القرآن»[٤] ، وهو يريد بهذا كلّه كتاب [تأويل مشكل القرن] ، ويقول أيضاً : «وقد بيَّنتُ هذا في كتاب اصلاح الغلط بأكثر من هذا البيان» ،[٥] ويقول : «وقد بيّنتُ هذا في كتاب تبيين الغلط وشرحتهُ هناك»[٦] ، ويريد هنا كتابه [تبيين الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد] ، ويقول أيضاً : «وما جاء في الشعر كثير ، وقد أفردتُ للشعراء كتاباً»[٧] ، ويقول : « . . . وأمّا طرفة فمضى بصحيفته حتى أوصلها إلى العامِل فقتله ، وقد ذكرتُ قصتّهما في كتاب الشعراء بطولِها»[٨] ويقول : «ولهذا حَديثٌ ستقفُ عليه في كتابي هذا المؤلَّف في أخبار الشعراء» ،[٩] وهو يعني بتلك الإشارات كتابَه المشهور [الشعر والشعراء] . فبناءً على ما تقدَّم كان ابن قتيبة يكتفي باللَمحة واللفظة ابتعاداً عن التطويل ، ولذلك نرى أنَّه اجتزأ من كتاب [فضل العربِ والتنبيهَ على علومها] كلمةً واحدة هي [العرب] ، ولعلَّه رآها أظهرَ ما فيه مكتفياً بها ، معتمداً على سيرورته وانتشاره بين الناس كما صنع مع بقية كتبه تلك التي أشار إليها ، وقدَّمنا نماذجَ منها فيما تَقدَّم .

٤ – إنَّ مضمونَ الكتابِ كاملاً يتفّق اتفاقاً يكاد يكونُ متطابقاً مع هذا العنوان : فضل العرب والتنبيه على علومها ، فقد بيَّن في الجزء الأول فضلَ

(١) غريب القرآن ، ص ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٣) السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) تأويل مختلف الحديث ، ص ٦٩ .

(٥) غريب الحديث ، ١/ ٤٥٢ .

(٦) المصدر السابق ، ١/ ٣٥٠ .

(٧) عيون الأخبار ، ص/ ١٨٥ .

(٨) المعارف ، ص ٦٤٩ .

(٩) فضل العرب ، ٢/ ١٦٥ .

العرب ، ومكانتهم على مرّ العصور ، بينما تكفلَّ الجزء الثاني بعلوم العرب ، وهي قسمةٌ عادلة ، ولم يَخْلُ الجزءان من قضايا جانبية قوّت الأصلَ الذي بُني عليه الجزءان ، وبينّته بجلاء ، ولعلَّ هذا يتلاءمُ مع حرص ابن قتيبة ، وتدقيقه في مطابقة العنوان لمضمون الكتاب ، وهذا من مظاهر المنهجية النادرة التي تميّز بها ، ولن نُسْرفَ هنا فنتحدَّث عن كتبه كلّها انطلاقاً من هذه النقطة ، فهو ممّا لا يساعدُه المقام غير أنّنا نكتفي بكتاب واحد من كتبه هو [الشعر والشعراء] ، فقد كسرَ مقدَّمةَ الكتاب الطويلة - وهو مولعٌ بتلك المقدّمات يطيلُ فيها ، ويوجِّهُ لها كبيرَ عنايته ، وغايةَ همِّه ، ويضمِّنُها مباحثَ على قَدْر كبير من الأهمية ، ولا ننسى هنا مقدّمةَ [أدب الكاتب] النفيسة ، وما دار حولها من كلام ، أقول كسرَ ابنُ قتيبةَ مقدَّمة [الشعر والشعراء] على الشعر وبعض قضاياه المهمّة ، توقَّف عند قضايا نقدية خطيرة أصبحتْ فيما بعد معالمَ واضحةً في الدرس النقدي العربي ، ثمَّ انتقلَ بعد هذا إلى الشعراء فقدَّمَ تراجمَ ممتعةً مفيدة لشعراءَ من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ، وتطولُ هذه التراجمُ أو تقصر حسبَ مكانة الشاعر ، والمادة الاخبارية المتوفرة عنه ، ولم نعدم رأيَ ابن قتيبة يُطلُّ علينا هنا أو هناك بين تلك المادة ، كاشفاً عن شخصيته ، مبيّناً رأيَه ، وموقفه ، فهو هنا يطابق بجلاء بين العنوان والمضمون ، وقل مثل هذا عن بقية كتبه فلن تجدَ غير رجل واحد ، وأسلوب واحد ، وماء واحد ، ومنهج مستو صارم يعمُّ الجميعَ ، وكأنَّ [فضل العربِ والتنبيه على علومها] أشبهُ باللؤلؤة التي انتظمت في العقد مع أخواتها ، تبتعد عنها في الموضوع إلى حين ، وتقترب منها اقتراباً يصل حدَّ التلاحم في المنهج ، والمعالجة في نهاية المطاف ، ولم يكن ابنُ قتيبة ليحيدَ عن ذلك السبيل الذي اختطَّه لنفسه منذ بدء حياته العلمية ، ومعاناته التأليفَ ، و[فضل العرب] حجرٌ قويٌّ في هيكل المنهج الذي بناه ابن قتيبة لنفسه ، وظلَّ يتعهَّدهُ بالرعاية ، والتجويد إلى آخر حياته .

وللأسباب الأربعة المتقدِّمة استقرَّ الرأيُ على أنَّ عنوانَ الكتاب هو [فضل العرب والتنبيه على علومها] ، وهو ما أراده له صاحبهُ ، وأعانتْ على اثباته الأدلّةُ والقرائن .

-٣-

[فضل العرب والتنبيه على علومها] واحدٌ من كتب ابن قتيبة الثابتة النسبة إليه [(١)] ، ونحن في قطعنا لهذه القضية إنّما نعتمدُ على مجموعتين من الأدلّةَ نستطيع تقسيمَها إلى أدلّة خارجية ، وأدلّة داخلية .

أمّا الأدلّةُ الخارجية فنريدُ بها تلك الاشارات الكثيرة التي أوردَتها مصادرُ الأدب ، وكتب التراجم ، وهي تؤكّد نسبةَ الكتاب إليه ، وقد عرضنا لها بتفصيل فيما تقدّم ، وهي وإن اختلفت في العنوان إلاّ أنّها اتفّقتْ في نسبة كتاب معين له ، عالج فيه قضيةً من أهمّ القضايا الفكرية في عصره ، وهي الصراعُ بين العرب والشعوبية[(٢)] ، والعنواناتُ السابقة على اختلافها توحي بمضمونِ الكتاب الذي استقّر الرأيُ على عنوانٍ له هو [فضل العربِ والتنبيه

(١) يذهب الدكتور اسحق الحسيني رحمه الله إلى أنّ أحدَ شيوخ ابن قتيبة الكبار ، وهو اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه «هو الذي حمله على كتابة كتاب العرب ردّاً على الشعوبية ، وعلى جَعْل العرب في مرتبة تفوق مراتب جميع الشعوب» ، كتابه عن ابن قتيبة ، ص ٢٨ ، ولا يشير الدكتور الحسيني إلى مصدر معين يدعم هذا القول ، ويتابع الدكتور عبد الله الجبوري الدكتور الحسيني فيما ذهب إليه فيقول : «وكان من آثار هذا الجهاد الفكري تأليفه رسالته «فضل العرب والتنبيه على علومها» والتي وضعها بإشارة من ابن راهويه الحنظلي الغطفاني» ، كتابه عن ابن قتيبة ، ص ٧٤ ، ويحيل الدكتور الجبوري في هذا النص على الدكتور الحسيني الذي أثبتنا نصّه فيما تقدّم . ولا أستطيع القطع في هذه القضية لخلوّ المصادر المعتمدة من الإشارة إليها ، غير أنّ أثر ابن راهويه في ابن قتيبة لا ينكر فهو الذي غرس فيه أخلاق أهل الحديث ، وزقّه علومهم ، إذ كان رأساً من رؤوس أهل الحديث ، ومن كبار علمائه .

(٢) ينظر الفصل القيّم الذي عقده الدكتور عبد الحميد سند الجندي عن [أدب ابن قتيبة الإنشائي] في كتابه عن ابن قتيبة ، ص ٢٧٦ ، وما بعدها ، وأفرد ذلك الفصل للحديث عن كتابنا هذا وحده على اعتبار أنّ هذا الكتاب «أقرب مؤلفاته إلى الأدب الإنشائي ، وإن شئت الدقّة فقل إنّه أدب جدلي ، وفيه تحسّ بشيء من العاطفة المشبوبة بالحبّ للعرب ، والحنق على الشعوبية ، وتحسّ فيه كذلك نزوعاً إلى التأنّق في اللفظ والعناية بالأسلوب» على حدّ قوله ، ولعلّ هذا الكلام يدعونا إلى التوقف عند قولة الأستاذ محمد كرد علي في مقدمة تحقيقه كتاب الأشربة ، ص ٤ ، وهي إنّ هذا الكتاب «كأكثر كتب ابن قتيبة منقول عن غيره ليس له فيه غير سطور معدودة» ، ونرى أنّ هذا الكلام لا يستقيم خصوصاً بالنسبة إلى هذا الكتاب الذي ظهرت فيه شخصية ابن قتيبة ساطعة قوية ، ومع أنّه حشدَ نصوصاً في الكتاب إلاّ أنّ الأساس هو الرأي والموقف ، وتأتي تلك النصوص إثباتاً لهما ، أو نقضاً لنقيضهما ، شأنه شأن الباحثين المعاصرين ، ولو لم يكن له فيه غير سطور قليلة لما استطاع الدكتور الجندي أن يستخلصَ خصائصَ أدبه الإنشائي منه ، وهي في رأينا واضحة جليّة .

على علومها] ، وقد أشرنا فيما تقدّم إلى أنَّ بعضَ المصادر نَقَلَتْ عن هذا الكتاب ، وصرَّحت باسمه ، ونذكر هنا أنَّ طائفةً أخرى من المصادر نقلت عنه بلا ذكر لعنوانه ، بل اكتفت بقولها : «قال ابن قتيبة» ، منها : كتاب الزينة ، والممتع ، ومعجم البلدان ، وغيرها ، وقد أثبتنا نقولَ الطائفتين في مواضعها من الكتاب مع الإشارة إلى أرقام الصفحات والأجزاء كي تتضّحَ الصورةُ ، ويتبّينَ لنا دورانُ الكتابَ ، ونصوصُه في المصادر المتأخرة عنه .

أمّا الأدلّةُ الداخليةُ التي تؤكّدُ نسبةَ الكتاب إلى ابن قتيبة فهي الروحُ العامةُ التي تجلّل الكتابَ كلَّه ، تلك الروحُ التي احسَسنا بها ، وتعاملنا معها في كتب ابن قتيبةَ الأخرى ، ولعلَّ أسطعَ مظاهر هذه الروح ذلك الجدلُ الهادئ الذي يتميّزُ به ابن قتيبة القائمُ على تقديم الحجج ومحاولة اقناع الخصم ، ومن مظاهرها أيضاً ذلك الانسجامُ المتناغم بين هذا الكتاب ، وما نعرفُه عن مذاهبه الفكريَة والعقائدية ، فهو يدفعُ عن العرب غائلةَ الطعن والتنقّص من جهة ، ويُظهر مفاخرَهم وعلومَهم من جهة أخرى . ومن مظاهر تلك الروح أيضاً مجموعُ الأدوات التي استخدمَها في إثبات أو نقض المظهر السابق ، ونعني بها تلك العلوم التي أولع بها ، وقضى حياتَه بين جنباتها ، ونخصّ منها بالذكر علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، فقد كانت هذه العلومُ معتمدَه في هذا الكتاب كما كانت الملاذَ الذي تفيّأ ظلالَه في كتبه الأخرى ، وقَطَفَ من أطايبه ليقدّمَ فكراً عربياً اسلامياً يقفُ في مواجهة التيارات الوافدة ، ويمنحُ ذلك الفكرَ طبقات من الثقة بنفسه ليثبتَ وجودَه . ويقدّمَ نفسه بديلاً صالحاً لـ[علوم الأوائل] تلك التي تبنّاها بعضُ الدارسين والأدباء ، وروّجوا لها . ألم تكن هذه النقطةُ الأخيرةُ شغلَ ابن قتيبةَ الشاغل ، والخيطَ الرفيعَ الذي انتظم كتبَه كلّها؟ ألم تكن هي الروح التي نشرتْ ظلّها على كتبه كلّها؟ ولم يكن هذا الكتابُ بدعاً بين كتبه ، فقد احتوته تلك الروح ،

ونفخت فيه من نفسها فجاء قائماً على ساقه يوميء إلى ابن قتيبة ، ويشير إليه : فكراً ، وموقفاً ، ونتيجة .

يضافُ إلى ما سبق ، ظهورُ اسلوب ابن قتيبةَ بصورة جليّة في الكتاب من حيث اعتناؤه بالمقدمة ، والتدرّج المنطقي في الأفكار ، والوصول إلى النتائج ، وهي سماتٌ شائعةٌ في الكثير من كتبه ، لحظها دارسو ابن قتيبةَ ، ورصدوها في كتبه ، ولا بدَّ لنا من أن نذكرَ معلماً بارزاً من معالم أسلوب ابن قتيبة ظهر في هذا الكتاب ، وفي كتبه الأخرى ، وهو اعتمادهُ أسلوبَ الاحالة على كتبه الأخرى ، فهو هنا يحيل على [الشعر والشعراء] ، و[أدب الكاتب] ، و[المعاني الكبير] ، وهي من كتبه المشهورة ، فكأنَّ ما بحثه بتفصيل في كتاب آخر لا يرى ضرورةً للعودة إليه مرَّة أخرى ، فهو يحيلُ على ذلك الكتاب لمن طلبَ الزيادةَ والتوسّع ، وهي لفتةٌ منهجيةٌ ذكيةٌ قوامُها التنظيمُ ، ونتيجتُها البعدُ عن الفضول والتكرار .

ولعلَّ ما تقدَّم من أدلّة بيّن بجلاء صحةَ نسبةَ الكتاب إلى ابن قتيبة ، وثبات نسبته إليه .

-٤-

كان الاعتمادُ في تحقيق هذا الكتاب على نوعين من الأصول : مطبوع ، ومخطوط ، ولم يكن ليتحقّقَ اتمامُ العملِ بغيرهما كما سنرى .

أمّا المطبوعُ فهو القطعةُ من الكتاب التي نُشرَتْ للمرة الأولى في مجلة المقتبس في عدديها الحادي عشر [ص٦٥٧-٦٦٨] ، والثاني عشر [ص٧٢٢-٧٣٥] من المجلد الرابع سنة ١٣٢٧ للهجرة ، ١٩٠٩ للميلاد ، وأعاد نشرَها الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله في كتابه [رسائل البلغاء] ، [ص٣٤٤-٣٧٧] ، وبين يدي الطبعةُ الثالثةُ منه سنة ١٣٦٥ للهجرة ، ١٩٤٦

للميلاد ، وفي كلتا النشرتين ورد العنوانُ كالآتي : «كتاب العرب أو الردّ على الشعوبية لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة من أهل القرن الخامس» ، فنرى العنوانَ يجعلُ ابنَ قتيبة من أهل القرن الخامس ، وهو خطأٌ واضح ، ومن الغريب أنَّ الاستاذ كرد علي لم يعلّق على هذا الخطأ بشيء ، أو يحاولُ تصحيحَهُ .

وورد فيهما أيضاً الهامش الآتي باختلاف يسير ، واللفظُ للمقتبس [1] : «وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر أفندي الحمزاوي الدمشقي في مجموعة كتب كانت موقوفةً ، ونجز وقفها معنوناً عليه بكتاب ذمّ الحسد تأليف العلامة أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى بخط مسند الشام في عصره الشيخ ابراهيم الجنيني الحنفي جامع الفتاوي الخيرية من رجال القرن الثاني عشر - وقد نسخها رحمه الله على أصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخته ما مثاله : «هذا آخر ما وجدته الخ» ، وأضاف الأستاذ كرد علي ما يأتي : «واسم هذا الكتاب في بعض المصادر فضل العرب على العجم وحقيقة اسمه كما في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة فضل العرب والتنبيه على علومها[2] ، وبدار الكتب المصرية نسخة منه غير كاملة برقم ١٨٦٤ (أدب)» .

إنَّ ما تقدَّم يفيدُ أنَّ المخطوطَ الذي وجده المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي [1] يشكّلُ قسماً من الكتاب ، يمثّلُ هذا القسمُ على الحقيقة ثلثي

---

(١) ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ الدكتور عبد الله الجبوري أعاد نشر هذه القطعة مرة أخرى في كتابه [ابن قتيبة والشعوبية] ، وقال حول هذا الموضوع : «فإليك نصّ كتاب / فضل العرب والتنبيه على علومها بصورته المطبوعة ، عسى أن أظفر بنسخه المخطوطة الأخرى من بعض دور الكتب لنشره كاملاً ، نقلاً عن طبعة الأستاذ المرحوم / محمد كرد علي التي نشرها في رسائل البلغاء . الطبعة الرابعة ، القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤ ، ١٩٥٤م ، ص ٢٤٤ - ٢٧٧ ، وجعل عنوانها : كتاب العرب أو الردّ على الشعوبية . . . وتأسيساً على الأمانة العلمية ، لم أغيّر منها شيئاً ، لا في الحواشي ولا في المتن ، وأذكّر - هنا - أنّها ناقصة ، بل هي جزء من الأصل المخطوط» . ينظر كتابه ، ص ٢٧١ ، وما بعدها .

(٢) ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ الدكتور عبد الله الجبوري مال إلى هذا العنوان في كتابه عن ابن قتيبة اعتماداً على نصّ غريب الحديث . ينظر ، ص ١٣٤ .

الجزء الأول منه على التقريب ، إذ يعتورُ النقص آخر المخطوطة ، وعلى هذا نُشر ذلك الجزء كما وُجد . ومن الضروري أن نذكرَ هنا أنَّ نَشْرَتَيْ : المقتبس ورَسائل البلغاء خلتا تَماماً من أيّ تعليق ، أو شرح ، أو مظهر من مظاهر التحقيق المعروفة مثل توثيق النصوص ، أو تخريج الشعر وغيرها ، خلا إشارات عَابرة سريعة وخصوصاً في نشرة [رسائل البلَغاء] ، وهي قليلةٌ جداً عمادُها شرح بعض الكلمات الغريبة ، وقد كان القصدُ نشرَ النصِّ ، وتقديمَه إلى القراء ، ولا ريب أنَّ الأستاذ كرد علي رحمه الله قدَّم خدمةً جليلةً للكتاب ، ولمن يريد تحقيقَه فيما بعد بنشرِه تلك القطعة ، إذ لولا هذا النشرُ لما استطعنا اخراجَ الكتابِ كاملاً كما سنرى بعَد قليل .

أمّا الأصلُ الثاني وهو المخطوط فهو نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم [١٨٦٤] أدب ، دخل فهارسَ الكتب العربية فيها منذ سنة ١٩٢٧ للميلاد ، وربّما قبلها ، فهذا هو تاريخ الطبع ، وتمَّت الفهرسةُ حتى آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦ للميلاد ، وحمل هذا المخطوطُ عنوانين هما : «فضل العرب على العجم أو كتاب العرب وعلومها» ، وقدَّم الفهرس وصفاً له هو : «جزءان منه ، ضمن مجموعة مخطوطة بخطّ قديم ، بخطّ أبي الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش ، فرغ من كتابتها في شهر ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ ، وبها تقطيعٌ كثير ، وأكل أرضة ، وهذا الكتابُ ناقصٌ من الأول ، وأوّلُ الموجود منه في أثناء الكلام على تناول الطعام ، وآدابه . . . وينتهي إلى آخر الكتابَ ، وبالجزءَ الثاني منه خرم قبيل الآخر ، رقمها ١٨٦٤» [٢] ، وذكر هذا المخطوطَ عددٌ من الباحثين وهم يتحدّثون عن ابن قتيبة وكتبه ، نذكر منهم : كارل

(١) جاء في مقدّمة تحقيق عيون الأخبار ، ٤/ ٣٢ ، ما يأتي : «فضل العرب على العجم أو كتاب العرب وعلومها . . . نشر بعضه الأستاذ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق في المجلد الرابع من المقتبس» ، وفقه النصّ يؤدي إلى أنّ الناشر في المقتبس هو القاسمي ، ولم أجد في المجلة ما يشير إلى هذا الأمر .

(٢) فهرست الكتب العربية ، ٣/ ٢٧٢ .

بركلمان [١] ، والدكتور اسحق الحسيني [٢] ، ومحبّ الدين الخطيب [٣] ، ومصحّح عيون الأخبار [٤] ، والدكتور ثروت عكاشة [٥] ، والدكتور عبدالله الجبوري [٦] ، وتمكنّتُ من الحصول على نسخة مصوّرة عن هذا المخطوط كانت المعتمدَ في إكمال الكتاب ، وتقديمه بصورته الحاضرة ، ويظهرُ من الوصف المتقدّم للمخطوط مقدار الضرر الذي حلَّ به ، وبعد القراءة المتكرّرة فيه تبيّن بشكل لا يقبل الشكَّ سببَ إعراض المحققين عنه هذا الزمنَ الطويل ، فالقراءةُ فيه عسيرة جداً تكاد تكون مستغلقة ، والنقص في أوّله يهدّد العملَ برمّته ، كما أنَّ التقطيعَ أو الطمس الذي أصاب الكثيرَ من أوراقه يجعل تقديمَ نصٍّ متكاملٍ مفهومٍ أقربَ إلى المحال ، وفيما يأتي وصفٌ دقيقٌ له .

يبدأ المخطوط من الورقة الخامسة عشرة ، أي إنَّ الخرمَ المشار إليه استغرق أربع عشرة ورقة ، وهناك طمسٌ ، وتقطيع لعلّه من بقايا الرطوبة أثّر على الأسطر الثلاثة الأولى من وسط كلِّ ورقة ، وينزل مرات إلى السطر الرابع ، ويخفّ هذا الطمس تدريجياً لينتهي في الورقة التاسعة والثلاثين ، أي إنّه احتلَّ أربعاً وعشرين ورقة من مجموع تسع وستين ورقة هو المخطوط كلّه . والورقة ذات مقاس ١٣×٢٠ سم ، تحوي الواحدةُ منها ستة عشر سطراً تقريباً ، وفي السطر الواحد سبعُ كلمات تزيدُ أو تنقصُ بمقدار كلمة . أمّا الخطّ فمعتاد غير أنَّ الناسخَ يعمد فيه إلى الاستعاضة عن الهمزة بالياء في وسط الكلمة ، أو اهمال كتابتها إذا كانت في آخر الكملة . وإثبات الألف في آخر الفعل المضارع

(١) تاريخ الأدب العربي ، ٢/ ٢٢٧ .

(٢) ابن قتيبة ، ص ٧٥ .

(٣) الميسر والقداح ، ص ٢٣ .

(٤) عيون الأخبار ، ٤/ ٣٢ .

(٥) المعارف ، ص ٥٢ .

(٦) ابن قتيبة ، ص ١٣٥ ، ودراسة في كتب ابن قتيبة ، ص ١٢٧ .

مثل الفعل [يخلو] يكتبه هكذا [يخلوا] ، وترك اعجام الحروف في أماكن كثيرة ممّا يضيف صعوبةً جديدة أمام القراءة السليمة ، كما نلحظ سواداً يغطّي بعض الأوراق وخاصة الأولى يبدو أنّه من تأثّر المداد الذي كُتب به المخطوط بالرطوبة ، وسوء الحفظ ، وينتهي الجزء الأول بالورقة الثلاثين ، ليبدأ الجزء الثاني بالورقة الثانية والثلاثين ؛ لأنَّ العنوانَ احتلَّ ورقةً وحده ، وينتهي الجزءُ الثاني بالورقة التاسعة والستين لينتهي بها الكتاب ، وجاءت الخاتمة على النحو الآتي : «تمَّ كتاب العرب وعلومها والحمد للّه ربّ العالمين . . .» ، وفي الهامش الأيمن ما نصُّه : «قوبلت وصححّت معارضةً بالأصل» ، ويعلّق الدكتور اسحق الحسيني على هذا النصّ الأخير بقوله : «وهذا يدلّ على أنَّ الناسخَ أفاد من نسخة المؤلف التي أُلِّفَتْ في وقت لا يبعدُ كثيراً عن تاريخ كتابة النسخة الموجودة» [1] ، ونستطيعُ القولَ إنَّ هذه النسخةَ نُقلت عن أمٍّ قديمة يبدو أنّها فُقِدَتْ بمرور الزمن ، وهذا ممّا يرفعُ من شأنها ، ويعلي قيمتَها لولا ذلك الضررُ الجسيم الذي أصابها . ولعلَّ الوصفَ السابقَ قدَّم صورةً تقريبيةً للمخطوط والحال التي هو عليها ، يضافُ إلى ذلك كلّه تلك المحاذيرُ التي يعرفُها المحقّقون من قيام التحقيق على نسخة فريدة ، غير أنَّ العملَ أخذ نهجَه المعتاد بشيء من الصبر ، والمثابرة .

ولابدَّ لنا في هذا المقام من أن نقفَ عند أمرين نراهما مهمّين جداً ونحن بصدد الحديث عن هذا المخطوط ، أولهما إنَّ الدكتور الحسيني يذكر في كتابه عن ابن قتيبة أنَّ «في دار الكتب (أدب ١٨٦٤) مخطوطة مكتوبة في سنة ٢٨٣هـ تحوي المجلّد الثاني وصفحات قليلة من الأول مع كثير من العيوب» [2] ، ولم يُشر الدكتور الحسيني إلى مصدره ، غير أنّنا نلاحظُ أنَّ الوصفَ الذي يقدِّمُه لهذه المخطوطة هو عينه الوصفُ الذي ينطبق على

(١) ابن قتيبة ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

مخطوطتنا ، ورقمهما واحد هو [١٨٦٤ أدب] ، ولو كانت هناك نسخة أخرى في الدار لحَمَلَتْ رقماً آخر غير هذا الرقم ، يضافْ إلى هذا أنَّ فهرسَ الكتب العربية بدار الكتب لا يشير إلى مخطوطة لهذا الكتاب غير هذه التي بين أيدينا ، مع أنَّ خطّةَ العمل في ذلك الفهرس واضحةٌ فهو يورد نسخ الكتاب ، إن كان له نسخ ، مهما كثرت وتحملُ كلُّ نسخة رقماً مختلفاً عن الأخرى ، ولو امتلكت الدارُ نسخةً أخرى من هذا الكتاب لأدرجتها في فهارسها انسجاماً مع العمل كلّه . وأمر آخر يؤكّد تطابقَ النسختين هو إنَّ النقولَ التي يسوقها الدكتور الحسيني في كتابه عن المخطوط تتطابق مع ما هو في مخطوطنا بما لا يدعُ مجالاً للشكّ أنّه يريد بها هذه المخطوطة . وأعتقد أنَّ لبساً وقع في تاريخ النسخة فهو عنده [٢٨٣هـ] ، وهو هنا [٥٨٣هـ] ، فلعلَّ الرقم الأخير تغيّر عنده بسبب السهو أو النسيان ، وهو كثيراً ما يقع ، وسبحان الله تعالى الذي تنزّه عنهما . وتتمّةً لهذا الأمر نرى الدكتور عبدالله الجبوري يقول إنَّ دار الكتب المصرية «تحتفظ . . . بنسختين مخطوطتين منه ، الأولى : وتقع في جزأين ، ضمن مجموعة مخطوطة كتبها : أبو الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش في سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة ، ناقصة الأول ، وأول الموجود منها قوله في تناول الطعام وآدابه ، ثمَّ ينتهي الجزء الأول ، ويبدأ الجزءُ الثاني وفيه كلامٌ على فضل العرب في العلوم والحكم والشعر . . . والنسخة الثانية تضمّها مجموعة مخطوطة برقم [١٨٦٤ - أدب] في جزأين ، الثاني منها كامل ، ومن الأول أوراق قليلة . . . كتبت في سنة ثلاث وثمانين ومائتين» [١] ، ومن الملاحظ أنَّ النصَّ السابقَ يخلو من مصدر يوثّق ما فيه ، كما تأتي [النسخة الأولى] غفلاً بلا رقم في دار الكتب المصرية ، ولم أجد أحداً من الباحثين [٢] أشار إلى هاتين النسختين ، يضاف إلى هذا أنَّ الدكتور الجبوري

---

(١) ابن قتيبة ، ص ١٣٥ .

(٢) وهم الذين ذكرنا أسماءهم فيما سبق ووثّقنا نصوصهم من الكتب التي حققّوها ، أو كتبوها عن ابن قتيبة .

نفسَه يكتفي في بحثه [دراسة في كتب ابن قتيبة] بالإشارة إلى نسخة واحدة من الكتاب هي التي بين أيدينا . ولو أرشدنا إلى المورد الذي استقى منه خبرَ النسخة الثانية لقدَّم لهذا العمل فائدةً جليلة .

أمّا الأمرُ الثاني فهو متعلّقٌ بالدكتور اسحق الحسيني أيضاً ، فبعد أن يسوقَ خبرَ نسخة دار الكتب يضيفُ قائلاً : « . . . أمّا مخطوطتي فتحوي المادَّةَ في كلٍّ من المجلّدين مع نصوص أخرى زائدة أُخذتْ من مراجع متعددّة لتملأ الفجوات» [1] . إنَّ كلامَ الدكتور الحسيني السابق يؤكد امتلاكَه نسخةً تامةً من الكتاب ممّا دعا الدكتور الجبوري إلى القول : «وفي خزانة الدكتور اسحق موسى الحسيني نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس» [2] ، غير أنَّ نصَّ الدكتور الحسيني يوحي بالتقطيع الذي أصاب مخطوطته هو الآخر ، وإلاّ فما معنى تلك النصوص الزائدة التي ملأت الفجوات ، ومن الضروري أن نشير هنا مرَّة أخرى إلى أنَّ النصوصَ التي اعتمد عليها الدكتور الحسيني في كتابه عن ابن قتيبة كانت متطابقةً مع نصوص مخطوطة دار الكتب ممّا يوحي بتشابه النسختين ، واتفاقهما في جوانبَ كثيرة . وعلى أيِّ حال فقد بدأ البحثُ عن هذه النسخة في فهارس المخطوطات ، ومكتبة الجامعة الأردنية ، ومكتبة مجمع اللغة العربية الأردني بلا نتيجة تُذكر حتى نُصحْتُ بسؤال الدكتور كامل العسلي عليه رحمة الله عنها ، فكتبت إليه أستشيره ، وهو ذو خبرة واسعة بمخطوطات فلسطين عامة ، والقدس الشريف خاصة ، فأجابني متفضّلاً برسالة كريمة بتاريخ ٦/ ٨/ ١٩٩٢ يفيدني فيها أنّه لم يَرَ هذا المخطوط ضمن مخطوطات الدكتور الحسيني التي كان قد اطّلع عليها ، وأحالني على [مركز الدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الطفل العربي] في القدس الشريف ؛

---

(١) ابن قتيبة ، ص ٧٥ .

(٢) ابن قتيبة والشعوبية ، ص ١٣٦ .

لأنَّ الدكتور الحسيني أهدى مخطوطاته له ، فكتبتُ إلى هذا المركز غير مرَّة أسأله فلم أتلَقَ جواباً ، فاضطررتُ للاستعانة بمن يسافر إلى القدس ، فذهب إليهم ، وأفاده مدير المركز بعدمِ وجود هذا المَخطوط لديهم ، وأردت أن أقطعَ الشكَّ باليقين ، إذ نما إلى علمي أنَّ الدكتور الحسيني كان قد أعدَّ فهرساً للمخطوطات [1] التي يملكها تحت اشرافه ساعده فيه إثنان من الباحثين هما جمال وعزيز جَارالله ، وبعد بحث طويل عن هذا الفهرس ظفرتُ بنسخة منه في مكتبة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان / المملكة الأردنية الهاشمية ، وهذه النسخة مكتوبة بخطّ اليد ، وفي بعض صفحاتها إشارة إلى أنَّه خطّ الدكتور الحسيني ، وبعد نَخْلِ هذا الفهرس نَخْلاً دقيقاً لم أجد فيه ذكراً لهذا المخطوط ، أو لابن قتيبة ، فيَئستُ من العثور على هذه النسخة إذ لو كانت موجودةً لورد ذكرها في هذا الفهرس ، وخصوصاً أنَّ الدكتور الحسيني كان حيّاً ، وجرى العملُ تحت اشرافه ، وبدأتُ أعتقدُ اعتقاداً يصل إلى درجة اليقين أنَّ هذه النسخة هي صورةٌ أخرى من نسخة دار الكتب بسبب تلك الفجوات ، ومطابقة نصوصها نصوص مخطوطة الدار . ونُصحت أيضاً أن أتأكَّدَ من وجود هذه النسخة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ؛ لأنَّ الدكتور الحسيني كان قد درَّس فيها ، فلعلّه أهدى شيئاً من كتبه ، وبينها هذا المخطوط إلى مكتبتها العامرة ، فكتبتُ إلى الدكتور رمزي بعلبكي الأستاذ بالجامعة أطلبُ عونَه ، فأجابني متفضّلاً بأنّه بعد البحث والتقّصي لم يجد له أثراً ، وعند ذاكَ أيقنتُ أنَّ نسخة الدكتور الحسيني في ضميرِ الغيبِ الذي لا يعلمه إلاّ اللّه سبحانه وتعالى .

تبيّن من الوصف السابق للأصلين أنَّ المطبوعَ ناقصٌ من الآخر ، والمخطوط ناقصٌ من الأول ، أي إنَّ الواحدَ منهما يكمل الآخر ، ولعلَّ هذا

(١) ينظر دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، الأردن ، وفلسطين ، ص ٤ ، وفيه ذكرٌ لهذا الفهرس الذي تمَّ إعداده في سنة ١٩٧٥ .

من حسن الحظّ والتوفيق الذي مسَّ هذا الكتاب بعد الضرر الذي حلَّ به ، ولذلك عمدتُ إلى التوفيق بينهما ، فبدأتُ بالمطبوعِ وحده ، ثمَّ أشرتُ إلى بدء اتفاقه مع المخطوط ، وبعده انتهاء المطبوع لنستأنفَ مع المخطوط وحدَه ، وهكذا إلى نهاية الكتاب ، ولم يكن أمامي سوى هذا الطريق أسلكهُ إتماماً للعمل ، وتجويداً له [1] ، أمّا الفجوات ، والتقطيع الذي أصاب بعضَ الأوراقِ فقد عملتُ جاهداً على سدِّ الكثير منه اعتماداً على كتب ابن قتَيبةَ الأخرى ، والكثير من مصادر التراث العربي ، وقد أعانت تلك المحاولات التي أتت أكلَها في كثير من الأحيان على تقديمِ صورةٍ متكاملةٍ للكتابِ لعلّها الصورةُ التي أرادها صاحبه رحمه الله .

- ٥ -

أستطيع تلخيصَ العملِ الذي قمتُ به خدمةً لهذا الكتاب بالنقاط الآتية :-

١- تقديمُ قراءة سليمة للنصّ بأصْلَيه : المطبوع والمخطوط معتمداً على المصادر ، وخصوصاً كتب ابن قتيبة ، مع محاولة تجنّب الأخطاء التي وقعت في المطبوعِ خصوصاً .

٢- التوفيق بين المطبوع والمخطوط ، كما أشرتُ سابقاً ، وهو السبيل الوحيد لإخراجِ الكتاب بعد النقصِ الذي أصابَ المطبوعَ والمخطوط على حدٍّ سواء .

٣- إثبات الفروق بين المطبوع والمخطوط ، وذلك حين تلاقيا في قليل من الأوراق .

(١) لم يكن هذا النهج بدعاً في ذاته ، فقد سبقتنا أعمال حاول فيها محققّوها أن يقدّموها بصورة متكاملة وذلك من خلال التوفيق بين المطبوع والمخطوط من أصولها ، نذكر هنا عملين لأستاذين جليلين هما عبد السلام هارون في تحقيقه كتاب وقعة صفين إذ اعتمد مطبوعاً للأصل وحده ، واستخرج من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المطبوع هو الآخر نسخة ثانية من ذلك الكتاب ، والدكتور احسان عباس في تحقيقه [عهد أردشير] حين وفّق بين مخطوط للعهد ومطبوع في سبيل اخراج نصٍّ متكامل . تنظر مقدمة العهد .

٤ – ضبط النصّ بالشكل .

٥ – المحاولة الجادَّة الصادقة في سدّ مواضع الفجوات التي أشير إليها اعتماداً على كتب ابن قتيبة ، والمصادر الأخرى ، وقد كلّف هذا العملُ جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً لم يكن منهما بدّ بغية تقويم النصّ ، وإذاعته بالصورة اللائقة ، وقد ندَّت بعض المواضع التي لم أتمكّن من سدِّها ، وقد أثبت هذا كلّه في مواضعه بإشارات واضحة .

٦ – ردّ الآيات الكريمة إلى مواضعها في سورها مع أرقامها .

٧ – تخريج الأحاديث الشريفة ، والآثار النبوية من كتب الحديث المعتمدة ، ومصادر التاريخ والأدب .

٨ – تخريج الشعر ، وقد اعتمدتُ فيه على ديوان الشاعر إن توفّر له ديوان أو شعر مجموع ، فإن لم يكن له ديوان خرَّجتُ من المصادر مع العناية بأقدمها .

٩ – الترجمة للأعلام ترجمات مختصرة مفيدة مع الإحالة إلى مصادر هذه التراجم ، وأغفلتُ الترجمةَ للمشهورين منهم مثل الأنبياء عليهم السلام ، ومشاهير الصحابة رضوان الله عليهم ، وكبار الشعراء اعتماداً على تداول أسمائهم ومعرفة المختّصين وغيرهم بهم ، وخشية أن تكونَ الترجمة في هذه الحال فضولاً وزيادة ، لا توضيحاً وفائدة .

١٠ – تخريج الأمثال والأقوال من كتب الأمثال والأدب العامة .

١١ – توثيق الأخبار من المصادر التاريخية المعتمدة مثل الطبري والمسعودي ، وابن الأثير ، ومصادر الأدب الأخرى .

١٢ – شرح الألفاظ الغريبة الواردة في النصّ سواء أكانت في النثر أم في الشعر ، واعتمدتُ على لسان العرب ، وكثيراً ما أترك الإشارة إليه خشية التطويل ، وآثرتُ أن أشير إلى اللسان برقم الجزء والصفحة لا بالمادة ، طلباً

للدّقة ، فمعروف أنَّ بعض المواد فيه تطول لتستغرق صفحات ، وعند ذاك يصبح العثور على المقصود جهداً إضافياً أغنيتُ الآخرين عنه .

١٣- صنع الفهارس الفنية للكتاب وهي فهارس : القرآن الكريم - الحديث الشريف - الشعر - الأعلام - الطوائف والقبائل والأمم - الأمثال - الأماكن .

هذا عملي في هذا الكتاب الذي استغرق سنوات أضعه بين أيدي الدارسين ، ومحبيّ تراثنا العربي ، وأرجو أن أكون قد قدَّمتُ شيئاً نافعاً لتراث ابن قتيبة خاصة ، والتراث العربي عامة . أمّا وجه هذا العمل الثاني فأحتَسبه عنده سبحانه فهو القادر على أن يثيبني ، ولكلِّ امريء ما نوى . ربِّ اغفر لي وارحمني برحمتك التي وسعت كلَّ شيء . ربِّ أنت تعلم ما أخفي وما أعلن وما يخفى على الله شيء لا في الأرض ولا في السماء . ربِّ لا تكلني إلى نفسي ، وأسبغ عليَّ من شآبيب فضلك ، وصلّى الله على سيد العرب والعجم النبي الأميّ محمد بن عبدالله صلاة وتسليماً إلى يوم يبعثون ، والحمد لله ربّ العالمين .

د . وليد محمود خالص
جامعة البنات الأردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية



الورقة الأولى من المخطوط ويلاحظ الطمس في الأعلى



الورقة الأخيرة من الجزء الأول ويلاحظ الطمس في الأعلى



واحرق اصولها التي كانت عندهم فصارت علومهم
للروم . قلنا خبركم هو اقرار على انفسكم
وخبركم الثاني دعوى
غيركم محتاج معه الى اقرار الروم لكم به واخبار
بينة وبرهان
والحمد لله رب العالمين وصلواته على
سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين
وحسبنا الله ونعم المعين

الورقة الأخيرة من الجزء الثاني ويلاحظ انتهاء الطمس فيها

1

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً

قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : جَعلَنَا اللهُ وإيّاك على النِّعم شاكرين ، وعنْدَ المحن والبلوى صابرين ، وبالقسم من عطائه راضين ، وأعاذنا من فتنَة العصبية ، وحميّة الجاهلية ، وتحامُل الشعوبية ، فإنّها بفرط الحسد ونَغَلَ [1] الصدر تَدفعُ العربَ عن كلّ فضيلة ، وتُلحق بها كُلَّ رذَيلة ، وتغلو في القَول ، وتُسْرفُ في الذمّ ، وتبهتُ بالكذب ، وتكَابرُ العيانَ ، وتكادُ تكفرُ ثمَ يمنعُها خوفُ السيف ، وتَغَصُّ من النبي صلّى عليه وسلّم بالشجا [2] ، وتَطْرفُ منه على القذى ، وتَبعدُ من الله بقَدر بُعدها ممّن قرَّبَ واصطفى ، وفي الافراط الهلكةُ ، وفي الغلوّ البوارُ .

والحسدُ هو الداء العياءُ ، أولُ ذنَب عُصي الله به في الأرض والسماء [3] ، ومَنْ تبيّن أمرَ الحسد بعدْل النظر ، أوجبَ سخطةَ على واهب النعمة ، وعداوتَه [4] لمؤتي الفَضيلةَ ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يقول : (نحن قَسَمنا بينهَم معيشتَهم في الحياةِ الدنيا ورفعنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجات ليتخّذَ بعضُهم

(١) النَّغَل : الفساد .

(٢) الشجا : ما اعترض في حلق الإنسان من عظم أو عود أو غيرهما ، وغصَّ بالشجا هنا كناية عن الألم المحبوس والحقد الدفين ، ومثله تطرف على القذى ، فالطرْف إطباق الجفن على الجفن ، والقذى ما يقع في العين وما تُرمى به ، فإذا طرفت عليه آذاها وآلمها ، وهذه الأخرى كناية عن الحقد الدفين .

(٣) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ١١ ، وفيه : « . . . أمّا في السماء فحسد ابليس آدم ، وأمّا في الأرض فحسد ابن آدم أخاه حتى قتله » ، وبهجة المجالس ، ١/ ٤٠٩ ، وفيه : «كان يقال : أول ما عصي الله به في السماء والأرض الحسد والحرص ، ذهبوا إلى أنَّ ابليس حسد آدم فلم يسجد له» ، وينظر العقد الفريد ، ٢/ ٣٢٠ ففيه تفصيل وافٍ .

(٤) في المطبوع : (وعدواته) ، وهو خطأ مطبعي .

بعضاً سُخريا)[1] . فهو - تبارك وتعالى - باسطُ الرزق ، وقاسمُ الحظوظ ، والمبتدىءُ بالعطاء . والمحسودُ آخذٌ ما أعطى ، وجار[2] إلى غاية ما أجرى .

وقال ابن مسعود : لا تعادوا نعمَ الله . قيل : ومَنْ يعادي نعَمَ الله؟ قال : حاسدُ الناس[3] .

وفي بعض الكتب يقولُ الله : الحاسدُ عدوٌّ لنعمتي ، متسخّطٌ لقضائي ، غيرُ راضٍ بقسمي[4] .

وقال ابن المقفع : الحاسدُ لا يبرحُ زارياً على نعمة الله لا يجدُ لها مَزالاً ، ويكدّرُ على نفسه ما به فلا يجدُ لها طَعْماً ، ولا يزالُ ساخطاً على مَنْ لا يتراضاه ، ومتسخِّطاً لما لا ينالُ فوقَه ، فهو مكظومٌ هَلِع ، جَزوعٌ ظالم ، أشبهُ شيء بمظلوم محروم الطّلبة ، منغّص المعيشة ، دائم السخطة ، لا بما قُسمَ له يقنعُ ، ولا على ما لم يُقْسمْ له يَغْلب ، والمحسودُ يتقلّبُ في فَضْلِ الله مباشراً للسرور ، مُمْهَلاً فيه إلى مدَّة لا يقدرُ الناسُ لها على قَطْع وانتقاص . ولو صَبَرَ الحسودَ على ما به وضَمَر لحَزنه كان خيراً له ؛ لأنّه كلّما هرَّ خسأه اللهُ ، وكلّما نَبَح قُذف بحجره ، وكلّما أرادَ أن يطفىءَ نورَ الله أعلاه اللهُ[5] ، (ويأبى اللهُ إلاّ أن يتمَّ نورَه ولو كَره الكافرون)[6] . ولله درُّ القائل[7] :

وإذا أراد اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ
يوماً أتاح لها لسانَ حسودِ

---

(1) الزخرف ، 32 .

(2) في المطبوع : (وجار) .

(3) ينظر العقد الفريد ، 2/ 320 ، وبهجة المجالس ، 1/ 407 ، ونهاية الأرب ، 3/ 285 .

(4) ينظر عيون الأخبار ، 2/ 10 ، والعقد الفريد ، 2/ 320 ، ولعلَّ ابن قتيبة ينقل هذا الكلام من بعض الكتب المقدّسة .

(5) نُسب بعض هذا الكلام إلى عمر بن عبد العزيز في الفاضل ، ص 100 ، وينظر عيون الأخبار ، 2/ 9 ففيه هذا القول باختلاف يسير منسوب إلى ابن المقفع .

(6) التوبة ، 4 .

(7) هو أبو تمام الطائي .

لـولا اشـتـعـالُ الـنـارِ فـيـمـا جـاورتْ

مـا كـان يُـعـرف طـيـبُ عَـرْفِ الـعـود [1]

ولم أرَ في هذه الشعوبية أرسخَ عداوةً ، ولا أشدَّ نَصَباً للعرب من السفلة والحشوة [2] ، وأوباش [3] النَبط ، وأبناء أكرة [4] القرى . فأمّا أشرافُ العجم ، وذوو الأخطار منهم وأهلُ الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً .

وقال رجلٌ منهم لرجلٍ من العرب : إنَّ الشرفَ نَسَبٌ ، والشريفُ من كلّ قوم نَسيبُ الشريفِ من كلِّ قوم .

وإنَّما لهجت السفلةُ منهم بذمِّ العرب ؛ لأنَّ منهم قوماً تحلّوا بحلية الأدب ، فجالسوا الأشرافَ ، وقوماً اتَّسموا بميسم الكتابة [5] ، فقُرِّبوا من السلطان ، فَدَخَلَتْهم الأَنَفَةُ لآدابهم ، والغضاضةُ لأقدارهم من لؤم مغارسهم ، وخُبْث عناصرهم . فمنهم مَنْ ألحقَ نفسَه بأشراف العجم ، واعتزى [6] إلى ملوكهم وأساورتهم [7] ، ودَخَلَ في باب فسيح لا حجابَ عليه . ونَسَب واسع لا مُدافعَ عنه . ومنهم مَنْ أقامَ على خساسة يُنافحُ عن لؤمه ، ويدَّعي الشرفَ للعجم كلِّها ؛ ليكونَ من ذوي الشرف . ويُظهر بُغْضَ العرب يتنقَّصُها ، ويستفرغُ مجهودَه في مشاتمها ، وإظهار مثالبها ، وتحريف الكَلِم في مناقبها . وبلسانها

---

(١) ديوانه بشرح التبريزي ، ١/ ٣٩٧ . وفيه : [طويت] بدل [يوماً] .

(٢) حشوة الناس رذالتهم .

(٣) الأوباش من الناس الأخلاط مثل الأوشاب وهم الضروب المتفرقون .

(٤) أكرة جمع أكّار وهو الحرّاث .

(٥) فصَّل الجاحظ الحديث عن أولئك الكتّاب الذين يشير إليهم ابن قتيبة في واحدة من رسائله هي «ذمّ أخلاق الكتّاب» ، وله فيهم كلام نفيس يشير إلى خبرة ومعرفة واسعة . تنظر رسائل الجاحظ ، ٢/ ١٩١ ، وما بعدها .

(٦) اعتزى : انتسب .

(٧) الأساورة واحده إسوار ، أعجمي معرَّب ، وهو الرامي ، وقيل : الفارس . ينظر المعرّب ، ص ٢٠ ، أو هو قائد الفرس كما في لسان العرب ، ٤/ ٣٨٨ .

نَطق ، وبهمـمها أنِف ، وبآدابها تَسلّح عليها ، فإن هو عرفَ خيراً سَتَره ، وإن ظَهر حقَّرَه ، وَإن احتملَ التأويلات صرفَه إلى أقبحها ، وإن سَمع سوءاً نشرَه ، وإن لم يسَمْعَهُ نَقَر عنه ، وإن لم يجدْه تخرَّصَه (١) ، فَهو كما قال القائل (٢) :

إن يعلموا الخيرَ يُخفوه وإن علموا

شراً أذيعَ ، وإن لم يعلموا بَهتوا (٣)

ومَنْ ذا - رحمك اللهُ - صَفَا فلم يكنُ له عيب ، وخَلصَ فلم يكن فيه شَوْب (٤) .

وقيل لبعض الحكماء : هل من أحد ليس فيه عيب؟

فقال : لا ؛ لأنّ الذي ليس فيه عيب هو الذي لا يموت (٥) .

وعَائبُ الناس يعيبُهم بفَضْل عيبه ، ويَنْتَقصُهم بحسب نقصه ، ويذيعُ عوراتهم ليكونوا شركاءَه في عورته ، ولا شيءَ أحبُّ للفاسق من زلّة العالم ، ولا إلى الخامل من عثرة الشريف ، قال الشاعر (٦) :

---

(١) التخرّص : الكذب .

(٢) هو طريح بن إسماعيل الثقفي ، شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسة ، شعره جزل رصين ، طرق فنوناً شتى من أبرزها المديح ، والحكمة ، والرثاء . تنظر مقدمة شعره المجموع ص ٧ ، وما بعدها مع مصادرها .

(٣) شعره ، ص ٧٥ ، ورواية البيت فيه :

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا

شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وينظر التخريج ففيه حديث طويل عن اختلاف الرواية .

(٤) الشوب : الخلط .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ١٧ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٣٦ ، وفيهما أنّ هذا القول لبزرجمهر ، ونُسب في العقد الفريد أيضاً ، ١/ ٣ إلى العتّابي ، ونُسب في الأجوبة المسكتة ، ص ٣٥ إلى سقراط .

(٦) هو أرطاة بن سهية كما في سمط اللآلي ، ٢/ ٩٠٦ ، وهو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك . . . بن سعد بن ذبيان ، وسهية أمّه . شاعر فصيح متقدّم من شعراء الدولة الأموية ، شريف في قومه ، جواد ، له وصف بارع للخيل . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٥٢٢ ، مع مصادر المحقق ، والأغاني ، ١٣/ ٢٧ ، وما بعدها .

ويأخذُ عَيْبَ الناس من عيب نفسه
مُرادٌ لعمري إن أردتَ قريبُ [(١)]

وقال آخر [(٢)] :

وأجرأُ مَنْ رأيتُ بظهرِ غيبٍ
على عَيْبِ الرجال ذوو العيوبِ [(٣)]

وقد كان زيادُ بنُ أبي سفيانَ حين كثُرُ طعنُ الناس عليه وعلى معاويةَ في استلحاقه عمل كتاباً في المثالب لولده وقال : مَنْ عيَّركم فقرِّعوه بمنقصته ، ومَنْ ندَّدَ عليكم فابدهوه [(٤)] بمثلبَته ، فإنَّ الشرَّ بالشرِّ يُتقى ، والحديدُ بالحديد يُفْلح [(٥)] .

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى أغرى الناس بمشاتم الناس ، وألْهَجهم بمثالب العرب ، وحالُه في نَسَبه وأبيه الأقرب إلَيه حالٌ نَكرهُ أنْ نذكرَها [(٦)] ، فنكونَ كمن أمرَ ولم يأتمِر ، وزَجَرَ عن القبيحِ ولم يزدجر ، وهي مشهورةٌ ،

---

(١) البيت بلا نسبة باختلاف يسير في : عيون الأخبار ، ٢/ ١٩ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٦٤٢ ، ومجالس ثعلب ، ١/ ١٦٢ . والتمثيل والمحاضرة ، ص ٤٥٦ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ١٦٦ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٣٩٩ ، وأمالي القالي ، ٢/ ٢٦٧ ، وفي الهامش يقول المصحّح : «البيت ينسب إلى المستورد الخارجي كما جاء في النسخة المحفوظة بدار الكتب الأهلية بباريس . . . وقد نبّه على هذا المستر كرنكو في تعليقاته على كتاب الأمالي» .

(٢) نُسب البيت في سمط اللآلي ، ص/ ٩٠٦ إلى رجل من ثقيف ويعلّق المحقق بقوله : «ويظهر ممّا في الأدباء ٤/ ١٦١ ، أنّه لخالد بن صفوان» ، ويريد بالأدباء معجم الأدباء لياقوت .

(٣) البيت بلا نسبة في : عيون الأخبار ، ٢/ ١٤ ، والبيان والتبيين ، ١/ ٥٨ ، والكامل ، ٣/ ١١٦٥ ، مع مزيد من التخريج ، ويقول المبرد : إنَّ صاحب هذا البيت أخذه من كلام المستورد حين قال له رجل : أريد رجلاً عيّاباً ، قال : التمسه بفضل معايب فيه» ، وفي أمالي القالي ، ٢/ ٢٦٧ أنَّ صاحب القول هو الأحنف بن قيس ، والأغاني ، ٢٠/ ٢٣ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٩٠٦ ، ومعجم الأدباء ، ٣/ ١٢٣٣ ، ومعاهد التنصيص ، ١/ ١٠٣ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٣٩٩ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ١٦٦ .

(٤) أبدهوه : باغتوه فجأة .

(٥) ينظر تفصيل ذلك في خزانة الأدب ، ٦/ ٥٣ .

(٦) أبو عبيدة من أصل يهودي ، أسلم جدّه على يدي بعض آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ينظر الأغاني ، ٢٠/ ٢٢ ، ومعجم الأدباء ، ٦/ ٢٧٠٤ ، وما بعدها مع مصادر المحقق ، وخزانة الأدب ، ٦/ ٥٣ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٠٧ ، وما بعدها ، والفهرست ، ص ٧٩ .

ولكن كرهنا أن تدوَّن في الكتب ، وتخلدَ على الدهر ، ولا سيما وهو رجلٌ يُحملُ عنه العلمُ ويُحتجُّ بقوله في القرآن . ومَنْ أتعبُ قلباً ، وأنصبُ فكراً ممَّن أراد أن يجعلَ الحسنةَ سيئةً ، والمنقبةَ مثلبةً ، ويحتاجُ لإخراج الباطل في صورة الحقِّ فَيقصدُ من المناقب لمثل قوس حاجب [1] ، يضحكُ منها ويُزري بها ، ويذهبُ في ذلك إلى خَسَاسَة العود ، وقلّة ثمنه . وهذا لو كان على مذاهب التّجار والسوق في الرّهون والمعامَلات لَرجعَ بالعيب على الآخذ لا على الدافع ؛ لأنَّ الدافعَ لا يألو أن يدفعَ أحقرَ ما يجدُ في أكثر ما يأخذ ، والمغبونُ مَنْ غُرَّ بالصغير عن الكبير ، وإنَّما رَهَنَ عن العرب بما ضمنه عنها من كفِّ الأذى عن مملكته ، حتى يَحْيَوا وتنكشفَ عنهم السنَةُ ، ولو كان مكانَ القوس مائةَ ألف رأس من الغنم عن هذا السبب ما كان القوسُ إلا أحسنَ بالدافع والقابل ؛ لأنَّ سلاحَ الرجل هي عزُّه وشرفُه ، وإسلامُ المال أحسنُ من إسلام العزِّ والشرف ، وقد يدفعُ الرجلُ خاتمهَ وبُردَه أو رداءَه عن الأمر العظيم ، فلا يُسلمه خوفاً من السُّبة ، وأنَفةً من العار .

قال أبو عبيدة [2] : لمّا قَتَل وكيعُ بنُ أبي سود التميمي قتيبةَ بن مسلم الباهلي بخراسان ، وبلغ ذلك سليمان [3] وهو بمكةَ وهو حاجٌّ ، خطبَ الناسَ بمسجد عرفات ، وذكر غدرَ بني تميم ، وإسراعَهم في الفتن ، وتوثّبَهم على السلطان ، وخلافَهم له ، فقامَ الفرزدقُ فَفَتحَ رداءَه ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا ردائي رَهْناً بوفاءِ تميم ومُقامِها على طاعتِك [4] ، فلمّا جاءتْ بيعةُ وكيع قال

---

(١) هو حاجب بن زرارة التميمي ، وقوسه المشهورة التي دفعها إلى كسرى ملك الفرس رهناً ، وفكَّ الرهن ابنه عطارد بعد وفاته في قصة طويلة تنظر مفصَّلة في الديباج ، ص ١٣٨ ، وما بعدها ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٠ ، وما بعدها ، والممتع ، ص ٦٩ ، وثمار القلوب ، ص ٦٢٥ ، وما بعدها ، والأخبار الموفقيات ، ص ٢٧٢ ، وخزانة الأدب ، ١/ ٣٥٤ ، وما بعدها .

(٢) ينظر شرح النقائض ، ٢/ ٥٣٧ ، وتاريخ الطبري ، ٦/ ٥١٢ ، وما بعدها ، وخزانة الأدب ، ٧/ ٣٧٢ ، وما بعدها ، وفيها : «قال العيني : الرداء في البيت الشاهد بمعنى السيف» ، يعني بيت الفرزدق القادم . ولا نراه وجيهاً ؛ لأنَّ الفتح ليس للسيف ، وخبر [افتحوا سيوفكم] ذائع مشهور .

(٣) يريد الخليفة سليمان بن عبدالملك .

(٤) كأنّه يعيد ما صنعه حاجب بن زرارة مع كسرى حين رهن قوسه عنده كما مرَّ سابقاً .

الفرزدق :

فِدى لسيوفٍ من تميمٍ وفى بها

ردائي وجلَّتْ عن وجوهِ الأهاتمِ [(١)]

يريد الأهتم بن سُمي التميمي ورهطه .

وهذا سيّار بن عمرو بن جابر الفزاري ضَمن لبعضِ الملوك ألفَ بعير ديةَ أبيه ورهنَه قوسَه ، فقبلها منه على ذلك وساقها إليه ، وفيه يقول القائل [(٢)] :

ونحن رَهنَّا القوسَ ثمَّ تخلّصَتْ

بألفٍ على ظهرِ الفزاريّ أقرعا [(٣)]

وسيّارٌ هذا هو جدُّ هَرِم الذي تنافرَ إليه عامرُ وعلقمة [(٤)] .

ومن هذا البابِ قولُ جِران [(٥)] ، وذكر اجتماعَه مع نساءٍ كان يألَفُهنَّ :

ذَهَبْنَ بمسواكي وقد قلتُ إنَّه

سيوجدُ هذا عندكنَّ فيُعرفُ [(٦)]

---

(١) ديوانه ، ٢/ ٣١٠ ، وفي المطبوع : [رداي] و [حلّت] بدل [ردائي] و [جلّت] ، وأثبتنا ما في الديوان .

(٢) هو قراد بن حنش الصاردي كما في الأغاني ، ١١/ ١٠٥ ، وخزانة الأدب ، ٧/ ٣٧٤ ، وبلوغ الأرب ، ٣/ ٢١ ، وقراد شاعر جاهلي من شعراء غطفان المشهورين من بني صاردة ، وهم فخذ من غطفان ، قليل الشعر جيده ، ويقول أبو عبيدة إنَّ غطفان كانت تغير على شعره فتأخذه وتدّعيه ، وممنْ صنع هذا ، زهير بن أبي سلمى . ينظر المؤتلف والمختلف ، ص ٣٢٧ ، وخزانة الأدب ، ٧/ ٣٧٥ ، وفيها : « . . . ورأيتُ في شعر قراد بن حنش » ، ممّا يشير إلى شعر مجموع لقراد كان بيد البغدادي ، وحفظ المعري شيئاً يسيراً من شعره في الفصول والغايات ، ص ١٠٠ .

(٣) القصة والبيت في العقد الفريد ، ٥/ ١٤٦ ، وما بعدها ، والأغاني ، ١١/ ١٠٥ ، وخزانة الأدب ، ٧/ ٣٧٤ ، والأقرع التام ، وهو نعت لكلّ ألف كما أنَّ هنيدة اسم لكلّ مائة . ينظر لسان العرب ، ٨/ ٢٦٧ ، ووقع هذا الرهن قبل حادثة حاجب مع كسرى .

(٤) ينظر أمر هذه المنافرة المشهورة في الأغاني ، ١٦/ ٢١٥ ، وما بعدها ، والشعر والشعراء ، ١/ ٢٧٧ ، والديباج ، ص ٨٨ ، وما بعدها ، وخزانة الأدب ، ١/ ١٨٤ ، وما بعدها ، وفيها أنَّ حكّام العرب هابت أن تحكم بينهما فأتوا هرم بن قطبة بن سنان . والمنافرة هي المفاخرة والمحاكمة ، ينظر لسان العرب ، ٥/ ٢٢٦ ، ويسوق حديث هذه المنافرة .

(٥) جران : لقب ، واسمه عامر بن الحارث بن كُلفة من بني ضنَّة بن نمير بن عامر ابن صعصعة ، شاعر جاهلي ، جيد الشعر ، حسن التشبيه ، فصيح العبارة ، عُرف بالغزل والوصف . والجران : باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مدَّ عنقه لينام وكان يُعمل منه الأسواط . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٧١٨ ، وما بعدها ، وخزانة الأدب ، ١٠/ ١٨ ، وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربي ، د . فروخ ، ١/ ١٨٩ .

(٦) ديوانه ، ص ١٨ ، وفيه : [قولة] بدل [إنّه] .

يظنُّ مَنْ لا يعرفُ هذا الخبرَ أنهنَّ سَلَبْنَه المسواكَ ، فاعتدَّ عليهنَّ ، وأخبرهنَّ أنّه سيوجدُ عندهنّ . ويعرفُ لقدر المسواك عندهنَّ وعنده ؛ ولأنَّ الأعرابَ أنْظَرُ قوم في التافه الحقير الذي لا خَطَر له . وكيف يظنُّ به وبهنَّ هذا ، ونجدٌ بلدٌ مُسْتَحْلس[1] بضروب من شجر المساويك لا تُحصى ، فكيف يبخلُ على نساء يهواهنَّ بعود ، وهو يصطلي به ويختبزُ ويطبخُ بشجره ، ومتى احتاجَ إلى مسواك منه لم يتكلّفه بثمن ، ولم يبعد في طلبه . والمعنى أنَّ نجداً تختلفُ منابتهُ ، فمنه ما يُنبت الإسحلَ ، ومنه ما يُنبتُ الأراكَ ، ومنه ما يُنبت البَشامَ[2] ، فأهلُ كلّ ناحية منهم يستاكون بشجر بلدهم ، وكان جرانُ العود معروفاً بهؤلاء النساء يزورُهنَّ على حَذَر من مزار بعيد ، وهو يَستنّ[3] من الشجر ما ينبتُ في بلده ، ولا ينبتُ في بلدهنّ ، فلمّا أخَذْنَ سواكَه ليتذكّرنه ، ويسترحنَ إليه كما يفعلُ المتحابّون قال : إنَّ هذا سيوجدُ عندكنَّ ، وإذا وُجد عُلِمَ أنّه ممّا يُنبته البلدُ الذي أسكنُه ، فاستدلَّ به على زيارتي إيّاكنَّ .

ويقصدُ لقول القائل[4] :

أيا بنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالك

ويا بنةَ ذي البُردين والفرسِ الوَرد[5]

فيتضاحكُ بالشعرِ ، ويستهزيء بالبُردين ، والفرسِ الورد ،

---

(١) مستحلس : كثير متنوع .

(٢) الإسحل والأراك والبشام أنواع من الشجر يستاك بأعوادها ، وأجودها البشام .

(٣) يستنّ : يستعمل المسواك .

(٤) هو قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن خالد التميمي من عقلاء العرب وحلمائهم ، وهو أحد الذين حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد تميم ووصفه بأنّه سيد أهل الوبر ، له أحاديث وفعال ووصايا تدلّ على عميق حلمه ، وسعة خبرته . ينظر الاصابة ، ٨/ ١٩٧ ، رقم [٧١٨٨] ، والاستيعاب ، ٩/ ١٨٠ ، رقم [١٢٤٠] ، وشرح شواهد المغني ، ٢/ ٥٨٧ .

(٥) نُسب البيت خطأ إلى حاتم الطائي ، وهو في ديوانه ، طبعة بيروت ، ص ٦١ ، وينظر تصحيح نسبته إلى قيس بن عاصم في ديوان حاتم ، طبعة مصر ، ص ٢٩٤ . وفي المطبوع : [الوردا] ، وقد أثبتنا الصواب ، وينظر كذلك شعر بني تميم ، ص ١٤٩ مع مصادره .

ويعارضُ[1] ذلك بملوك فارسَ ، وأسرَّتها ، وتيجانها ، وبأنَّ أبرويز[2] ارتبط تسعمائة وخمسين فيلاً على مرابطه ، وبلغت مخدَّتهُ التي كان يُشرفُ بها على الداخلِ عليه ألفَ إناء من الذهب ، وخَدَمَتْه ألفُ جارية . وقد جهلَ هذا معنى الشعر ، وأخطأ في المعارضة ، وفَخَر بما ليس له فيه حظٌّ ولا نصيب .

أمّا معنى الشعر ، فإنَّ أبا عبيدة[3] ذكر أنَّ وفودَ العرب اجتمعتْ عند النّعمان ابن المنذر ، فأخرج بُرْدَيْ مُحرِّق ، وهو عمرو بن هند ، وقال : ليَقُمْ أعزُّ العرب قبيلةً[4] فيأخذَهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة ، فأخذهما ، فاتَّزر بواحدٍ وارتدى بآخر ، فقال له : بِمَ أنتَ أعزُّ العرب؟ فقال : العزُّ والعددُ من العربِ في معدٍّ ثمّ نزار ثمّ في مضر ثمّ في خندف ثمّ في تميم ثمّ في سعد ثمّ في كعب ثمّ في عوف ثمّ في بهدلة ، فَمَن أنكر هذا من العرب فلينافرْني . فسكتَ الناسُ . فقال النعمان : هذه عشيرتُك كما تزعم فكيفَ أنتَ في أهلِ بيتك ، وفي بدنك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وعمٌّ عشرة ، وخالُ عشرة ، يغنيني الأكابرُ عن الأصاغر ، والأصاغرُ عن الأكابر ، فأمّا أنا في بدني فهذا شاهدي ، ثمّ وضع قدمَه على الأرض وقال : مَنْ أزالها من مكانها فَلَه مائةٌ من الإبل . فلم يقم إليه أحدٌ من الناس ، فَذَهبَ بالبُردين . فسُمِّي ذا البُردين . قال الفرزدق :

فَما تمَّ في سَعْدٍ ولا آلِ مالكٍ
غلامٌ إذا ما قيلَ لم يَتَبَهْدلِ

---

(١) ينقل صاحب الممتع هذا النصّ إلى قوله : «أدرك ثأره على فرسه» ، ص ٥٩ – ٦١ باختلاف ، وفيه : «وبلغت آنيته التي يشرب فيها الداخل عليه» بدل النصّ المثبت فوق ، ولعلّه أصوب ، وفي العقد الفريد ، ٥/ ٣٣٠ : «وممّا يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق : أيا ابنة . . . فقال مَنْ جهل المعنى ولم يعرف الخبر : ما في هذا المدح : أن يمدح رجل بلباس بردين ، وركوب فرس ورد وإنّما معناه . . .» ، وهو يقترب من كلام ابن قتيبة ، كما أنَّ البيت ليس للفرزدق .

(٢) أبرويز بن هرمز من أكاسرة الفرس ، ملك ثمانية وثلاثين عاماً ، غزا الشام وبلغ مصر ، أخذ رعيته بالعسف والخبط . ينظر المعارف ، ص ٦٦٥ .

(٣) ينظر شرح النقائض ، ٣/ ٨٣٨ ففيه هذا الخبر بتمامه باختلاف يسير ، والممتع ، ص ٦١ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٩٤ – ١٩٥ و ٥/ ٣٣٠ – ٣٣١ ، وسرح العيون ، ص ٤٣٥ ، وشرح الشواهد للسيوطي ، ص/ ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(٤) في الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ١٦٥ ، حديث عن سوق عكاظ إذ «كانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب ، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد ، والحلة الحسنة ، والمركوب الفاره فيقف بها وينادي عليه : ليأخذه أعزّ العرب ، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ، ويحسن صلته» .

لـهـم وَهَـبَ الـنـعـمـانُ ثـوبَـيْ مـحـرِّق

بـمـجـد مـعـدٍّ والـعـديـد الـمـحـصَّـلِ [1]

وأمّا الفرسُ الوردُ فإنَّ الخيلَ حصونُ العرب ، ومنبتُ العزّ ، وسلّمُ المجد ، وثمالُ[2] العيال ، وبها تُدْرَكُ الثأرَ ، وعليها تَصيدُ الوحشَ ، وكانوا يؤثرونها على الأولاد باللبن [3] ، ويشدُّونها بالأفنية للطلب والهرب ، وقد كنّى اللهُ عنها في كتابه بالخير لِمَا فيها من الخير [4] ، فقال حكايةً عن نبيّه سليمان صلّى الله عليه وسلّم : (إنّي أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب) [5] يعني الخيل ، وبها كان شُغلُ سليمانَ عن الصلاةِ حتى غربت الشمس [6] .

وقال طفيل [7] :

ولـلـخـيـلِ أيـامٌ فـمَـن يَـصْـطَـبـرْ لـهـا

ويـعـرفُ لـهـا أيـامـهـا الـخـيـرَ يُـعْـقـبِ [8]

وقال آخر [9] :

---

(1) ديوانه ، ٢/ ١٧٧ ، وفيه : [بُرد] بدل [ثوبي] .

(2) الثمال : الغياث والعماد .

(3) ينظر المعاني الكبير ، ١/ ٨٥ .

(4) يقول ابن قتيبة : «والعرب لكثرة انتفاعها بالخيل تسمّيها الخير» ، المعاني الكبير ، ١/ ٨٥ ، وينظر كذلك تأويل مشكل القرآن ، له أيضاً ، حيث يقول : « . . . فسمّاها (الخيل) الخير لما فيها من المنافع» ، ص ١٠٥ .

(5) سورة ص ، ٣٢ .

(6) ينظر أنساب الخيل ، لابن الكلبي ، ص ١٣ ، وحلية الفرسان ، ص ٢٩ ، وما بعدها ، وتفسير القرطبي ، ١٥/ ١٩٤ ، وتفسير الطبري ، ١٢/ ١٥٥ .

(7) هو طفيل بن عوف من قبيلة غنيّ ، شاعر جاهلي عُرف بوصف الخيل ، وترداد ذكرها في شعره ، تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(8) ديوانه ، ص ٣٥ ، وفيه : [تُعقب] بدل [يُعقب] ، ولعلَّ رواية الديوان أصوب ، وفي هامش الديوان : «قال الأصمعي بأنَّ الخير صفة الأيام» ، واعتمد ابن قتيبة هذه الرواية في كتابه تأويل مشكل القرآن ، ص ١٠٦ ، وينظر القرطين ، ١/ ١٢٣ .

(9) هو الأسعر بن حمران الجعفي كما في الأصمعيات ، ص ١٤٠ ، والخيل ، لأبي عبيدة ، ص ١١ ، ومعجم الشعراء ، ص ٤٧ ، ولسان العرب ، ١٥/ ٣٧٧ ، شاعر جاهلي ، وفارس مشهور ، اسمه مرثد بن أبي حمران ، ولقّب الأسعر ببيت قاله ، ولابن أخيه محمد بن حمران حديث مع امرىء القيس . ينظر معجم الشعراء ، ص ٤٧ ، والاشتقاق ، ص ٤٠٨ ، ولسان العرب ، ٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧ ، وخزانة الأدب ، ٩/ ١٨١ ، مع مصادر المحقق .

ولقد علمتُ على توقّيٍّ الردى

أنَّ الحصونَ الخيلُ لا مدَرَ القُرى

إنّي وجدتُ الخيلَ عزّاً ظاهراً

تُنجي من الغُمَّى ويكشفْنَ الدُّجى

ويَبِتْنَ في الثغرِ المخوفِ طلائعاً

وتبينُ للصعلوكِ جمَّةَ ذي الغِنى

باتوا بصائرَهم على أكتافِهم

وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وأى [1]

والبصيرةُ : الدم ، يريد أنّهم لم يدركوا الثأرَ فثقُلَ الدماءُ على أكتافِهم وأنَّه قد أدرك ثأرَه على فَرَسِه [2] .

وحدّثني محمد بن عبيد قال : حدَّثني سفيان بن عيينة عن شبيب بن غَرقدة عن عروة البارقي قال : سمعتُ النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول : «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامة» [3] .

قال أبو محمد : وليس لأحد مثل عتاق العرب ، ولا عندَ أحد من الناسِ من العلمِ بها ما عندهم . وسأذكر مَن ذلك شيئاً فيما بَعد إن شاء اللهُ [4] .

وإذا كان للرجلِ منها جوادٌ مُبِرٌّ [5] كريمٌ شُهِر وعُرِف به . فقيل :

(١) الأبيات من قصيدة أصمعية ، تنظر الأصمعيات ، ص ١٤٠ ، مع تخريجها ، وينظر الخيل ، ١١٧ باختلاف يسير . والعتد : الفرس التام الشديد ، والوأى من الدواب : السريع المشدّد الخَلْق .

(٢) ينظر لسان العرب ، ٤/ ٦٨ ، وفيه البيت الأخير مع شرحه .

(٣) ينظر ارشاد الساري ، ٥/ ٦٩ ، وصحيح مسلم ، ٧/ ٦٨ ، وأنساب الخيل ، ص ٩ ، والخيل ، ص ١١٠ . وحلية الفرسان ، ص ٣٧ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٥٣ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٥٢ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٦ و ٣٨ ، والأنوار ومحاسن الأشعار ، ص ١٣٣ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ٦٨ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٦٨ ، وتفسير القرطبي ، ١٥/ ١٩٤ .

(٤) سيعقد ابن قتيبة في الجزء الثاني من هذا الكتاب فقرة طويلة عن الخيل .

(٥) المُبِرُّ : الغالب .

العسجدي [1] . ولاحق [2] ، وداحس [3] ، والورد [4] .

وليس أعجبُ من سرير كسرى وفَخْر العجم به ، وتصويرهم إيّاه في الصخور الصُمّ ، وفي رعانَ [5] الجبال ، وإذا رأيتَ العربَ تنسبُ إلى شيءٍ خسيس في نفسه فليس ذلك إلاّ لمعنى شريف فيه ، كقولهم لهنيدةَ بنتَ صعصعةَ عمّة الفرزدق : ذات الخمار ، فَمَنْ لم يعرفُ سبب الخمار هاهنا يظنُّ أنّها كانت تختمرُ دون نساء قومها فنُسبَتْ إلى الخمار لذلك .

قال أبو عبيدة [6] : كانت هنيدةُ بنتُ صعصعة تقولُ : مَنْ جاءتْ من نساء العرب بأربعة مثل أربعتي يحلُّ لها أن تضعَ عندهم خمارَها فصرمتي [7] لها : أبي صَعصعةَ ، وأخي غالب ، وخالي الأقرعُ بنُ حابس ، وزوجي الزبرقانُ بنُ بدر ، فسُمِّيَت ذاتَ الخمار لذلك .

وقال : كان هندُ بن أبي هالة [8] ربيبُ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يقول : أنا

---

(١) العسجدي : فرس لبني أسد . ينظر أنساب الخيل ، ص ٣٢ ، والخيل ، ص ١٧٧ ، وأسماء خيل العرب ، ص ١٦٧ ، وأسماء خيل العرب ، لابن الأعرابي ، ص ١٢٣ ، والأنوار ومحاسن الأشعار ، ص ١٣٠ .

(٢) لاحق : فرس غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، ينظر أنساب الخيل ، ص ٢٢ ، والخيل ، ١٧٧ ، وأسماء خيل العرب ، ص ٢١٥ ، وذكر غير واحد بهذا الاسم ، وأسماء خيل العرب ، لابن الأعرابي ، ص ٨٧ و ١١٨ و ١٢٣ .

(٣) داحس : من خيل غطفان بن سعد ، وله حديث طويل في حرب غطفان . ينظر أنساب الخيل ، ص ٢٤ ، وأسماء خيل العرب ، ص ٩٧ ، وأسماء خيل العرب ، لابن الأعرابي ، ص ١١٩ .

(٤) الورد : من خيل بني هاشم ، فرس حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ينظر أنساب الخيل ، ص ٢٠ ، وهو أيضاً اسم فرس أحمر بن جندل بن نهشل ، ينظر أنساب الخيل ، ص ٦٢ ، وهو أيضاً فرس مالك بن شرحبيل ، ينظر أنساب الخيل ، ص ١٠٦ ، وأسماء خيل العرب ، ص ٢٥٥ ، وما بعدها ، وذكر كثيراً من الخيل بهذا الاسم ، وينظر كذلك الأنوار ومحاسن الأشعار ، ص ١٣٠ ، والحيوان ، ١/ ٢٧٧ .

(٥) رعان : جمع رَعْن وهو الأنف العظيم المتقدّم من الجبل .

(٦) ينظر شرح النقائض ، ٣/ ٨٣١ باختلاف يسير ، والممتع ، ص ٦٠ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٩٦ ، وثمار القلوب ، ص ٢٩٥ ، وعقد الثعالبي فيه فقرة لذات الخمار .

(٧) الصرمة : القطعة من الإبل ، قيل هي ما بين الثلاثين إلى الخمسين .

(٨) هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أمّه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وأبو هالة هو نماش أو نباش بن زرارة ، أو هند ابن زرارة بن النباش على خلاف ، وقيل غير هذا . توفي هند في البصرة بالطاعون ، كان فصيحاً بليغاً وصّافاً ، وله كلمة بديعة في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر صاحب الاستيعاب أنّ أبا عبيدة ، وابن قتيبة شرحا تلك الكلمة لما فيها من الفصاحة وفوائد اللغة . ينظر : الإصابة ، ١٠/ ٢٦٢ ، رقم [٩٠٠٩] ، والاستيعاب ، ٣/١١ ، رقم [٢٦٩٩] ، وأنساب الأشراف ، ١/ ٣٩ ، والمعارف ، ص ١٣٣ ، والممتع ، ص ١٢٦ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٤٥ . وشرحُ ابن قتيبة لكلمة هند في صفة رسول الله تجدها في كتابه غريب الحديث ، ١/ ٤٨٧ ، وما بعدها .

أكرمُ الناسِ أربعةً : أبي رسول الله ، وأمي خديجة ، وأختي فاطمة ، وأخي القاسم ، فهؤلاء الأربعةُ لا أربعتُها [١] .

وأمّا خطؤه في المعارضة فإنَّ صاحبَ البُردين لم يكن ملكَ العرب فيعارضَنا عنه بملك العجم ، ولم يدَّعِ أحدٌ أنَّه كان للعرب في دولة العجم مثلُ ملكها ، وأموالها ، وعُددها وسلاحها ، وحريرها وديباجها ، فيحتاج أن يذكرَ فيلةَ أبرويز وجواريه وفرشه ، وقد كان هذا لأولئك كما ذكرَ ثمَّ جعله اللهُ لهؤلاء ، فابتزّوه واستلبوه ، والتحَوهم كما يُلتحى القضيبُ [٢] ، والناسخ أفضلُ من المنسوخ .

وأمّا فخرُه بما ليس له فيه حظٌّ ولا نصيب ، فإنّما يَفْخَرُ بُملك فارسَ أبناءُ ملوكها ، وأبناءُ عمّالهم ، وكتّابهم ، وحُجّابهم ، وأساورتهم ، فأمّا رجلٌ من عُرْضِ [٣] العجم وعوامّهم لا يُعرفُ له نَسبٌ ، ولا يشهرُ له أبٌ ، فما حظّهُ في سرير كسرى ، وتاجه وحريره وديباجه ، وليس هو من ذلك في مَراحٍ ولا مغدًى [٤] ، ولا مظلٍّ ولا مأوًى . فإن قال : لأنّي من العجم وكسرى من العجم ، فمرحباً بالمثل المبتذل : أنا ابن جار النجار ، ولو قال أيضاً : لأنّي من الناس وكسرى من الناس ، كان وهذا سواءٌ ، وما هو بأولى بهذا السبب من العرب ؛ لأنَّ العربَ أيضاً من الناس .

قال أبو عبيدة [٥] : أجريتِ الخيلُ فَطَلَعَ منها فرسٌ سابقٌ ، فجعل رجلٌ من

(١) ينظر المعارف ، ص ١٣٣ ، وثمار القلوب ، ص ٢٩٥ .

(٢) يلتحى القضيب : ينزع عنه لحاؤه ، وفي الحديث : «فإذا فعلتم ذلك سلّط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب» ، لسان العرب ، ١٥/ ٢٤١ .

(٣) العُرض من الناس : عامّتهم .

(٤) المراح : الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه كالمغدى من الغداة . أي ليس هناك من صلة بينه وبين ملوك الفرس على سبيل المثل .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٤٨ ، وجعله في باب الحمق ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٥٥٠ ، وجعله في [باب أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء] ، ويسوق ابن قتيبة هذا الخبر والذي بعده استخفافاً بعقول الذين يحاولون جاهدين اثبات صلة ما بينهم وبين ملوك الفرس ، وليس هناك شيء على الحقيقة .

النَّظارة يكبِّر ، ويثبُ من الفرحِ ، فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتى ، أهذا السابقُ فرسُك؟ فقال : لاَ ، ولكنّ اللجامَ لي .

وقال المسعودي : قَدم علينا أعرابٌ[1] ، وكانوا يأتون ببضائعهم فأبيعَها ، وأقومُ بحوائجهم ، وكانوا يقولون : رَحمَ اللهُ أباك ديناراً ، فكَنتُ لا ألوهم عنايةً ، فقلتُ لَهم : أخبروني عن السبب بينكم وبينَ أبي؟ قالوا : كان يساومنا مرّةً بأتان . فقلتُ لهم : هل كان اشتراهاً منكم؟ قالوا : لا . قلت : الله أكبر ! قالوا : ومَا ذاك؟ قلتُ : لو اشتراها صارتْ رَحماً ونسباً .

وقد كانت العجمُ - رحمك الله - في ذلك الزمان طبقَ الأرض شَرْقاً وغرباً ، وبراًَ وبحراً إلاّ محالَ معدّ واليمن ، أفكلٌّ هَؤلاء أشرافٌ؟ فأين الوضعاءُ ، والأدنياء ، والكسّاحون ، والحجّامون ، والدبّاغون ، والخمّارون ، والرعاع ، والمُهَّان [2]؟ وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس إلاّ كاللُمعة [3] في جلد البعير . وأين ذراريهم وأعقابُهم؟ أدَرَجوا [4] جميعاً فلم يَبْقَ منهم أحدٌ ، وبَقي أبناءُ الملوك والأشراف .

وأعجبُ[5] من هذا ادعاؤهم إلى اسحاقَ بن ابراهيمَ صلّى الله عليهما وسلّم ، وفخرُهما على العرب بأنّه لسارةَ الحرّة[6] ، وإنّ اسماعيلَ أبا العرب لهاجرَ ، وهي أمةٌ قال شاعرُهم[7] :

---

(١) في المطبوع : [أغراب] وأثبتنا [أعراب] وهو يتفق مع السياق .

(٢) المُهَّان : جمع ماهن وهو العبد أو الخادم .

(٣) اللمعة : السواد حول حلمة الثدي خلقةً ، أو كلّ لون خالف لوناً فهو لُمعة ، ويريد ابن قتيبة أنّ الأشراف قلّة بالقياس إلى كثرة مَنْ ذكر من أصحاب المهن .

(٤) درجوا : انقرضوا وبادوا .

(٥) من هنا إلى قوله : «يطلق عليها اللخن» ، ينقله صاحب العقد الفريد ، ٣/ ٤٠٩ - ٤١٠ ، وصاحب بلوغ الأرب ، ١/ ١٧٠ ، من هذا الكتاب باختلاف يسير .

(٦) ينظر حول هذا الموضوع تاريخ الطبري ، ١/ ٢٧٢ ، ومروج الذهب ، ١/ ٢٦١ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ١٠٢ .

(٧) هو أبو نواس . ويظهر من حديث ابن قتيبة أنّه يُسلكه مع الشعوبيين صراحة ، وينظر الفصل الذي عقده الدكتور خليل جفال في كتابه الشعوبية والأدب عن شعوبية أبي نواس ، ص ٢٨٩ ، وما بعدها ، فهو يقول مثلاً : «إنّ خير مَنْ يمثّل النزعة الشعوبية في الشعر هو الحسن بن هانيء ، أبو نواس ، لأنّه يعطينا من جهة صورة حيّة عن الحياة العباسية بكلّ تعقيداتها . . . ولأنّه من جهة أخرى آمن بالشعوبية كمبدأ وكمنطلق لنهجه في الحياة» .

في بلدةٍ لم تَصِلْ عُكلٌ بها طُنُباً
ولا خِبَاءً ولا عَكٌّ وهَمْدانُ

ولا لجَرْمٍ ولا بَهراءَ من وطنٍ
لكنّها لبني الأحرارِ أوطانُ

أرضٌ تبنّى بها كسرى مناسكَه
فما بها من بني اللخناء انسانُ[1]

فبنو الأحرار[2] عندهم العجمُ من ولد إسحاقَ ، وإسحاقُ لسارة ، وهي حرّة ، وبنو اللخناء – عندَهم – العربُ ؛ لأنّهم من ولد إسماعيلَ ، وإسماعيلُ لهاجر ، وهي أَمَةٌ . قالوا : واللخَنْاءُ عندَ العرب : الأَمَةُ . فالويلُ الطويلُ لهؤلاء ، والبُعدُ والثبورُ من هذه العداوة لأولياء الله ، والأنباز القبيحة لصفوة الله . وقد غلطوا في التأويل على اللغة ، وليسَ كلُّ أَمَة عند العَرب لخَناءَ ، أيّ اللخناءُ من الإماء الممتهنةُ في رعي الإبل ، وسقيها ، وجَمْعِ الحطَب وحَمْله ، واستقاء الماءَ والحَلْب ، وأشباه ذلك من الخدمة ، كما يقال : الأَمَةُ الوكعاء[3] ، وليَس كلُّ أمةَ وكعاء وإنّما قيل : لخناء ؛ لنَتَنِ ريحها ، ويقال : لخَنَ السقاءُ يلخنُ لخَنَاً ، إذَا تغيّر ريحُه وأنتن[4] .

وأمّا مثلُ هاجرَ التي طهرّها اللهُ من كلّ دَنَسٍ ، وطيّبها من كلّ دَفَر[5] ، وارتضاها للخليلِ فراشاً ، وللطّيبَيْنِ اسماعيلَ ، ومحمد عليهما الصّلاةُ

(١) ديوانه ، ص ٥٣٦ ، باختلاف ، وهي بلا نسبة في العقد الفريد ، ٣/ ٤٠٩ ، وهو ينقلها عن هذا الكتاب ، ومعجم البلدان ، ٤/ ٢٥٨ حيث يقول : «وقال بعض شعراء الفرس يمدح هذه البلاد» .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ، ١/ ٧٢ ، مع تعليق المحقّق ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٣ .

(٣) الوكعاء : الحمقاء .

(٤) ينظر لسان العرب ، ٨/ ٤٠٩ و ١٣/ ٣٨٣ .

(٥) الدّفر : النّتْن وتغيّر الرائحة . والدّفَر كذلك شدّة ذكاء الريح من طيب أو نَتْن .

والسلامُ أمّاً (١) ، وجعلهما لها سلالةَ ، فهل يجوز لملحد فَضْلاً عن مسلم أن يُطْلقَ عليها اللَخَن ، ولو لم يكن إلاّ أنَّ ملكَ القبْط (٢) متّع بها سارة ، وكانت أنفسَ إمائه عنده (٣) ، وأحظاهُنَّ لديه ، لقد كان في ذلك دليلٌ على أنّها لم تكن من الإماء اللُّخْن ، ولو جازَ أن يُطلقَ على كلِّ أمَة لَخناء لجازَ أن يقالَ لكلِّ شريف وَلَدَتْه أَمَةٌ : هذا ابنُ اللخناء ، كما يقالُ : هذا ابنُ الأمة . وقد ولدت الإماءُ الخلفاءَ ، والخيارَ ، والأبرارَ مثل عليِّ بن الحسين بنَ علي بن أبي طالب(٤) ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٥) ، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (٦) .

حدّثني سهلُ بن محمد قال : حدَّثنا الأصمعي قال : كان أهلُ المدينة يكرهون اتخاذَ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الثلاثة (٧) ، ففاتوا أهلَ المدينة فقهاً وورعاً ، فرغبَ النَاسُ في السراري (٨) .

والنُّسابُ لا يعرفون لأهلِ فارسَ ، ولا للنبطِ في اسحاقَ بنِ إبراهيمَ حظّاً ؛

---

(١) في تاريخ الطبري ، ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨ ، أنَّ هاجر كانت جارية قبطية لواحد من فراعنة مصر الأوائل ، وينظر طبقات ابن سعد ، ١/ ٤٨ .

(٢) في المطبوع : [عندهم] ، وأثبتنا [عنده] لتلاؤمها مع السياق .

(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان يقال له ذو الخيرتين ، أمُّه ابنة يزدجرد ، روى عن أبيه ، وعمّه الحسن ، وابن عباس وغيرهم . كان ثقة مأموناً ورعاً ، كان مع أبيه يوم استشهد ، يلقّب بزين العابدين . ينظر الفاضل ، ص ١٠٦ ، وتهذيب التهذيب ، ٧/ ٣٠٤ ، وما بعدها ، ونثر الدرّ ، ١/ ٣٣٩ .

(٤) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، روى عن جماعة ، وروى عنه خلق كثير ، ثقة عالم ورع كثير الحديث . وصفَ بأنّه لم يكن أحد أعلم بالسنّة منه . ينظر تهذيب التهذيب ، ٨/ ٣٣٣ ، وما بعدها ، والأعلام ، ٦/ ١٥ مع مصادره .

(٥) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، ولم يكن أحد في زمانه أشبه مَنْ مضى من الصالحين في الزهد والفضل منه . ينظر تهذيب التهذيب ، ٣/ ٤٣٦ ، والأعلام ، ٣/ ١١٤ مع مصادره ، وفي العقد الفريد ، ٢/ ٣٧٣ : «كان القاسم بن محمد يلبس الخزّ ، وسالم بن عبدالله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة ، فلا ينكر هذا على هذا شيئاً ، ولا ذا على هذا» .

(٦) هم الثلاثة المتقدّمون ، وينظر الكامل ، ٢/ ٦٤٥ ففيه خبر مهم عن سعيد بن المسيب ، والممتع ، ص ٣٤٤ ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٢٨ .

(٧) الخبر في عيون الأخبار ، ٤/ ٨ ، وتهذيب التهذيب ، ٣/ ٤٣٧ .

(٨) ينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٣١٧ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ١٢٦ .

لأنَّ اسحاقَ تزوّج رِفقا بنت ناحور بن تارح ، وتارح هو آزر ، ورفقا بنتُ عمِّه ، ولدتْ له عيصو ويعقوب ، توأمين في بطن واحد [١] ، فيعقوب هو اسرائيل الذي وَلَدَ الأسباطَ كلَّهم ، وكانوا اثني عشر رجلاً [٢] ، وأولادُهم جميعاً يُدعون بني اسرائيل ، وهم أهلُ الكتاب ليس لهؤلاء فيهم سببٌ ولا نسب ، وعيصو هو أبو الروم [٣] ، وكان الرومُ رجَلاً أصفرَ شديدَ الصُفرةِ في بياض [٤] ، ومن أجلِ ذلك سُمِّيَتْ الرومُ بني الأصفر [٥] .

قالوا : وكانت أمُّ الرومِ بنتَ اسماعيل بن إبراهيم ، وولد من الرومِ خمسةُ نَفَر ، فكلُّ مَنْ بأرضِ الرومِ من نَسْلِ هؤلاء الرهط [٦] .

قالوا : ولمّا سبقه يعقوب إلي دعوة اسحاقَ فصارت النبوةُ في ولده دعا لعيصو بالنماء والكثرةِ ، فالرومِ كلُّها مَن ولدِه ، وبعضُ الناسِ يزعم أيضاً أنَّ الأشبان [٧] من وَلده .

وقالوا : النبط بن ساروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ، ويقال إنّه ابن ماش بن سام بن نوح [٨] .

قالوا : وأهلُ فارسَ من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، وكان كثيرَ الولد فنزلَ أرضَ فارسَ ، فأجناسُ الفرسِ كلُّهم من ولدِه [٩] ، فليس بينَ هؤلاء وبينَ

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٣١٧ ، ومروج الذهب ، ١/ ٣٤٠ .

(٢) المصدران السابقان ، الجزء والصفحة .

(٣) ينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٣١٧ ، ومروج الذهب ، ١/ ٣٤٠ .

(٤) ينظر المعارف ، ص ٣٨ .

(٥) ينظر المعارف ، ص ٣٨ ، والبرصان والعرجان ، ص ١٥١ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٢١٦ .

(٦) ينظر المعارف ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٧) في المعارف ، ص ٣٩ : [الأسبان] ، وينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٣١٧ ، وفي رسائل الجاحظ ، ١/ ٢١٩ أنَّ «كلّ مَنْ نزَل الحَرَّة من غير بني سُلَيم كُلُّهم سود ، وإنَّهم ليتخّذون المماليك للرعي والسقاء ، والمهنة والخدمة من الأشبانيين ومن الروم نسائهم» .

(٨) و (٩) ينظر المعارف ، ص ٢٦ ، وما بعدها ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٧٩ .

اسحاقَ بن إبراهيمَ . على ما ذكرَ النَّسابون ، نَسَبٌ يجمعُهم إلاّ سام بن نوح ، والناسُ يجتمعون في ولادة شيث بن آدم ، ثمّ في ولادة نوح ثمّ يتشعّبون ، فولدُ نوح أربعةُ نَفَر : سام وحَام ويافثَ ويام (١) ، فأمّا يامَ فهلكَ بالطوفانِ فلا عَقَبَ له (٢) ، وهوَ الذي قال له أبوه : (يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)(٣) ، وأمّا حام فإنَّ أباه لعنه ، ودعا عليه بأن يكون عبداً لأخويه ، فخملتْ ذرّيتُه ، وسقطت فيه (٤) ، فَهُم النوبة (٥) ، وفَزّان (٦) ، والزغاوة (٧) ، وأجناس السودان ، والسند (٨) ، والقبط (٩) .

وأمّا يافث فإنَّ أباه دعا له بالنماء والكثرة ، فولَدَ الصقالبَ (١٠) ، والترك ، ويأجوج ومأجوج (١١) ، وأمماً عددَ الرملِ والحَصا في مشارق الأرض .

فأمّا سام فباركَ عليه ، فأشرافُ الناسِ من ولدهِ فهم العماليق (١٢) ، ومنهم

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ، ١/ ١٩١ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٧٣ .

(٢) المصدران السابقان ، الجزء والصفحة ، والأخبار الطوال ، ص ١ ، ومروج الذهب ، ١/ ٥٢ .

(٣) هود ، ٤٢ .

(٤) ينظر العقد الفريد ، ٣/ ٣١٣ ، وتاريخ الطبري ، ١/ ٢٠٢ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٧٨ ، ومروج الذهب ، ١/ ٥٢ ، وفيها قصة اللعن .

(٥) النوبة : جنس من السودان . ينظر رسائل الجاحظ ، ١/ ٢١٦ .

(٦) فَزّان : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، وقيل : سُمّيت بفزّان بن حام ابن نوح ، والغالب على أهلها السواد . ينظر معجم البلدان ، ٤/ ٢٩٥ .

(٧) الزغاوة : بلد في جنوبي افريقية بالمغرب ، وهم جنس من السودان أيضاً ، ينظر معجم البلدان ، ٣/ ١٥٩ - ١٦٠ .

(٨) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ، وقالوا : السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح ، وهم جنس من السودان . ينظر معجم البلدان ، ٣/ ٣٠٣ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٢١٦ .

(٩) القبط : قوم ينسبون إلى قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، ينظر معجم البلدان ، ٤/ ٤٣٤ ، ويقول الجاحظ : « . . . والقبط جنس من السودان» ، رسائل الجاحظ ، ١/ ٢١٨ ، وفي العقد الفريد ، ٣/ ٣١٢ ، [النبط] بدل [القبط] ، وفي الهامش : «في الأصول : القبط وهو تحريف» ، وينظر المعارف ، ص ٢٦ ، وفيه : [القبط] ، وتاريخ الطبري ، ١/ ٢٠٢ .

(١٠) الصقالب : الصقلاب : الرجل الأبيض أو الأحمر ، وهم جيل حمر الألوان ، صهبُ الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم ، وهم من أبناء يافث بن نوح . ينظر معجم البلدان ، ٣/ ٤٧٢ ، ومروج الذهب ، ٢/ ٣ ، وما بعدها .

(١١) يأجوج ومأجوج خَلْق من الناس يقال إنّهم خمس وعشرون قبيلة ، ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وهم من نسل يافث ، ويقال إنَّهم أمّة لها أربعمائة أمير ، يتصفون بالقوة والقسوة . ينظر تفسير الطبري ، ٩/ ١٧ ، وما بعدها ، وتفسير القرطبي ، ١١/ ٥٦ ، وما بعدها ، والموضوعات ، ١/ ١٤٧ .

(١٢) العماليق أو العمالقة من العرب البائدة ، ينسبون إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وعمليق هذا شقيق طسم ، ويذكر الأخباريون أنّهم كانوا أمماً كثيرة سكنت بعضها صنعاء ، وأخرى اتخذت من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين موطناً لها . ينظر المفصّل ، ١/ ٣٤٥ ، وما بعدها .

الجبابرةُ ، وفراعنةُ مصرَ ، وملوكُ فارس . ومن ولد سام الأنبياءُ جميعاً بعد نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وإبراهيم ، ومن بعده إلى نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام . فالعربُ وفارسُ يتساوون في هذه الجمَلة ، وتَفْضُلُها العربُ بعدَها بأنّها من ولد إسماعيلَ بن إبراهيم ، فهي أدنى من خليل الله دناوةً ، وأمسُّ به رحماً [1] ، ثمَّ تتساوى العربُ ، وفارسُ في أنَّ الفريقَين مَلكوا ، وتفضُلها العربُ بأنَّ قواعدَ ملكها نبّوةٌ ، وقواعدَ ملك فارسَ استلابٌ وغَلَبَةٌ ، وتفضُلُها العربُ بأنَّ مُلكَها ناسخٌ ، ومُلْكَ فارسَ منسوخٌ ، وتفضُلُها بأنَّ ملكَها متّصلٌ بالساعة ، ومُلْكَ فارسَ محدودٌ ، وتفضُلُها العربُ بأنَّ ملكَها واغلٌ في أقاصي البلادَ ، داخلٌ في آفاق الأرض ، ومُلكَ فارسَ شظيّةٌ منه ، ليس فيه الشام ولا الجزيرةُ ، ولا خراسَان في أكثر مُدَدهم ، ولا اليمن إلاّ في أيام وَهْرز [2] ، وسيف بن ذي يزن .

ومن عَجَب [3] أمرهم أيضاً فَخْرُهم على العرب بآدم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : [لا تفضّلوني عليه فإنّما أنا حسنةٌ من حسناته] [4] ، ثُمَّ بالأنبياء ، وأنّهم من العجم إلاّ أربعةَ نَفر : هود ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد صلى الله عليه وسلّم وفي هذا القول وَضْعُ الفَخْر على غير أساس ، ومَنْ أسَّسَ بُنيانَه على الباطل ، والغرور أو شكَ أن يتداعى ، وأن يَخرَّ ، وظُلمٌ للعرب فاحشٌ .

ومنه ادعاؤهم آدمَ ، كأنَّ العربَ ليسوا من ولده ، ومنه انتحالُهم موسى ، وعيسى ، وزكريا ، ويحيى وأشْبَاهَهم من بني إسرائيلَ ، وليس بين فارسَ وبني

(١) ينظر المعارف ، ص ٢٦ ، وما بعدها ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣١٢ ، ففيها تفصيل عن سام وذريته ، وينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٢٠٣ .

(٢) وهرز : قائد فارسي ، بعث به كسرى مع سيف بن ذي يزن ليعينه على استرداد ملكه من الحبشة . ينظر المعارف ، ص ٦٣٨ و ٦٦٤ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٢٠١ و ٢/ ٢٩٠ و ٣٤٦ .

(٣) من هنا إلى قوله : « . . . عليه وسلّم» ينقله صاحب العقد الفريد ، ٣/ ٤٠٩ ، وصاحب بلوغ الارب ، ١/ ١٧٠ عن هذا الكتاب باختلاف يسير .

(٤) في سنن أبي داود ، ٢/ ٥٢٠ : «لا تخيّروني على موسى . . .» .

إسرائيلَ نسبٌ على ما بيَّنتُ لك .

ومنه دفْعُهم العربَ عن قُربهم بهؤلاء الأنبياء ، وهم بنو عمومتهم وعَصَبَتُهم ؛ لأنَّ العربَ بنو إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بإجماعِ الناسِ ، فهم بنو أخي إسحاقَ بنِ إبراهيم ، وأولى به وأحقُّ بشرفه وأولى بموسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وجميعُ الأنبياء من ولده . وقال اللهُ تعالى : (إنَّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) [1] ، فآلُ إبراهيمَ هم ولدُ إسحاق ، وولدُ إسماعيلَ ، ثمَّ قال : (ذريّة بعضها من بعض) [2] ، فأعلَمنَا أنَّ العربَ وبني إسرائيل شيءٌ واحدٌ في النسب . وفيما أوحى اللهُ إلى موسى : «إنِّي سأقيمُ لبني إسرائيلَ من إخوتهم مثلَك أجعلُ كلامي على فيه» [3] ، يريد أنَّه يُقيمُ لهم من العرب نبياً مثل موسى ، يعني نبيَّنا محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، وهذا عَلَمٌ من أعلامه ، وحجَّةٌ من حُججِنا على أهلِ الكتابِ من كتبهم .

فإن قالوا في ذلك : إنَّه يقيمُ لهم من بني إسرائيل نبياً مثلَ موسى ، وقالوا : إنَّ بني إسرائيل بعضُهم إخوةٌ بعض أكذَبَهم النظرُ ؛ لأنَّه لو أرادَ ذلك لقالَ لهم : من أنفُسهم ، ومنهم . كما أنَّ رجلاً لو أرادَ أن يبعثَ رسولاً من خندف لم يقل سأبعثُ رسولاً من إخوة خندف . فإن كان دَفْعهُم ولدَ إسماعيلَ عن تشابك نسبهم بولد إسحاق لنزولِ إسماعيلَ الحرمَ ونكاحه في جُرهم [4] ، فإنَّ الديارَ قد تتناءى ، والمحالَّ قد تتباينُ ، والرجل قد ينكحُ في البعيد ، وقد يولدُ له من الإماء ، ولا تنقطع الأرحامُ والأنسابُ ، وإن كان إسماعيلُ نَطَقَ بالعربيةِ فليس

(١) و(٢) آل عمران ، ٣٣ و ٣٤ .

(٣) جاء في التوراة السامرية ، ص ٣١٨ : «كاملاً تكون مع الله آلهك . . . نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابي بفيه فيخاطبهم بكلّ ما أوصيه» . سفر تثنية الاشتراع . الاصحاح الثامن عشر . وتنظر مقدمة تحقيق هذه التوراة ففيها حديث مستفيض عن البشارة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) تنظر قصة النكاح في تاريخ الطبري ، ١/ ٢٥٦ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ١٠٤ .

اختلافُ الناسِ في الألسنةِ يُخرِجُهم عن نَسَبِ آبائهم، وإخوانهم، وعشائرهم، فهؤلاء أهلُ السريانية قد خالفوا في اللسانِ أهلَ العبرانية، وهذه الرومُ كَفرتْ بالله، ولا شيءَ أقطعُ للعصمة من الكُفرِ، وتكلّمتْ بالرومية، ورَغبَتْ عن لسان آبائها، وليس ذلك بمخرجها عن ولادة إسحاقَ بن إبراهيمَ، على أنَّ إسماعيلَ [1] لم يكنْ أوّلَ مَنْ نطقَ بالعربية، وإنَّما تعلَّمها [2]، وإنَّما أصلُ العربيةِ لليمن؛ لأنَّهم من ولد يَعْربَ بن قحطان. وكان يعرُب أوّلَ مَنْ تكلَّمَ بالعربيّة حين تَبَلْبَلَت الألسنةُ ببابلَ، وسارَ حتى نَزلَ اليمنَ في ولده، ومَنْ تَبعه من أهلِ بيته [3]، ثمَّ نطق بَعْدَه ثمودُ بلسانه، وشَخَص حتى نَزَلَ الحِجرَ [4].

حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثني الأصمعي قال: أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال: تسعُ قبائلَ قديمة: طَسْم، وجَديس، وعهنية، وضَجمْ (بالجيم والحاء) [5]، وجعم، والعماليق، وقحطان، وجُرهم، وثمود [6].

وحدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعي قال: حدَّثنا ابنُ أبي الزِّناد عن رجلٍ من جُرهم قال: نحن بدءُ الخلق لا يشركُنا أحدٌ في أنسابنا [7].

يقول: من قدمنا فهؤلاء قدماءُ العربِ الذين فَتَقَ اللهُ ألسنتَهم بهذا اللسانِ،

---

(١) من هنا إلى رجز العجاج القادم ينقله صاحب الزينة بحروفه حيث يقول: «قال عدّة من العماء، أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة واللفظ له...»، غير أنّه لم يُشر إلى الكتاب الذي ينقل عنه، ينظر الزينة، ١/ ١٤١، وما بعدها.

(٢) ينظر تفصيل هذا الأمر في المفصَّل، ٨/ ٥٣٨، وما بعدها مع مصادره.

(٣) ينظر تفصيل هذا الأمر في المفصَّل، ١/ ١٤، وما بعدها، و ١/ ٣٦٢، وما بعدها مع مصادره.

(٤) الحِجْر: ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القُرى، وهي غير الحَجْر - بسكون الجيم - فهذه قصبة اليمامة. ينظر معجم البلدان، ١/ ٣٦٨، والمعارف، ص ٢٧، ولسان العرب، ٤/ ١٧٠، والمفصّل، ١/ ٣١٠، وما بعدها مع مصادره.

(٥) القوسان وما بينهما في المطبوع.

(٦) ينظر عن هذه القبائل، المفصَّل، ١/ ٢٩٤، وما بعدها مع مصادره، وهي التي تُسمّى بالعربِ البائدة، أو العاربة.

(٧) وهي التي يسميّها النّسابون والاخباريون [جرهم الأولى]، تمييزاً لها عن [جرهم الثانية] القحطانية. ينظر المفصّل، ١/ ٣٤٥.

وكانت أنبياؤهم عرباً : هود ، وصالح ، وشعيب .

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبِّه أنَّه سُئل عن هود : أكانَ أبا اليمن الذي ولَدهم؟ قال : لا ، ولكنَّه أخو اليمن في التَوراة : فلمّا وقعت العصبيةُ بين العرب ، وفَخَرتْ مُضرُ بأبيها إسماعيل ، ادّعت اليمَنُ هوداً ليكونَ لهم والدٌ من الأنبياءَ [1] .

قال : وأمّا شُعيب من [2] ولَد رَهْط من المؤمنين تبعوا إبراهيمَ لمّا هاجرَ إلى الشام ، ولم يكن يثبتُ لهم نَسَبٌ فيَّ بني إسرائيل ، ولم تكن مَدْيَنُ قبيلةً ولكنَّها أمّةٌ بُعثَ إليها [3] ، فلمَّا بوّأ اللهُ إسماعيلَ الحرمَ ، وهو طفلٌ ، وأنبطَ له زمزم مرَّتْ به من جُرهمَ رفقةٌ ، فرأوا ما لم يكن يعهدونه ، وأخبرتُهم هاجرُ بنسب الصبيِّ ، وحاله ، وما أمرَ اللهُ أباه فيه ، وفيها فتبرّكوا بالمكان ، ونزلوه وضمّوا إليهم إسماعيلَ ، فنشأ معهم ، ومع ولدانهم ، ثمَّ أنكحوه ، فتكلّم بلسانهم [4] ، فقيل : نطق باليعربية ، إلاّ أنَّ الياءَ زيدتْ في الاسم فحُذفَتْ في النسب ، كما تُحذفُ أشياءُ من الزوائد ، وغيرها ، كما تُغيَّر أشياءُ عَن أصولها ، والدليلُ على أنَّ أصلَ اللسان لليمَن أنّهم يقال لهم : العربُ العاربة ، ويقالُ لغيرهم : العربُ المتعرّبةُ ، يراد الداخلةُ في العرب ، المتعلّمةُ منهم . وكذلك معنى التّفعل في اللغة ، يقال : تنزّر الرجلُ ، إذا دَخَلَ في نزار ، وتمضّر ، إذا دخلَ في مضر ، وتقيّس ، إذا دخلَ في قيس ، قال الشاعر [5] :

وقيس عيلانَ ومَنْ تقيَّسا [6]

---

(١) ينظر تفصيل هذا الأمر من حيث الاختلاف ، والتنازع في المفصّل ، ١/ ٣١٣ ، وما بعدها ، و ١/ ٣٥٦ ، وما بعدها مع مصادره .

(٢) لعلَّ الأوْجه اضافةُ فاء إلى [من] لتصبح : وأمّا شعيب فمن ولد . . . ، وبها يستقيم الكلام .

(٣) ينظر تاريخ الطبري ، ١/ ٣٢٥ ، وفيه أنَّ شعيباً «بُعثَ إلى أمّتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة» ، والكامل في التاريخ ، ١/ ١٥٧ .

(٤) ينظر تفصيل هذا الأمر في تاريخ الطبري ، ١/ ٢٥٤ ، وما بعدها ، والكامل في التاريخ ، ١/ ١٠٢ ، وما بعدها .

(٥) هو العجّاج الراجز .

(٦) ديوانه ، ص ١٣٨ .

ولو كان كلُّ مَنْ تعلمَّ لساناً غيرَ لسان قومه ، ونَطَق به خارجاً من نسبهم لوجبَ أن يكونَ كلُّ مَنْ نطقَ بالعربية من العجمِ عربيّاً .

وسأقولُ في الشرف بأعدل القول ، وأبيّنُ أسبابَه ، ولا أبخسُ أحداً حقَّه ، ولا أتجاوزُ به حدَّه ، فلا يمنعُني نَسبي في العجم أن أدفعه عمّا تدَّعيه لها جهلتُها ، وأثنيَ أعنَّتَها عمّا تقدَّمَ إليها سفلَتُها [1] ، وأختصرُ القولَ ، وأقتصرُ على العيون والنّكت ، ولا أعرضُ للأحاديث الطوال في خُطَب العرب ، وتعداد أيامها ، ووفَدَاتَ أشرافها على ملوك العجَم ومقامَاتها ، فإنَّ هَذا ، وما أشبَهه قد كَثُر في كتب النّاس حتى أخلقَ ، ودُرِسَ حتّى مُلَّ ، لا سيما وأكثرُ هذه الأخبار لا طريقَ لها ، ولا نُقلَتْ من الثقات ، والمعروفين أيضاً ، تُخْبرُ عن التكلّف ، وتَدلُّ على الصنعة ، وأرجو أن لا يطَّلعَ ذوو العقول ، وأهلُ النظر منّي على إيثار هوى ولا تعمُّد لتَمويه ، وما أتبرأ بَعْدَه من العثْرة والزلّة ، إلاّ أنْ يوفّقَني اللهُ ، وما التوفيقُ إلاّ به .

وعدلُ القول في الشَرف أنَّ الناسَ لأب وأمٍّ ، خُلقوا من تراب ، وأُعيدوا إلى التراب ، وجَرَوا في مَجرى البول ، وطُووا على الأقذار ، فهذا نَسبُهم الأعلى الذي يَرْدَعُ أهلَ العقول عن التعظيم والكبرياء ، ثُمَّ إلى اللّه مَرجعهُم فتنقطع الأسبابُ ، وتَبطلُ الأحَسابُ ، إلاّ مَنْ كان حَسَبُه تقوى اللهَ ، وكانت ماتُّته [2] طاعةَ الله [3] .

---

(١) هذا كلام نفيس يومىء إلى منهج سديد ، وإنصاف جميل ، وهو ليس بغريب على مَنْ كان مثل ابن قتيبة : دين ثخين ، وعلم واسع .

(٢) الماتَّة : الحرمة والوسيلة والسبب .

(٣) نقل صاحب العقد الفريد ، ٣/ ٤١٢ ، من قوله : «وعدل القول . . .» إلى « . . . طاعة الله» ، ويسوق قول «بعض مَنْ يرى رأي الشعوبية فيما يردّ به على ابن قتيبة» في هذا الموضع ، وهو قوله : «وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب ، إنّه ذهب فيه كلَّ مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية ، فنقض في آخره كلَّ ما بنى في أوله ، فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندي أنَّ الناس . . .» ، أقول ليس هناك من نقض للكلام الأول كما يرى ذلك الشعوبي ، إنّما هو خلق الإسلام الذي تأدّب به ابن قتيبة ذاك الذي يولي الدنيا نصيباً غير أنَّ الآخرة في فكره وقلبه دوماً لا ينساها .

وأمّا النسبُ الأدنى الذي يقعُ فيه التفاضلُ بين الناسِ في حكمِ الدنيا ، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ من قبضةِ جميعِ الأرض [1] ، وفي الأرضِ السهلُ والحَزَنُ ، والأحمرُ والأسودُ ، والخبيثُ والطيّبُ . يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : (والبلدُ الطيّبُ يَخْرجُ نباتُه بإذنِ ربّه ، والذي خَبُثَ لا يخرج إلاّ نكَدا) [2] ، فَجَرَتْ طبائع الأرضِ في ولده ، فكانَ ذلك سبباً لاختلاف غرائزهم ، فمنهم الشجاعُ والجبانُ ، والبخيلُ والجوادُ ، والحييّ [3] والوَقاح [4] ، والحليمُ والعَجولُ ، والدَّمثُ والعبوسُ ، والشَكورُ والكَفورُ ؛ وسبباً لاختلاف ألوانهم وهيئاتهم ، فمنهم الأبيضُ والأسود ، والأسمرُ والأحمرُ ، والأقشرُ [5] والوسيمُ ، والخفيفُ على القلوب والثقيل ، والمحبَّبُ إلى الناس من غير إحسان ، والمُبْغَضُ إليهم من غير ذنوب ؛ وسبباً لاختلاف الشهوات والإرادات ، فمنهم مَنْ يميلُ به الطبعُ إلى العلم ، ومن يميلُ به إلى المال ، ومَنْ يميلُ به إلى اللهو ، ومَنْ يميلُ به إلى النساء ، ومَنْ يميلُ به إلى الفروسية . ثمَّ يختلفون أيضاً في ذلك ، فمنهم مَنْ يُسرعُ إلى فَهْمه الفقهُ ، ويُبطئُ عنه الحسابُ ومنهم مَنْ يَعْلَقُ بفَهْمه الطبُّ وينبو عنه النجوم ، ومنهم مَنْ يتيسَّرُ له الدقيقُ الخفيُّ ويَعتاصُ عليه الواضحُ الجليُّ ، ومنهم مَنْ يتعلَّمُ فنّاً من العلم فيرسخُ في قلبه رسوخَ النَّقرِ في الحجر ، ويتعلَّم ما هو أخفُّ منه فَيدرسُ [6] دروسَ الرَّقْم [7] على الماء .

ومنْ طَلَبة المال مَنْ يطلبهُ بالتجارة ، ومَنْ يطلبهُ بالجراية [8] ، ومَنْ يطلبهُ

---

(١) ينظر عن خلق آدم ، واختلاف طبائع البشر ، تاريخ الطبري ، ١/ ٩٠ ، وما بعدها ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٢٧ ، وما بعدها .

(٢) الأعراف ، ٥٨ .

(٣) في المطبوع : [والحيّ] ولا معنى لها هنا ، والحييّ ذو الحياء نقيض الوقاح .

(٤) الوقاح : قليل الحياء .

(٥) الأقشر : شديد الحمرة .

(٦) يدرس : يندثر ويبلى .

(٧) الرَّقم : الكتابة والختم .

(٨) الجراية : الجاري من الوظائف ، المستمر .

بالسلطان ، ومَنْ يطلبهُ بالكيمياءِ ، فَيُتلفُ بالطمعِ الكاذبِ والتماسِ المُحالِ أَثْلَةَ[1] المال .

ومنْ طلبةِ النساء مَنْ يريدُ المهفهفةَ[2] ، ومَنْ يريدُ الضَناكَ[3] ، ومَنْ يريد الغرَّةَ الصغيرةَ ، ومَنْ يريد النَّصَفَ[4] الوثيرةَ ، وأعجبُ من هذا مَنْ حُبِّبَ إليه العَجوزُ[5] ، قال الشاعر :

عجوزٌ علتْها كبرةٌ وملاحةٌ
أقاتلتي يا للرجالِ عجوزُ
عجوزٌ لو أنَّ الماءَ ملكُ يمينها
لما تركتنا بالمياه نجوزُ[6]

ومن لؤمِ الغرائزِ أنَّ من الناسِ مَنْ يُحبُّ الذمَّ كما يُحبُّ غيرُه المدحَ ، ويرتاحُ للهجاء كما يرتاحُ غيرُه للثناء ، ومنهم مَنْ يُغرى بذمِّ قومه ، وسبٍّ نفسه وآبائه ، وشتْمِ عشيرته ، منهم عَمَيرة بن جُعَل التغلبي[7] ، وهو القائل :

كسا اللهُ حيَّيْ تغلبَ ابنةِ وائلٍ
مِن اللؤمِ إصغاراً بطيئاً نُصولُها[8]

---

(١) أثلة كلِّ شيء أصله ، أي يذهبُ المال كلّه .

(٢) المهفهفة من النساء الضامرة البطن .

(٣) الضناك من النساء الضخمةُ المكتنزة الصلبة اللحم .

(٤) النَّصَف في النساء بين الشابة والكهلة .

(٥) في الشعر والشعراء ، ٢/ ٧٠٢ ، أنَّ أبا وجزة السعدي أحد مَنْ شبَّب بعجوز . وينظر خزانة الأدب ، ٤/ ١٨٢ .

(٦) البيتان في عيون الأخبار ، ٤/ ٤٤ ، بلا نسبة ، وفيه : [عليها كرَّة] ، ويعلِّق المحقِّق بقوله : «كذا بالأصل ، ولعلَّ صوابه : عجوز علتها كبرة وملاحة» .

(٧) في المطبوع : [عُميرة بن جُعيل] بضمِّ العين ، وهو شاعر جاهلي ، وأثبتنا ما في المفضليات ، ص ٢٥٧ ، إذ ساق المحققان الفاضلان أقوالاً مختلفة في اسمه ، وانتهيا إلى هذا الاسم . وفي الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٥٠ : « . . . وهو أحد مَنْ هجا قومه» .

(٨) المفضليات ، ص ٢٥٧ ، وينظر التخريج هناك .

ومنهم الحرمازي [١] ، وهو القائل :

إنَّ بني الحرماز قومٌ فيهمُ
عجزٌ وتسليطٌ على أخيهم

فابعث عليهم شاعراً يُخزيهم
يعلمُ منهم مثلَ علمي فيهم [٢]

ومنهم النُحيف [٣] ، وهو القائلُ في أمّه :

ياليتما أمُّنا شالتْ نعامتُها
أيما إلى جنّةٍ أيما إلى نارِ [٤]

ليستْ بشبعي ولو أسكنتَها هَجَرا
ولا بريَّا ولو حلّتْ بذي قارِ

تلهَّمُ الوَسْقَ مشدَوداً أشظّتهُ
كأنّما وَجْهُها قد طُلْيَ بالقارِ [٥]

---

(١) الحرمازي : هو عبد الله بن الأعور الملقّب بالكذاب الحرمازي ، شاعر ، راجز ، له حديث طويل مع العجّاج الراجز ، كان يهجو قومه ، ويكثر من الكذب فغلبت هذه الصفة عليه . ينظر : الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٨٤ – ٦٨٥ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ١٧٠ ، والبيان والتبين ، ٣/ ٢٧٦ ، والحيوان ، ٣/ ٤٨٤ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٧٤ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٥٠ .

(٢) نُسبَ الشُعر له في الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٨٥ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ١٧٠ باختلاف يسير ، وينظر هامش البيان والتبين ، ٣/ ٢٧٦ .

(٣) في المطبوع : [القحيف] بالقاف ، وهو خطأ مطبعي ، وقد أثبتنا الصواب [النحيف] بالنون ، وهو لقب سعد بن قُرط من عبد القيس ، قال هذه الأبيات يردّ فيها على أمّه بعد أن عذلته في أبيات امرأة تزوّجها لم تكن لترضاها له . ينظر شرح التبريزي للحماسة ، ٤/ ٣٥٢ ، وخزانة الأدب ، ١١/ ٨٨ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ، ١/ ١٨٦ ، وفيه : [النحيت الحدري] ، مع مصادره .

(٤) في المطبوع : [إيما] ، وقد أثبتنا [أيما] ، وفي الخزانة ، ١١/ ٨٦ ، حديث طويل عن هذا الموضوع فلينظر هناك .

(٥) يقول محقق خزانة الأدب ، ١١/ ٨٨ ، إنّ تسكين عين الثلاثي المبني للمجهول في [طُلْي] و [سُفْع] لغة لبكر بن وائل ، وناس كثير من بني تميم . والوَسْق : حمل بعير من الطعام أو التمر . والأشظّة جمع شظاظ وهو عود يُجعل في عروة الجوالقَين إذا وُضعا على البعير ، يريد أنّها لشدّة نهمها تأكلّ حمل بعير كاملاً غير منقوص .

خرقاءُ في الخيرِ لا تُهدى لوجهته

وهي صَناعُ الأذى في الأهلِ والجارِ [(١)]

ومنهم الحطيئة ، هَجا أباه ، وأمَّه ، ونفسَه ، فقال في أمِّه :

تَنحَّيْ فاقعدي منّي بعيداً

أراحَ اللهُ منكِ العالمينا

ألم أوضحْ لكِ البغضاء منّي

ولكنْ لا إخالُك تَعْقِلينا

أغرِبالاً إذا استودعت سرّاً

وكانوناً على المتحدِّثينا [(٢)]

وقال لأبيه :

لحاكَ اللهُ ثمَّ لحاكَ حقّاً

أباً ولحاكَ من عمٍّ وخالِ

فبئسَ الشيخُ أنتَ على المخازي

وبئسَ الشيخ أنتَ لدى المعالي [(٣)]

جمعتَ اللؤمَ - لا حيّاك ربّي -

وأبوابَ السفاهةِ والضَّلالِ [(٤)]

(١) الأبيات باختلاف يسير منسوبة إلى النحيف في : حماسة أبي تمام ، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ ، وشرح الحماسة للتبريزي ، ٤/ ٣٥٤ ، الأبيات الثلاثة الأولى ، وزيادات مجالس ثعلب ، وينقلها المحقّق من شرح شواهد المغني للسيوطي ، تنظر مجالس ثعلب ، ٢/ ٧٤٠ ، وشرح الشواهد ، ١/ ١٨١ ، وفيه : «كانت امرأة من عبد القيس لها ابن يقال له سعد بن قرط ، يلقّب النحيت الحدري ، يعقّها ، وكان شريراً ، فقال يهجوها . . .» ، وساق الأبيات ، وخزانة الأدب ، ١١/ ٨٨ .

(٢) ديوانه ، ص ١٠٠ ، باختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) في الديوان : [فنعم] بدل [فبئس] الأولى ، ولعلَّ رواية الديوان أصوب .

(٤) ديوانه ، ص ٣٣٤ ، باختلاف يسير .

وقال لنفسه :

أَبَتْ شَفَتايَ أَلاّ تَكَلَّما
بِشَرٍّ فما أدري لِمَنْ أنا قائلُه

أرى ليَ وجهاً شوَّه اللهُ خَلْقَه
فقُبِّحَ من وجه وقُبِّحَ حاملُه [1]

وأتى عتيبة بين النّهاس العجلي مادحاً ، فقال عيينة لوكيله : اذهب معه إلى السوق فلا يشيرنَّ إلى شيء ، ولا يسومنَّ به إلاّ اشتريته له [2] . فلمّا انصرفَ عنه قال :

سُئِلتَ فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائلاً
فَسِيّان لاذمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ [3]

ومن لؤم الغرائز أيضاً في الناس [4] أنَّ منهم مَنْ يؤثِرُ ريحَ الكرابيس [5] على ريح اليَلَنْجوج [6] ، وريحَ الحشوش [7] على نَفَحات الورد ، ويهتاج من النساء لذات القُبحْ والدفَر [8] ، ويكْسَلُ عن الحسناء ذات العطر .

ومنها أنَّ الرجلَ يكونُ في رخاءِ بعد بؤسٍ ، وسَعَةِ بعد ضيقٍ ، فيسأمُ ما هو

(١) ديوانه ، ص ٣٣٣ .

(٢) في الديوان ، ص ٢٦٦ ، هو عتيبة بن النَّهاس العجلي ، من أشرف وجوه بكر بن وائل ، وينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٣٢٤ ، والأغاني ، ٢/ ١٣٩ - ١٤٠ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٨٣ ، وخزانة الأدب ، ٢/ ٤١٠ ، وما بعدها .

(٣) ديوانه ، ص ٢٦٨ .

(٤) يستأنف ابن قتيبة كلامه الذي استطرد منه إلى آخر وهو الحديث عن اختلاف طبائع البشر .

(٥) الكرابيس : في المطبوع : [الكرابيس] ، بباء فياء ، وهو تحريف ، إذ الكرابيس مفردها الكرباس وهو القطن ، ولا معنى لها هنا ، أمّا الكرابيس بياءين ، فمفردها الكرياس وهو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض ، فإذا كان أسفل فليس بكرياس . وسمّي كرياساً لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضاً ويتكرّس . ينظر لسان العرب ، ٦/ ١٩٤ - ١٩٥ ، والحيوان ، ٥/ ٤٦٨ ففيه فقرة عن [اشتهاء ريح الكرياس] ، وبهذا المعنى يستقيم كلام ابن قتيبة .

(٦) اليلنجوج : عود طيب الريح ، وهو ممّا يُتبخَّر به .

(٧) الحشوش : الكُنُف ، ومواضع قضاء الحاجة .

(٨) الدفر : نتن الرائحة .

فيه ، ويَرْغَبُ عنه إلى ما كان عليه . وقال أعرابي قَدِم المصرَ فحسُنَت حالُه[1] :

أقولُ بالمصرِ لمّا ساءني شِبَعي
ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها جوعُ

ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها غَرَثٌ
جوعٌ يُصدِّع منه الرأس يَرْقُوعُ[2]

وهذا وأشباهُه من لئيمِ الغرائز كثيرٌ في الأمم ، وهذه الطبائعُ هي أسبابُ الشرف وأسبابُ الخمول ، فذو الهمَّة تسمو به نفسُه إلى معالي الأمور ، وترْغَبُ به عن الشائنات فيخاطرُ في طَلَب العظيم بعظيمته[3] ، ويستخفُّ في ابتغاء المكارم بكريمته[4] ، ويركبُ الهولَ ، ويدَّرعُ الليلَ ، ويحطُّ إلى الحضيض ، وتأبى نفسُه إلاّ علواً حتى يسعدَ بهمَّته ، ويظفرَ ببغيته ، ويحوزَ الشرفَ لنفسه وذرّيته ، ومَنْ لا همَّةَ له جثّامةٌ لُبَد[5] ، يغتنمُ الأكلةَ ويرضى بالدون ، ويستطيبُ الدَّعةَ ، وإن أعدمُ لم يأنفْ من ذُلِّ السؤال ، والجبانُ يَفرُّ عن أمِّه ، وأبيه ، وصاحبته ، وبَنيه ، والشجاعُ يحمي مَنْ لا يناسبُه بسيفه ، ويقي الجارَ والرفيق بمحبّته ، والبخيلُ يبخلُ على نفسه بالقليل ، والجوادُ يجودُ لمن لا يعرفُه بالجزيل . وقال الله عزَّ وجلّ : (قد أفلحَ مَنْ زكّاها وقد خاب مَنْ دَسَّاها)[6] ، يريد قد أفلحَ من أنمى نفسَه بالمعروف وأعلاها ، وقد خابَ مَنْ أسقطَها بلئيمِ الأخلاق وأخفاها .

---

(١) في عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٢ : «اشتاق أعرابي بالبصرة إلى البادية» ، وساق البيتين .

(٢) البيتان بلا نسبة في عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٢ ، وفيه : [عُرُس] بدل [غرث] ، ويعلق مصحّح الكتاب بقوله : «كذا بالأصل ، ولعلّها غَرَث بالغين المعجمة والثاء المثلثة بمعنى الجوع ليناسب المقام» ، ويرقوع : شديد ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٢٥٩ ، الأول وحده ، باختلاف يسير .

(٣) العظيمة : النازلة الشديدة .

(٤) الكريمة جمعها كرائم ، وهي نفائس الأموال التي تتعلّق بها نفس مالكها .

(٥) جثّامة لُبَد : الذي يلزم مكانه لا يبرحه ، ولا يطلبُ معاشاً .

(٦) الشمس ، ١٠ .

وقد يكون الرجلُ مخالفاً لأبيه في الأخلاق ، وفي الشمائل ، أو في الهممِ أو في جميع ذلك ، لعرْق نَزَعه من قبَلِ أجداده لأبيه وأمّه ، وقال الشاعر [1] :

وأشْبَهتَ جَدَّكَ شَرَّ الجدو
د ، والعرقُ يسري إلى النائمِ [2]

ومن الناسِ الشريفُ الحسيبُ ، وذلك الذي جَمَع إلى محاسنِ آبائه محاسنَ نفسه ، ومنهم الشريفُ ولا حَسَبَ له ، وذلك إذا كانَ لئيمَ النفسِ ، ومنهم مَنْ لا شَرفَ له ولا حسب ، وذلك إذا كان لئيمَ النفسِ ، لئيمَ السلف .

وقال قيسُ بن ساعدة : لأقضينَّ بين العرب قضيةً ما قضى بها أحدٌ قبلي ، ولا يردُّها أحدٌ بعدي : أيّما رجلٌ رمى رجلاً بملأمة دونها كرمٌ فلا لؤمَ عليه ، وأيّما رجل ادّعى كرماً دونه [3] لؤمٌ فلا كرمَ له . يعني أنَّ أوْلَى الأمور بالمرء خصالُه في نفسه . فإن كان شريفاً في نفسه ، وآباؤه لئامٌ لم يضرّه ذلكَ ، وكانَ الشرفُ أولى به ، وإن كان لئيماً في نفسه ، وآباؤه كرامٌ لم يَنْفَعْه ذلك .

ومثلُه قولُ عائشةَ [4] : كلُّ شرف دونَه لؤمٌ فاللؤمَ أولى به ، وكلُّ لؤمٍ دونَه شَرَفٌ فالشرفُ أولى به . وقال الشاعرُ في مثله :

ومَنْ يكُ ذا لؤمٍ ومجدٍ يَعدُّه
فأوْلى به من ذاكَ ما كان أقربا

---

(1) هو العباس بن مرداس السُّلمي ، كما في الحيوان ، ٦/ ٤٦٣ ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية ، والإسلام ، من شعراء سليم المتقدمين ، وأحد فرسانهم ، أمّه الخنساء الشاعرة . توفيّ في خلافة عثمان رضي الله عنه . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(2) ديوانه ، ص ١٤٧ . وعجز البيت من أمثالهم ، ينظر مجمع الأمثال ، ص/ ٤١١ .

(3) في المطبوع : [دوله] ، وهو خطأ مطبعي .

(4) القول في الفاضل ، ص ٧ باختلاف ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٩١ و٣/ ٤١١ ، وقدّم صاحب العقد شرحاً له هو : «تريد أنَّ أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه ، فإن كان كريماً وآباؤه لئام لم يضرّه ذلك ، وإن كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعْه ذلك» . وهو يقترب من كلام ابن قتيبة السابق .

فـلا لـؤمَ عـوداً بـعـد مـجـد يـهـدُّه
ولا مَـجْـدَ مـعـدوداً إذا الـلـؤمُ عـقَّـبـا

والحَسَبُ مأخوذٌ من قولك : حَسَبْتُ الشيءَ أَحْسَبُه حَسْباً ، إذا عَدَدْتَه . وكان الرجلُ الشريفُ يحسبُ مآثرَ آبائه ، ويعدُّهم رجلاً رجلاً ، فيقال : لفلان حَسَبٌ ، أي آباءٌ يُعدّون ، وفضائلُ تُحْسَب [1] ، فالمصدر مسكّن ، والاسمُ مفتوح ، كما تقولُ : هَدَمْتُ الحائطَ هَدْماً ، فتسكّن المصدر . وتقول : لما سَقَط إلى الأرضِ : هَدَمٌ ، فتفتح الدّالَ من الاسمِ .

وكذلكَ الأممُ فيها أُمَّةٌ كرمٌ بلبانها [2] ، كالعرب ، فإنَّها لم تَزَلْ في الجاهلية تتواصى بالحلْم ، والحياء ، والتَذَمُّم ، وتتعايرُ بالبخل ، والغَدْر ، والسَّفَه ، وتتنزَّهُ من الدنَاءة ، والمذمَّة ، وتتدرَّبُ بالنجدة ، والصبْر ، والبسالَة ، وتوجبُ للجار من حفْظَ الجوار ، ورعاية الحقّ فوقَ ما توجبُه للحميم ، والشقيق ؛ فربَّما بَذَلَ أحدُهم نَفْسَه دونَ جاره ، ووقى مالَه بماله ، وقُتلَ دونَ حميمه ، ومنهم كعبُ بنُ مَامةَ [3] ، وكانَ إذا جاوَرَه جارٌ فماتَ بعضُ لُحْمَته وَدَاه [4] ، وإذا ماتَ له بعيرٌ ، أو شاةٌ أعطاه مكانَ ذلكَ مثْلَه .

ومنهم عُميرُ بن سَلمى الحنفي [5] أحدُ أوفياء العرب ، وكان له جارٌ فخالفه أخوه قُرَينٌ إلى امرأته ، فاشتدَّ الرجلُ في حفْظ امرأته فقتَلَه ، وكان عميرٌ غائباً ، فلمّا قَدم ، وخُبِّرَ بذلك دفَعَ قُرَيْناً إلى وليِّ المقتولِ فقتَلَه ، واعتذرَ إلى أمِّه ،

---

(١) ينظر لسان العرب ، ١/ ٣١٠ .

(٢) بلبانها : بأصولها .

(٣) كعب بن مامة من أجواد العرب المشهورين ، وعدّه أبو عبيدة واحداً من ثلاثة هم أجواد العرب . ينظر الديباج ، ص ٢٣ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٢٤١ ، والوسيط في الأمثال ، ص ٦٦ ، ففيه كلام قريب من هذا الذي ساقه المؤلف .

(٤) اللُّحمة : القرابة . وداه : دفع ديته .

(٥) عُمير بن سلمى الحنفي أحد أوفياء العرب الثلاثة وأحفظهم لجاره ، وهو شاعر أيضاً . ينظر الديباج ، ص ٤٦ ، والمحبّر ، ص ٣٥١ ، ومعجم الشعراء ، ص ٣٤٣ .

وعظَم جُرمه ، فقالت[1] :

تَعدُّ معاذراً لا عُذرَ فيها ... ومَنْ يقتلْ أخاه فقد ألاما[2]

ومن أعجب أمر في الجوار قصَّةُ أبي حَنْبَل جارية بن مُرّ[3] ، وكان الجرادُ سَقَطَ بقُرب بيته ، فَقَصدَه الحيُّ لصيده ، فلمّا رآهم قال : أين تريدون؟ قالوا : نريد جارَكَ هذا . فقال : أيّ جيراني؟ قالوا : الجراد . فقال : أمّا إذا جعلتموه لي جاراً فوالله لا تصلون إليه[4] ، ثمّ مَنَعَ منه حتى انصرفوا[5] . فَفَخَر بعضُهم فقال[6] :

لنا هَضْبةٌ ولنا مَعْقِلٌ ... صَعَدْنا إليه بصُمّ الصِّعادِ

مَلَكْناه في أوليات الزما ... نِ من بَعْدِ نوحٍ ومن بعدِ عادِ

ومنّا ابنُ مُرٍّ أبو حَنْبلٍ ... أجارَ من الناسِ رَجْلَ الجرادِ

(١) اسمها [حُسينة] كما في الديباج ، ص ٥٥ .

(٢) الخبر والبيت في المحبَّر ، ص ٢٥١ – ٣٥٢ ، وجعله ابن حبيب في [الوافون من العرب] ، والديباج ، ص ٥٤ ، والكامل ، ١/ ٤٦٣ ، ولسان العرب ، ١٢/ ٥٥٨ ، والعجز وحده بلا نسبة في غريب القرآن ، ص ٤٢٢ ، والقرطين ، ٢/ ١٤٠ وألام : أتى ما يُلام عليه .

(٣) في المطبوع : [حارثة] ، وهو تحريف ، جارية بن مرّ الطائي من المشهورين بالوفاء والمنعة ، وكان يلقّب بمجير الجراد كما سترى ، ويوصف بدقة الساق . ينظر البرصان والعرجان ، ص ٢٨٤ ، مع مصادر المحقّق ، وينظر المزيد من أخباره ، ومصادرها في شعر طيء ، ٢/ ٣٨٢ .

(٤) ومثله صنيع مالك بن أدهم الباهلي الذي خرج يتصيَّد فأثار أصحابه ثعباناً فدخل خيمته ، وأراد أصحابه قتله فقال لهم : «قد استجار بي فأجيروه ، ولا تقتلوه ففعلوا ذلك» . ينظر الأخبار الموفقيات ، ص ١٨٩ .

(٥) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ١١٨ ، والديباج ، ص ٥٤ – ٥٦ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٣٩٣ ، والمستقصى ، ١/ ٨٨ ، وعدّه صاحب المحبَّر ، ص ٢٥٢ ، من [الوافون من العرب] ، وفي جمهرة الأمثال ، ١/ ٤٠٨ – ٤٠٩ ، أنّ الذي حمى الجراد هو مدلج بن سويد الطائي .

(٦) هو هلال بن معاوية الطائي ، كما في شرح نهج البلاغة ، ٣/ ٢٧٥ .

وزيـــدٌ لـــنـــا ولـــنـــا حـــاتـــمٌ
غـيَـاثُ الـورى فـي الـسـنـيـنِ الـشِّـداد [1]

وقال قيسُ بن عاصم [2] يذكرُ قومَه :

لا يـفـطِـنـون لِـعَـيْـبِ جـارهـمُ
وهُـمُ لِـحِـفْـظِ جِـواره فُـطُـنُ [3]

وقال مسكين الدارمي [4] :

نـــاري ونـــارُ الـــجـــارِ واحـــدةٌ
وإلـــيـــه قـــبـــلـــيَ تَـــنْـــزِلُ الـــقِـــدْرُ
مـــا ضـــرَّ جـــاراً لـــي يـــجـــاورنـــي
أن لا يـــكـــونَ لِـــبـــابـــهِ سِـــتْـــرُ [5]

وقال الحطيئةُ يَعدُّ محاسنَ قومه :

أولـئـكَ قـومٌ إن بَـنَـوا أحـسـنـوا الـبـنـا
وإن عـاهـدوا أوفَـوا وإن عـقـدوا شـدّوا
وإن كـانـتِ الـنَّـعـمـاءُ فـيـهـم جَـزَوا بـهـا
وإن أنـعـمـوا لا كـدَّروهـا ولا كَـدُّوا

---

(١) الأبيات في شرح نهج البلاغة ، ٣/ ٢٧٥ ، وشعر طيىء ، ٢/ ٧٠٦ ، باختلاف يسير ، والثالث والرابع في مجمع الأمثال ، ١/ ٣٩٣ ، والثالث في المستقصى ، ١/ ٨٨ .

(٢) مرَّت ترجمته .

(٣) البيت مع ثلاثة منسوبة إلى قيس بن عاصم في : حماسة أبي تمام ، ص ٥١٦ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٢٨٦ - ٢٨٧ ، والأمالي ، ١/ ٢٣٩ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٧٧ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٩٦٥ - ٩٩٦ ، وديوان المعاني ، ١/ ١٣٥ ، ومعجم الشعراء ، ص ٣٢٤ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ ، والمستقصى ، ١/ ٧١ ، والوسيط في الأمثال ، ص ٦٧ ، والمختار من شعر بشار ، ص ١٩٢ ، والاستيعاب ، ٩/ ١٨٣ .

(٤) مسكين الدارمي : ربيعة بن عامر بن أنيف بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدُس بن دارم ، لُقِّب مسكيناً ببيت قاله : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كانت له صلات واسعة مع شعراء عصره مثل الأخطل والفرزدق وعبد الرحمن بن حسان . أغلب شعره في الحكمة والفخر والحماسة . توفي سنة ٨٩ للهجرة . تنظر مقدّمة ديوانه مع مصادرها .

(٥) ديوانه ، ص ٤٥ ، باختلاف يسير .

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها

وإن غضبوا جاءَ الحفيظةُ والجدُّ

أقلّوا عليهم لا أباً لأبيكمُ

من اللؤمِ أو سُدُّوا المكان الذي سَدّوا [1]

ولَهم الضيافةُ عامَّة شاملة في جميع البادين منهم ، والإيثار على النَّفسِ ، والجودُ بالموجود ، وأفضلُ العطاء جهدُ المُقلّ .

وقال عثمان بن أبي العاص [2] : لَدرهَمٌ يُخرجُه أحدُكم من جَهْد فيضعه في حقٍّ خيرٌ من عشرة آلافِ درهمٍ يُخرجُها أحدُنا غيضاً من فَيْض [3] .

ولولا ماتواصوا به من الضيافة ، وتحاضّوا عليه من الإيثار ، لَماتَ الخيرُ ، وأُبْدعَ [4] به دونَ غايته .

وقال أرطاةُ بن سُهيَّة [5] :

وما دونَ ضيفي من تلاد تحوزُه

إلى النفسِ إلاّ أن تُصانَ الحلائلُ [6]

وقال ابن أبي الزّناد : قال عبد الملك بن مروان [7] : ما يسرّني أنَّ أحداً من

---

(١) ديوانه ، ص ٦٥ - ٦٦ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٢) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفي نزيل البصرة . أسلم في وفد ثقيف . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلّم على الطائف . وأقرَّه أبو بكر ثمّ عمر ، ثمّ استعمله عمر على عمان ، والبحرين سنة خمس عشرة . سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية سنة إحدى وخمسين أو خمس وخمسين ، وهو الذي منع ثقيفاً من الردّة . الإصابة ، ٦/ ٣٣٨ ، رقم [٥٤٣٣] ، وينظر العقد الفريد ، ١/ ٦١ .

(٣) القول في لسان العرب ، ٧/ ٢٠١ ، وأورد شرحاً له هو : «قليل أحدكم مع فَقْره خير من كثيرنا مع غنانا» .

(٤) أُبْدِع به أي نُقل إلى غاية هي ليست له في الأصل .

(٥) مرّتْ ترجمته .

(٦) البيت مع اثنين منسوبة إلى أرطاة في : عيون الأخبار ، ٣/ ٢٣٩ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٥٢٢ ، والحيوان ، ١/ ٣٦٧ .

(٧) القول في الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٧٥ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٣٦ ، وديوان المعاني ، ١/ ١٠٧ ، والأغاني ، ٣/ ٧١ .

العربِ ولَدني إلاّ عُروةَ بنَ الوردِ لقوله :

وإنّي امرؤٌ عافى إنائيَ شركةٌ
وأنتَ امرؤٌ عافى إنائكَ واحدُ

أتهزأُ منّي أن سَمنتَ وأن ترى
بجسمي مَسَّ الحقِّ والحقُّ شاهدُ

أُقسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ
وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ[(١)]

يريد أنّه يقسمُ قوتَه على أضيافه ، فكأنّه قَسَم جسمَه ؛ لأنَّ اللحمَ الذي ينبتُ ذلك الطعامَ يصيرُ لغيره ، ويحسو قَراحَ الماء في الشتاء ، ووقت الجدب ؛ لأنّه يؤثرُ باللبن . فتوقَّفْ علَى هذا الشعر ، وعلى ما فيه من شَريفِ المَعاني .

وقال آخر [(٢)] :

إذا ما عملتِ الزادَ فالتمسَنْ له
أكيلاً فإنّي غيرُ آكلِه وحدي

بعيداً قصيّاً أو قريباً فإنّني
أخافُ مَذمّاتِ الأحاديثِ من بعدي

فكيفَ يُسيغُ المرءُ زاداً وجارُه
خفيفُ المِعى بادي الخصاصةِ والجهدِ [(٣)]

---

(١) ديوانه ، ص ٥١ - ٥٢ ، باختلاف يسير .

(٢) هو قيس بن عاصم المنقري .

(٣) الأبيات في ديوان حاتم الطائي ، طبعة بيروت ، ص ٦٢ ، وهي ليست له ، بل لقيس ابن عاصم ، وقد أشرنا فيما سبق إلى تصحيح النسبة إلى قيس حين وقفنا عند واحد من أبياته . ينظر ديوان حاتم الطائي ، طبعة القاهرة ، ص ٢٩٥ ، والكامل ، ٢/ ٧٠٩ ، والممتع ، ص ٥٧ ، وشرح شواهد المغني ، ٢/ ٥٨٦ ، وهي منسوبة إلى قيس فيها ، وينظر أيضاً شعر بني تميم ، ص ١٤٩ .

ولعلَّ الطاعنَ أن يقولَ في هذا الموضوع : فأين هو من ذكر مُزَرِّد [1] ، وحُميد الأرقط [2] ، وهجائهما للأضياف ، وأين هو من مطاعمهما الخبيثة من الحيَّات ، والضباب ، واليرابيع [3] ، والعلهز [4] ، وشربهم الفظَّ ، والمجدوح [5] ، وأكل مياسرهم لحومَ الإبل حنيذاً [6] غير نضيج ، ونيًّا ، والعروقَ ، والعلابيَّ [7] ، وسَقطَ المائدة لا يعافون شيئاً ، ولا يتقذَّرون أكلَ السباع ، ونهشَ الكلاب ، ويَفْخَر عليهم بأطعمة العجم ، وحلوائها وآدابها على الطعام ، وأكلها بالبارجين [8] ، والسكين .

---

(١) مزرّد : هو يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي ، أخو الشماخ الشاعر المعروف ، ومزرّد لقبه الذي لُقّب به لبيت قاله . شاعر فارس له شهرة ، أدرك الإسلام وأسلم ، وهو أحد مَنْ هجا قومه ، والأضياف الذين كان يمنّ عليهم بما قراهم به ، ولذلك كان خبيث اللسان ، ويبدو أنّه أقلع عن الهجاء أخيراً . ينظر : المفضليات ، ص ٧٥ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٣١٥ ، والاشتقاق ، ص ٢٨٦ ، والممتع ، ص ١٩٧ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ١٩٠ ، ومعجم الشعراء ، ص ٤٩٦ ، والحيوان ، ١/ ٧٢ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ١٠٢ .

(٢) حُميد الأرقط : هو حُميد بن مالك بن ربعي بن مخاشن بن قيس بن نضلة . . . بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية . كان معاصراً للحجاج ، لُقّب بالأرقط لآثار كانت بوجهه ، ويصفه صاحب العقد الفريد بقوله : «هو ألأم اللئام كلهم وأبخل البخلاء . . . ويقال له هجّاء الأضياف» ، وجعله أبو عبيدة ثاني أربعة هم بخلاء العرب . ينظر الديباج ، ص ١٣ ، والبرصان والعرجان ، ص ١٠٠ ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٨٦ ، وأمالي ابن الشجري ، ٢/ ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ، ٣/ ١٢٢٥ ، وخزانة الأدب ، ٥/ ٣٩٥ .

(٣) اليرابيع : واحده يَرْبوع دُوَيّبّة فوق الجُرَذ .

(٤) العلهز : هو الوبر بالدم ، وقد أكلته مضر بعد أن أصيبت بالجدب لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها بقوله : «اللهمَّ اشَدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف» ، فأجدبوا سبع سنوات . ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٤٠٩ ، وبخلاء الجاحظ ، ص ٢١٧ ، والكامل ، ٢/ ٦٠٤ ، ولسان العرب ، ٥/ ٣٨١ .

(٥) الفظّ والمجدوح شرابان ، أمّا الفظّ فهو عصارة الفَرْث يشربونها إذا أصابهم العطش في المفاوز ، وأمّا المجدوح فإنّهم إذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الإبل ، وتلقوا ألبابها بالجفان كيلا يضيع من دمائها شيء ، فإذا برد الدم ضربوه بأيديهم ، وجدحوه بالعيدان جدحاً حتى ينقطع ، فيعتزل ماؤه من ثفله كما يخلص الزبد بالمخض ، هذا ما بيّنه الجاحظ في البخلاء ، ص ٢١٦ ، وجعل هذا الطعام ، والشراب وأشباهه من المذموم عند العرب . وينظر لسان العرب ، ٢/ ٤٢١ و ٧/ ٤٥٢ .

(٦) الحنيذ : الشواء الذي لم يبالغ في نضجه .

(٧) العلابي : جمع العلباء وهو العَصَب .

(٨) في المطبوع : [باليارحين] ، وعلّق الاستاذ كرد عليها بقوله : «لم نجد اليارحين في الكتب التي بيدي» ، وفي بخلاء الجاحظ ، ص ٦٨ قولٌ هو : «وحين أكلوا بالبارجين» ، وشرح الأستاذ الحاجري ص ٣٣٥ ، هذه اللفظة فقال : «يظهر أنَّ هذه الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي «برجنيدن» ومعناه الالتقاط ، ويلاحظ أنَّ مادة الفعل «برچين» ويؤخذ من سياق ذكرها هنا أنّها أداة من أدوات الأكل ، ولعلّها كانت شيأً قريباً من الشوكة المستعملة الآن» . ويتفق هذا الشرح الذي قدَّمه الأستاذ الحاجري مع سياق كلام ابن قتيبة السابق ، ولذلك أثبتنا ما في البخلاء ، وينظر المعجم الذهبي ، ص ١٠٧ ، وفيه برچيدن - التقاط . قطف .

فأمّا هذان الشاعران اللذان يَهْجوان الأضيافَ ، ويَصفانهم بكثرة الأكل ، وجَودة اللقم ، فإنَّ أحدَهما كان فقيراً ، ضَعيفَ الحال ، فإذا نزلَ به الضَيفُ لَم يَجد بُدّاً من إيثاره بقليل ما عندَه ، أو مشاركته فيه ، فيبيتُ طاوياً ، ويُصبحُ جائعاً ، ويجيشُ صدرُه بما حَلَّ به . والشاعرُ بمَنزلة المصدور لا بُدَّ له من أن يَنفثَ فيستريح إلى ذكْرِ لقم الضيفِ ووَصْفِ أكله وحديثه . قال هو ، أو غيرُه يذكرُ الضيفَ[1] :

تجهّزُ كفّاه ويحدُرُ حَلْقهُ
إلى الزَّورِ ماضُمَّتْ إليه الأناملُ

يقولُ وقد ألقى المراسيَ للقرى :
أبِنْ ليَ ما الحجاجُ بالناسِ فاعلُ

فقلتُ له : ما إن لهذا طرقْتَنا
فكُلْ وَدَع الأخبارَ ما أنتَ آكلُ

أتانا ولم يَعْدلْه سحبانُ وائلٍ
بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ[2]

وقال أيضاً يذكرُ الأضياف[3] :

---

(١) هو حُميد الأرقط ، وقد مرّت ترجمته .

(٢) الأبيات منسوبة إلى حميد باختلاف يسير في : عيون الأخبار ، ٣/ ٢٤٣ ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٨٧ و ٣٠٢ ، الأول والرابع ، ويسوق صاحب العقد أبياتاً غير هذه لحميد في هجاء الأضياف ، والاشتقاق ، ص ٢٧٣ ، الرابع وحده ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٢٨٩ ، والأمثال ، ص ٣٦٨ ، الرابع وحده ، وفصل المقال ، ص ٤٩٧ ، والمستقصى ، ١/ ٢٥٦ ، الرابع وحده ، والوسيط في الأمثال ، ص ٧٢ ، عدا الأول ، وثمار القلوب ، ص ١٠٢ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ٧٧ ، وسرح العيون ، ص ٣٧٨ ، الرابع وحده ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٢٥٥ ، الأبيات عدا الأول ، ولسان العرب ، ١١/ ٦٢ ، الأبيات عدا الرابع ، ونهاية الارب ، ٣/ ٢٩٩ ، وأمالي ابن الشجري ، ٢/ ٢٠٤ ، والحماسة البصرية ، ٢/ ٢٧٢ ، عدا الأول ، والرابع وحده بلا نسبة في المعارف ، ص ٦١١ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٧٢ ، الرابع وحده مع آخر منسوبان إلى حميد بن ثور ، وهما في ديوانه ، ص ١١٧ ، غير أنَّ محقق الديوان يورد نسبتها إلى حُميد في بعض المصادر ، ويعلّق بقوله : « . . . وهما بمذهبه أليط » .

(٣) هو حُميد الأرقط أيضاً .

باتوا وجُلَّتُنا الشِّهريزُ[1] بينهمُ
كأنَّ أظفارَهم فيها السكاكينُ

فأصبحوا والنَّوى عالي معرَّسهم
وليس كلَّ النوى يلقي المساكينُ[2]

أراد : من الأضياف مَنْ يأكلُ التمرَ بالنوى ، وهذا يدلُّ على شدَّة فقره .

وأمّا مزرِّد[3] فكان شَرِهاً منهوماً ، والشَرَهُ رفيقُ البخلِ ، وهو القائلُ :

لَبَكْتُ بِصاعَيْ حنطةٍ صَاعَ عَجْوةٍ
إلى صاعِ سَمْنٍ فوقَه يترَيَّعُ

فقلت لبطني : أبشرِ اليومَ إنَّه
حوى امنا ممّا تحوزُ وتَرْفَعُ

فإن يكُ مَصْفوراً[4] فهذا دواؤه
وإن يَكُ غرثاناً فذا يوم يَشْبَعُ[5]

---

(١) في المطبوع : [الشهرين] ولا معنى لها ، وأثبتنا الشهريز وهو ضرب من التمر ويسمى أيضاً : الأوتكي ، والقطيعي ، والسوادي ويلفظ أيضاً بالسين . ينظر كتاب النخلة للسجستاني ، ص ١٥٨ وبخلاء الجاحظ ، ص ١٩٧ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٦ ، والمعرّب ، ص ١٩٩ ، ولسان العرب ، ٥/ ٣٦٢ .

(٢) البيتان منسوبان إلى حميد باختلاف يسير في : عيون الأخبار ، ٣/ ٢٤٣ ، وفيه : [الصهباء] بدل [الشهريز] ، وفي الهامش يقول المحقّق إنَّ لفظة [السهرين] وردت في أصل المخطوط ، ولعلّها - كما يقول - محرفّة عن [السهريز] ، غير أنّه أثبت [الصهباء] نقلاً عن كتاب سيبويه ، ولم تَرِد الحكمة في ذلك ، وفي الكتاب ، ١/ ٧٠ ، الثاني وحده ، ويسوق المحقق في الهامش البيت الأول وفيه [السهريز] وليس [الصهباء] ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٨٧ و ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ، ٢/ ٢٠٤ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣١٧ ، الثاني وحده ، وخزانة الأدب ، ٩/ ٢٧٠ ، الثاني وحده بلا نسبة .

(٣) مرّت ترجمته .

(٤) في المطبوع : [مصبوراً] ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في المصادر ، وفي اللسان ، ٤/ ٤٦١ : رجل مصفور ومصفَّر إذا كان جائعاً ، وهو يتلاءم مع معنى البيت .

(٥) الأبيات منسوبة إلى مزرّد باختلاف يسير في : عيون الأخبار ، ٣/ ٢٠٤ ، ويسوق ابن قتيبة مع الأبيات خبراً قبلها رواه الأصمعي ، والعقد الفريد ، ٦/ ٣٠٢ ، ويسوق هو الآخر خبر الأصمعي ، والكامل ، ٣/ ١٤٤٢ ، البيت الأول وحده ، وديوان المعاني ، ١/ ٣٠٥ ، ولسان العرب ، ٨/ ١٣٨ .

وقال الحطيئة :

أعددتُ للضيفان كلباً ضارياً

عندي ، وفَضْلُ هراوةٍ من أرزن [١]

ومعاذراً كذباً وجهاً باسراً

وتشكّياً عضّ الزمان الألزن [٢]

وهذا شرُّ القوم ، وليس من الناس صنفٌ إلاّ وفيه الخيرُ والشرّ ، على ذلك أُسِّسَت الدنيا ، وعليه دَرَجَ الناسُ ، ولولا أحدُهما ما عُرِف الآخر ، وإنّما يُقضى بأغلبَ الأمور ، ويحكمون بأشهر الأخلاق .

وليس في ثلاثة من الشعراء ، أو أربعة ما هَدَر مكارمَ أخلاق آلاف من الناس ، وبدَّد صنائعَهم . فهذا كعبُ بن مامةَ [٣] آثر بنصيبه من الماء رفيقَه النمَّري حتى ماتَ عطشاً .

وهذا حاتمُ الطائي قسَّم مالَه بضعَ عشرةَ مرّةً ، ومرَّ في سفره على عَنَزَة وفيهم أسيرٌ ، فاستغاث به ولم يَحضرْه شيء فاشتراه من العنزيين فخلاّه ، وأقام

---

(١) الأرزن شجر صلب تتّخذ منه العصيّ ، وفي معجم أدشير ، ص ٧٢ : «الأرزن معرّب أرژن وهو شجر شبيه بشجر الجوز الجبلي ثمره مرّ . . . وتتخذ من أغصانه العصي ، ودشت الأرزن أي صحراؤه ، مكان بالقرب من شيراز يكثر فيه هذا الشجر» .

(٢) البيتان ليسا للحطيئة ، كما يخلو منهما ديوانه ، والأول في حماسة البحتري ، ص ٤١٥ ، والحماسة البصرية ، ٢/ ٣٧٧ ، نسباه إلى وبر بن معاوية الأسدي الذي «كان يعامل تجار المعدن ، ويلويهم بحقوقهم» ، كما يقول البحتري ، وهما بلا نسبة في غريب الحديث ، ١/ ١٧٧ ، وفيه أنّ الخليفة المنصور أنشدهما وعمرو بن عبيد يسمع ، والبيان والتبين ، ٣/ ٧٩ ، والأول وحده في الحيوان ، ٢/ ٢١٠ ، والبخلاء ، ص ٣٨ وعيون الأخبار ، ٣/ ٢٤٢ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٨٠ و ٣٨٥ ، الثاني وحده ، وخزانة الأدب ، ٩/ ٢٧٠ ، الثاني وحده . والباسر : العابس ، والألزن : الضيق الشديد .

(٣) مرّ ذكره ، وهو من أجواد العرب ، ومفاد الخبر الذي يسوقه ابن قتيبة هو أنّ كعباً سافر مع جماعة في حمارّة القيظ ، فأعوزهم الماء إلاّ يسيراً ، وكان مع كعب رجل من بني النمر بن قاسط ، فكلّما وزّعوا الماء بينهم وبلغت النوبة كعباً نظر إليه النمري ، فيقول كعب للساقي : اسق أخاك النمري ، فذهبت مثلاً ، وفعل ذلك مراراً حتى نفد الماء وسقط كعب ميتاً عطشاً ، وصار من أمثالهم : أجود من كعب ، ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٢٣٧ ، والبخلاء ، ص ٢١٨ ، والكامل ، ١/ ٣٠٠ ، والأمالي ، ٢/ ٢٢١ ، والديباج ، ص ٢٦ ، ومعجم الشعراء ، ص ٤٧١ ، والمحبّر ، ص ١٤٤ ، والأمثال ، ص ٢٤٢ ، وثمار القلوب ، ص ١٢٦ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٤٠ ، والمحاسن والمساوي، ١/ ٣١١ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٩٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٩٣ ، والوسيط في الأمثال ، ص ٦٥ ، والممتع ، ص ٥٢ .

مكانَه في القدّ حتى أدّى فداءه [١] .

وكلُّ فَخْر في طيّيء فهو راجعٌ إلى نزار ، ولهم الجبلان وهما بنجد [٢] ، وأخذهم بآدابهم ، وتخلّقهم بأخلاقهم .

وهذا عديّ شاطرَ ابن دارة [٣] الشاعرَ مالهَ . وهذا مَعَنٌ [٤] في الإسلام كان يُقال فيه : حدِّثْ عن البحر ولا حَرَج ، وعن مَعَن ولا حَرَج [٥] . وأتاه رجلٌ يستحملُه ، فقال : يا غلام ، أعطه فَرَساً ، وبرذوناً ، وبغلاً ، وعيراً ، وبعيراً ، وجاريةً ، ولو عرفتُ مركوباً غير هذا لأعطيتُكَه [٦] .

وهذا نهَيك بن مالك بن معاوية باع إبلَه ، وانطلقَ بأثمانها إلى منى فأنْهَبَها ، والناس يقولون : مجنون . فقال :

لَستُ بمجنونٍ ولكنّي سَمِحْ

أُنهِبُكم مالي إذا عزَّ القمحْ [٧]

---

(١) ينظر الفاضل ، ص ٤١ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٢٤١ ، والنوادر ، ص ١٨٧ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٨٧ ، والأغاني ، ١٦/ ٩٢ و١٧/ ٣٠٢ ، والديباج ، ص ٢٤ ، وثمار القلوب ، ص ٩٨ ، والمحاسن والمساويء ، ١/ ٣٠٩ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٢٣٨ ، وسرح العيون ، ص ١١٥ .

(٢) الجبلان هما أجأ وسَلمى ، وهما منازل طيّيء ، ينظر معجم البلدان ، ١/ ١١٩ ، وما بعدها ففيه حديث طويل عن الجبلين ، ومعجم ما استعجم ، ١/ ١٠٩ .

(٣) ابن دارة : هو سالم بن مسافع ، وأمّه دارة ، من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان كثير الهجاء ممّا كان السبب في قتله ، ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٤٠١ ، وما بعدها مع مصادر المحقق . وفي الإصابة ، ٥/ ٤ إشارة إلى أنّه قُتل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤) معن بن زائدة الشيباني ، القائد ، والجواد المعروف ، كان من قُوّاد بني أمية ، ثمّ خُصّ بالمنصور فأبلى معه البلاء الحسن ، فقرّبه وأعلى منزلته ، وولي سجستان في أواخر عمره ، وكانت الشعراء تقصده فتمدحه ، وكان هو نفسه شاعراً ، وأخبار كرمه ، وسعة عقله كثيرة ذائعة . ينظر وفيات الأعيان ، ٤/ ٣٣١ ، وتاريخ بغداد ، ١٣/ ٢٣٥ ، ومعجم الشعراء ، ص ٤٠٠ .

(٥) صار هذا من أمثالهم . ينظر البيان والتبين ، ٢/ ١١٣ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٣٣٨ ، والعقد الفريد ، ١/ ٣٠٢ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٣٦٨ ، وتمثال الأمثال ، ٢/ ٤٢٣ ، وفي ثمار القلوب ، ص ٢٠٣ يقال : «حدّث عن البحر ولا حرج ، وعن الفضل ولا حرج» ، وهو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٣٣٨ ، والعقد الفريد ، ١/ ٣٠٢ .

(٧) الخبر والشعر في عيون الأخبار ، ١/ ٣٣٩ ، وكُتب الشعر على هيئة النثر هناك ، والمؤتلف والمختلف ، ص ١٨٩ ، وفيه أنّ اسمه كهيل بن مالك بن معاوية ، ويُعرف بابن المحدقة ، وهي أمّ أبيه .

وهذا شيءٌ يكثرُ جداً ، ويتّسعُ القولُ فيه ، ويخرجُ الكتاب من فنّه باستقصائه . وكان غرضُنا في هذا الكتابِ أن ننبّهَ بالقليلِ من كلِّ شيء في عيونِ الأخبار .

وأمّا تعييرُهم إيّاهم بخبيثِ المطعمِ كالعلهز ، والحيّات . وخبيث المشرب كالفظّ ، والمجدوح ، فإنَّ هذا وأشباهَه طعام المجاوع [1] والضرورات ، وطعامُ نازلة القَفْر [2] والفلوات [3] . وقال الشاعر [4] :

إذا السَّنةُ الشهباءُ [5] حَلَّ حرامُها [6]

يريد أنّهم يأكلون فيها الميتة . وقال الراعي :

إلى ضوءِ نارٍ يشتوي القِدَّ أهلُها

وقد يكرمُ الأضيافُ والقِدُّ يُشتوى [7]

وإنّما كان يكون هذا عيباً لو كانتِ العربُ مختارةً له في حالةِ اليُسْرِ ، كما

---

(١) يقول ابن قتيبة في غريب الحديث ، ٢/ ٢٤٨ : « . . . وهذه أشياء كانوا يفعلونها عند الضرورات ، وفي الأسفار ، والمجاعات . . . وإنّما يكون هذا عيباً لو كانت العرب مختارةً له في حال الغنى واليسر ، وكانت تمدحه وتحمد أكله » . وانتقل هذا المطعن إلى الأندلس بعد هذا إذ نرى ابن غرسية يضمّنه رسالته في الطعن على العرب وتفضيل العجم عليها . ينظر ، ص ٢٥٠ ، نوادر المخطوطات مع الردود عليها .

(٢) في المطبوع : [الفقر] وهو خطأ مطبعي .

(٣) يقول الجاحظ : « . . . والشعوبية ، والآزادمردية المبغضون لآل النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ممَّن فتح الفتوح ، وقتل المجوس ، وجاء بالإسلام تزيّد في جشوبة عيشهم ، وخشونة ملبسهم ، وتنقّص من نعيمهم ، ورناغة عيشهم » ، البخلاء ، ص ٢٢٨ ، ويقول أيضاً : « . . . والشعوبية تهجو العرب بأكل العلهز والغثّ ، والدعاع ، والهبيد » ، الحيوان ، ٥/ ٤٤٢ .

(٤) هو الفرزدق كما في الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٠٠ ، والديوان .

(٥) جاء في الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٣ : «السنة الشهباء البيضاء من الجدب ، وقال ابن الأعرابي : التي ليس فيها مطر» .

(٦) هذا عجز بيت ، وصدره : [وكان حيا للممحلين وعصمة] ، ديوانه ، ٢/ ١٩٢ ، ويعلّق المرزوقي على هذا الشطر بقوله : «أي يأكلون فيها الميتة والدم» . الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٠٠ .

(٧) ديوانه ، ص ٢ . والقدّ هو السَّير الذي يُقَدُّ أي يُقطع من الجلد ، وفي الديوان أنَّ ضيفاً طرق الراعي في سنة مجدبة ، ولم يحضره قرى وكان الضَيفُ على جمل له ، فأمر الراعي ابن أخته أن ينحر الجمل ويطعمه الضيف ففعل ، فعُيِّر بذلك .

تختارُ بعضُ العجمِ الذبابَ ، وبهم عنه غنى ، والسراطينُ[١] ، والدجاجُ لهم مُعرْضَةٌ . فأمّا حالَ الضرورة فالناسُ كُلُّهم يُعسرون ، فَمَن لم يجد اللحمَ أكلَ اليربوعَ ، والضبَّ ، ومَنْ لم يَجد الماءَ شَربَ المجدوحَ ، والفظَّ .

قال الأصمعي : أُغير على إبلِ حُرَيْثة ، فذهب فركبَ بَحيرةً ، فقيل : أتركبُ الحرام؟ فقال : يركبُ الحرامَ مَنْ لا حلالَ له[٢] . وقال الشاعر[٣] :

يـا لـيـتَ لـي نَعْـلَـيـن مـن جـلـدِ الـضَّبُـعْ

كـلُّ الـحـذاء يـحـتـذى الـحـافـي الـوَقِـعْ[٤]

ومـمّا يدلُّكَ على أنَّ أهلِ الثروةِ منهم على خلافِ ما عليه الصعاليكُ ، والعُثْرُ[٥] قولُ الشاعر[٦] :

فـمـا لـحـمُ الـغـرابِ لـنـا بـزادٍ

ولا سـرطـانُ أنـهـارِ الـبـريـصِ[٧]

---

(١) السراطين : جمع سرطان ، دابة من خلق الماء ، تسمّيه الفرس فُخ . ينظر لسان العرب ، ٧/ ٣١٤ .

(٢) ينظر العقد الفريد ، ٣/ ٤٢٩ ، وفيه : [خزيمة] بدل [حريثة] ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٣٨٠ ، وفيه : [جريّة بن أوس] ، وساق قصة مع أبيات . والبحيرةُ الناقة أو الشاة تشقّ أذنهما إذا نتجتا عشرة أبطن فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ، وتترك لترعى وترد الماء ، ويحرّم لحمها على النساء ويحلّل للرجال ، فنهى الله عن ذلك في محكم الكتاب . ينظر لسان العرب ، ٤/ ٤٣ ، وتفسير غريب القرآن ، ص ١٤٧ ، وسيرة ابن هشام ، ١/ ٧٩ ، والأصنام ، ص ٢٤ و ٦٩ ، والقرطين ، ١/ ١٤٧ و ١٧١ ، وفي المعمرّون والوصايا ، ص ٤٥ ، حديث طويل عنها ، والأوائل ص ٤٨ – ٤٩ .

(٣) هو أبو المقدام ، واسمه جسّاس بن قطيب كما في المستقصى ، ٢/ ٢٢٤ ، ولسان العرب ، ٨/ ٤٠٧ . وفي العقد الفريد ، ٣/ ١١٣ : «قال أعرابي» ، وفي جمهرة الأمثال ، ٢/ ١٦٤ : « . . . وهو من أرجوزة لبعض الأعراب» .

(٤) الشطر الثاني من أمثالهم ، ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ١٣ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٠٠ ، وفصل المقال ، ص ٣١٨ ، والوسيط في الأمثال ، ص ١٤٣ ، وفيها الشعر بلا نسبة ، وينظر كذلك : غريب الحديث ، ٢/ ٢٤٣ ، والبيان والتبيين ، ٣/ ١٠٩ ، والحيوان ، ٦/ ٤٤٦ ، والبخلاء ، ص ١٨٨ ، والبرصان والعرجان ، ص ٣٠٦ ، والعقد الفريد ، ١/ ٨٠ و ٢٨٠ و ٣/ ١١٣ و ٤٢٩ و ٦/ ٢٢٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ١٦٤ و ٤٢٩ ، والاشتقاق ، ص ٢٩١ ، ولسان العرب ، ٨/ ٤٠٧ ، وفيه : «قال الأزهري : معناه أنَّ الحاجة تحمل صاحبها على التعلّق بكلّ شيء قدر عليه» . والوقِع : الذي أصابت الحجارة قدميه فأوهنتها .

(٥) العثر : التعساء الضعفاء .

(٦) هو وعلة الجرمي كما في غريب الحديث ، ١/ ٢٠٣ ، والممتع ، ص ٤٤٢ ، والحيوان ، ٢/ ٣١٧ ، ومعجم البلدان ، ١/ ٤٨٣ ، ولسان العرب ، ٧/ ٦ ، ونهاية الأرب ، ١٠/ ٢١١ ، وهو وعلة بن عبدالله بن الحارث بن بُلع بن سُبيلة الجرمي ، شاعر جاهلي من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها . ينظر المؤتلف والمختلف ص ١٩٦ ، والمفضليات ، هامش صفحة ١٦٤ .

(٧) البيت منسوب لوعلة في المصادر السابقة ، وفي غريب الحديث «وكانت العرب تتعاير بأكل لحم الغراب وتعدّه من الخبائث» . وهو بلا نسبة في خزانة الأدب ، ٤/ ٣٨٣ ، والبريص : موضع بدمشق .

فانتفى من أكلِ لحوم الغِربان ، وعيَّر بها قوماً . وقال آخر [1] لامرأته :

أكــلــتُ دمــاً إن لــم أرُعْــكِ بــضــرَّة
بعيـدة مـهوى الـقُـرط طـيِّبـة الـنَّشْـر [2]

فلو كان شُرْبُ المجدوحِ عنده محموداً لم يجعلْ يمينَه شُربَ الدم ، كما يقولُ القائلُ : شركتُ باللهِ إن لم أفعلْ كذا وكذا .

وقال آخر :

نـعـافُ وإن كـانـتْ خـمـاصاً بـطـونُـنـا
لُـبـابَ الـنَـقـيِّ والـعـجـابَ الـمـجـرَّدا

يريد أنَّه يرغب وإن كان جائعاً عن أكلِ الخبز بالتمر إلى أكله بالشحم .

ونزل رجلٌ من العرب [3] فقدَّم إليه جراداً ، فعافَها [4] ، وأنشأ يقول :

لَـحى الـلـهُ بيـتاً ضـمَّـنـي بَعْـد هَـجْـعـة
إلـيـه دجـوجـيٌّ مـن الـلـيـلِ مـظـلـمُ

فـأبـصـرتُ شـيـخـاً قـاعـداً بـفـنـائـه
هــو الــعَــيــرُ إلاّ أنَّــه يــتــكــلَّــمُ

---

(١) من هنا يبدأ المخطوط .

(٢) البيت بلا نسبة في حماسة أبي تمام ، ص ٦٣٧ ، وفيه : «قال بعض الأعراب يخاطب امرأته حين تزوجها فلم توافقه ، فقيل له : إنَّ حمّى دمشق سريعة في موت النساء ، فحملها إلى دمشق» ، وشرح التبريزي للحماسة ، ٤/ ٣٥٨ ، وفيه : [قال بعضهم] ، ومعاني أبيات الحماسة ، ص ٢٥١ ، وأورد المحققّ نسبة البيت إلى أنيف بن قترة الكلبي نقلاً عن الأشباه والنظائر ، ٢/ ٢٩٠ ، أو عروة الرحال نقلاً عن سمط اللآلي ، ٢/ ٦٧٢ ، وينظر الهامش الأول ، والحماسة البصرية ، ٢/ ٣٠٨ عن تخريج القطعة ، وفي سمط اللآلي أنَّ عروة الذي نُسب إليه الشعر هو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وسميّ رحّالاً ؛ لأنّه كان وفّاداً على الملوك ، قتله البرّاض بن قيس الكناني ، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حييّ خندف وقيس . ينظر ، ٢/ ٦٧٢ .

(٣) في عيون الأخبار ، ٣/ ٢١١ تتمّة مفيدة هي : « . . . برجل من الأعراب فقدَّم . . . » .

(٤) في المخطوط : [فعافه] .

أتـانـي بـيـرقـان الـدَّبـا فـي إنـائـه
ولـم يَـكُ فـي يَـرَقِ الـدَّبـا لـيَ مَـطْعَـمُ
فَـقُـلْـتُ لـه : غَـيِّـبْ إنـاءَكَ واعـتـزل
فـهـل ذاقَ هـذا - لا أبـا لـكَ - مُـسْـلِـمُ[1]

وأمّا أكلُهم العَلابيَّ[2] ، والعروقَ ، واللحمَ النَيّ ، وتركُهم طيبَ الأطعمة والأطبخة ، وحُسْنَ الأدب عند الأكل ، فهذا لَعمري هو الأغلبُ على مَنْ الأغلبُ عليه الفَقرُ ، فأمّا ذوو النِّعمة واليسار[3] ، والأقدار فقد كانوا يعرفون أطايبَ الطعامِ ، ويأكلونَها ، ويأخذونَ بأحسنِ الأدب[4] عليها[5] .

فالمضيرةُ لهم ، واسمُها يدلُّكَ على ذلك ، تُطبخُ[6] باللبن الماضرِ ، وهو الحامض ، فاشتُقَّ اسمُها منها[7] .

والهريسةُ لهم ، سُمّيتْ بذلك لأنَّها تُهرسُ ، أي تُدقُّ[8] . ويقال للمدقّ المهراس .

والوشيقة لهم ، والعامةُ تسمّيها العشيقة ، سُمّيتُ بذلك ؛ لأنَّها توشقُ ، أي تُقْطَعُ صغاراً[9] .

---

(١) الأبيات بلا نسبة مع اختلاف يسير في : عيون الأخبار ، ٣/ ٢١١ ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٨٨ ، واليرقان : دود يكون في الزرع ثم ينسلخ فيصير فراشاً ، والدبّا : الجراد قبل أن يطير ، وقيل : هو نوع من الجراد .

(٢) العلابي : جمع العلباء ، وهو العصب .

(٣) في المخطوط : [منهم] بدلاً [واليسار] .

(٤) في المخطوط : [الآداب] .

(٥) يقول الجاحظ : «وإذا نظرتَ في أشعارهم علمتَ أنّهم قد أكلوا الطيب ، وعرفوه» . البخلاء ، ص ٢٢٩ .

(٦) في المخطوط : [فإنّها تطبخ] .

(٧) ينظر أدب الكاتب ، ص ١٦٩ ، وفي العقد الفريد ٦/ ٢٩١ : «المضيرة سميت بذلك لأنّها طبخت باللبن الماضر الحامض» ، ولسان العرب ، ٥/ ١٧٨ .

(٨) ينظر أدب الكاتب ، ص ١٦٩ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٢٩١ ، والنوادر ، ص ٨١ ، ولسان العرب ، ٦/ ٢٤٧ .

(٩) الوشيقة من اللحم ، وهو أن يغلى إغلاءةً ثم يُرفع . ينظر العقد الفريد ، ٦/ ٢٩٠ ، وغريب الحديث ، ٢/ ٤٧ ، ٤٨٠ ، ولسان العرب ، ١٠/ ٣٨١ .

والعصيدةُ لهم ، سُمِّيَت بذلك ؛ لأنَّها تُعْصد إذا عُملت ، أي تُلوى ، وكلُّ شيء ألويته فقد عَصَدْتَه [1] ، ومنه قيل للمائلِ عنقُه [2] : عاصد [3] ، وقال مرزِّد[4] :

لبكتُ بصاعَيْ حنطةٍ صَاعَ عجوةٍ
إلى صاعِ سَمْنٍ فوقَه يتريَّعُ[5]

وهذا [6] هو العصيدة . وقال[7] أميّة بن أبي الصلت[8] في عبدالله بن جدعان :

له دَاعٍ بمكَّةَ مشمعلٌّ
وآخرُ فوقَ دارتِه ينادي
إلى رُدُحٍ من الشيزي ملاء
لبابَ البرِّ يُلبكُ بالشهادِ [9]

وهذا هو الفالوذ . وهم أوصفُ الناسِ للطعام [10] ، وألطفُهم في ذكره .

حدّثني أبو حاتم قال : حدَّثني [11] الأصمعي قال : [حدَّثنا أبو طُفيلة

---

(1) ينظر أمالي القالي ، 1/ 122 ، ولسان العرب ، 3/ 291 .

(2) في المخطوط : [العنق] .

(3) ينظر أدب الكاتب ، ص 169 .

(4) مرّت ترجمته .

(5) مرَّ تخريج البيت .

(6) في المخطوط : [فهذا] .

(7) في المخطوط : [وأمّا] .

(8) في المخطوط : [فإنّه قال في] .

(9) ديوانه ، ص 33 ، والمشمعلّ : النشيط السريع . والردح : الجفان العظيمة . والشيزى : خشب أسود تصنع منه الجفان .

(10) في المخطوط : [الطعام] .

(11) في المخطوط : [عن] بدل [قال : حدَّثني] .

قال :[(١) حدَّثنا شيخٌ من أهلِ البادية قال : ضِفْنا فلاناً بحنطة كأنَّها مناقيرُ النُّغران ، وتمرٍ كأنَّه (٢) أعناق الوَرلان يوحل فيه الضرس (٣) .

وحدَّثنا الأصمعي أيضاً عن أعرابي أنَّه قال : تمرُنا خرسٌ فُطْس (٤) يغيبُ فيه الضِّرس : كأنَّ نواه ألسنُ الطيرِ ، تضعُ التمرةَ في فيك فتجد حلاوتَها في كعبك(٥) .

وحدَّثني عبد الرحمن عن عمِّه قال : قال شيخٌ من أهلِ المدينة : [أتيتُ فلاناً](٦) فأتاني بمرقة كأنَّ فيها مشقاً (٧) ، فلم أرَ إلاَّ كبداً طافيةً ، فَغَمستُ يدي فوجدتُ مُضغةً ، فمددتُها فامتدَّتْ حتى كأنِّي أزمرُ في ناي (٨) .

ولهم أطبخةٌ كثيرةٌ ، ومن أطبختهم الغسَّانية ، وهي لا تعرفُها عامَّتُنا كالحيسة(٩) ، والربيكة (١٠) ، والخزيرة (١١) ، واللفيتة (١٢) ، تركتُ ذكرَها ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقطة في المخطوط .

(٢) في المطبوع : [كأنّها] .

(٣) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٠١ ، وبخلاء الجاحظ ، ص ١٨٠ ، وديوان المعاني ، ١/ ٢٩١ ، والنغران جمع نُغَرة وهي صغار العصافير ، والورلان جمع الوَرَل : دابّة على خلقة الضبّ إلاّ أنّه أعظم منه . ينظر لسان العرب ، ٥/ ٢٢٣ و ١١/ ٧٢٤ .

(٤) ما سيأتي إلى ص ٩١ ساقط من المخطوط .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٠١ ، وديوان المعاني ، ٢/ ٤١ ، وفيه أنَّ صاحب القول هو الغاضري ، والعقد الفريد ، ٣/ ٤٨٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٢٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط في المطبوع ، والزيادة من عيون الأخبار ، ٣/ ١٩٩ ، وبها يستقيم الكلام .

(٧) المشق : طين يصبغ به الثوب ، ينظر لسان العرب ، ١٠/ ٣٤٥ ، كأنّه يعرِّض بثخانة هذه المرقة ولا شيء فيها .

(٨) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ١٩٩ باختلاف يسير .

(٩) الحيسة : طعام يتخذ من التمر والأقط يدقّان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً ثم يسوّى كالثريد . ينظر لسان العرب ، ٦/ ٦١ .

(١٠) الربيكة : طعام يتخذ من الأقط والتمر والسمن يعمل رخواً . ينظر لسان العرب ، ١٠/ ٤٣١ ، وغريب الحديث ، ١/ ٦١٤ .

(١١) الخزيرة : في المطبوع : [الخريزة] ولا معنى لها هنا ، أمّا الخزيرة فطعام يتخذ من اللحم يقطع صغاراً فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق فعُصد به . ينظر لسان العرب ، ٤/ ٣٣٧ ، وغريب الحديث ، ٢/ ١٤٠ ، وربما اتخذت الخزيرة من الدسم والدقيق وحدهما . ويقول جرير :

ودعا الزبير فما تحركت الحُبى
لو سُمْتَهم جُحْفَ الخزير لثاروا

ديوانه ، ص ١٥٧ .

(١٢) اللفيتة : العصيدة المغلّظة . ينظر لسان العرب ، ٢/ ٨٥ ، وغريب الحديث ، ٢/ ١٤٠ .

واقتصرتُ على ما تعرف .

وكانوا يقولون : أطيبُ اللحمِ عُوَّذُه [1] . يريدون أطيبَه ، ماوليَ العظمَ كأنَّه عاذ به [2] .

وكانوا يقولون : إذا أكلتم فسمّوا وأدنوا . يريدون بـ «أدنوا» كلوا ممّا بين أيديكم [3] .

وكانوا يكرهون أكلَ الدِّماغ ، ويرون استخراجَه رغباً ، وحرصاً . وقال قائلُهم [4] :

ولا ينتقى المخُّ الذي في الجماجمِ [5]

ومن قبائلِ العربِ مَنْ يعاف أَلْيَةَ الشاة ، ويقولون : هي طبقُ الأست [6] .

وقال قائلُهم [7] :

ولَلموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ
يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عَمْدِ [8]

---

(١) في المطبوع : [عوذة] ، وهو تحريف .

(٢) ينظر مجالس ثعلب ، ١/ ٢١٥ ، وفيه : «قيل لابن الأعرابي : ما أطيب اللحم؟ قال : عوّذه : ما عاذ بالعظم» ، وعيون الأخبار ، ٣/ ١٩٨ ، ولسان العرب ، ٣/ ٥٠٠ ، وفيه : «قال ثعلب : قلت لأعرابي . . .» .

(٣) ينظر لسان العرب ، ١٤/ ٢٧٢ .

(٤) هو النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . شاعر هجّاء رقيق الدين ، حدّه علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في خمر شربها في رمضان ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هدّده بقطع لسانه إن هو هجا الناس . كان شاعر العراق في صفين غير أنّه فارق علياً وانتقل إلى معسكر معاوية . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٣٢٩ ، والاشتقاق ، ص ٤٠٠ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٩٠ ، وخزانة الأدب ، ١٠/ ٤٢٠ ، وشرح نهج البلاغة ، ٤/ ٨٧ .

(٥) هذا عجز بيت ، وصدره : «ولا يأكل الكلبُ السَّروقُ نعالَهم» ، وهو منسوب إلى النجاشي في المعاني الكبير ، ١/ ٤٨٣ ، والبيان والتبيين ، ٣/ ١٠٩ ، وشرح نهج البلاغة ، ٤/ ٨٨ ، وفي العقد الفريد ، ٦/ ١٨٤ وجمهرة الأمثال ، ١/ ٥٧٤ ، العجز وحده ، وخزانة الأدب ، ٩/ ٤٩١ ، الصدر وحده ، وبلا نسبة في لسان العرب ، ٣/ ٥٢ و ١٥/ ٣٤٠ ، وفي البيان والعقد : قال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة» . وفي المطبوع : [يتقي] ، ولا يتلاءم مع سياق المدح الذي ورد البيت بموجبه ، وأثبتنا [ينتقي] لملاءمتها السياق ، وفي لسان العرب ، ١٥/ ٣٤٠ : «انتقيت العظم إذا استخرجتَ نقيّه أي مخّه» .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٠ .

(٧) هو قيس بن عاصم .

(٨) ينسب البيت مع أبيات إلى حاتم ، وهي ليست له ، بل لقيس ، ينظر ديوان حاتم الطائي ، طبعة مصر ، ص ٢٩٥ مع التخريج ، ولم يرد فيه الأغاني ، ١٢/ ١١٤ ، ونُسبت فيه إلى قيس .

وكانوا يمدحون بقلّة الأكل . وقال أعشى باهلة [1] :

تـكـفـيـه حـزَّةُ فـلـذ [2] إن ألَـم بـهـا

مـن الـشـواء ويـروي شربَـه [3] الـغَـمْـرُ [4]

ويعيبون بالشَّرَه ، والنَّهم ، والكسل ، ويقولون للبخيل الأكول : أبرماً قروناً [5] . يريدون أنّه لا يُخرجُ مع أصحابه شيئاً ، ويأكلُ تمرتين . وأصلُ البرم الذي لا يسيرُ مع القوم . وقال بعض الرجاز [6] :

لا تسـألـن عـن بعـلهـا أيّ فتـى

خـبٌّ شجـاعٌ وإذا جـاع بكـى

لا حَـطَـبَ الـقـومَ ولا الـقـومَ سـقـى

ولا ركـابُ الـقـوم إن ضـلّـت بـغـى

ويـأكـلُ الـتَـمـرَ ولا يُـلـقـي الـنـوَى

ولا يـواري فـرجَـه إذا اصـطـلـى

---

(١) أعشى باهلة : عامر بن الحارث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن معن بن أعصر . شاعر جاهلي مجيد ، وضعه ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي . تنظر ترجمته ومصادرها في الأصمعيات ، ص ٨٧ ، وجمهرة أشعار العرب ، ٢/ ٧١٣ .

(٢) و (٣) في المطبوع [فلذان] بدل [فلذ إن] و [شربة] بدل [شربه] ، وأثبتنا ما في الأصمعيات لا سيما أنّ المؤلف سيختار هذه الرواية في صفحات قادمة من الكتاب حين يعود للاستشهاد بالبيت نفسه .

(٤) الأصمعيات ، ص ٩١ ، وينظر تخريجه هناك .

(٥) من أمثالهم ، ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ١٨٠ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٢٠ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ٢٠٣ ، والمستقصى ، ١/ ١٧ ، وفيه : «أبرَماً وقَروناً ، والبرم الذي لا يدخل في الميسر وهو موسر لبخله ، والقَرون فعول من قرن بين الشيئين ، يُضرب للبخيل يجرّ المنفعةَ إلى نفسه ، أو لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين» ، ونهاية الأرب ، ٣/ ١٢ ، والميسر والقداح ، ص ٤٦ ، وفي العقد الفريد ، ٦/ ١٨٦ : «ما علمتُك إلاّ برماً قروناً» ، وينظر أيضاً ، ٦/ ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٦) هو الجميح كما في جمهرة الأمثال ، ٢/ ٤٢ ، منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف ابن عمرو بن قعين الأسدي . شاعر جاهلي ، وهو أحد الفرسان في يوم جبلة وبه قُتل ، كما كان صاحب الغارة على إبل النعمان بن ماء السماء ، وأبوه الطماح صاحب امرىء القيس الذي دخل معه بلاد الروم . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٢٧٤ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ٤٠٣ ، والمفضليات ، ص ٣٤ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٩٥ ، وخزانة الأدب ، ١٠/ ٢٤٩ . وفي ديوان الشماخ ، ص ٣٧٧ ، ينسب المحققّ الشعر ضمن أرجوزة طويلة للجليح بن شديد التغلبي ، ويذهب إلى أنّ نسبتها إلى الجميح تصحيف من الجليح ، وقال الجليح هذه الأرجوزة يردّ فيها على الشماخ غير أنّه ينتهي إلى أنّنا «لا نملك القطع بنسبة هذه الأرجوزة للجليح» . وينظر الديوان أيضاً ، ص ٣٥٣ ، الهامش الرابع .

كأنّه غرارةٌ ملأى حثا[1]

وقال الأحنف : جنِّبوا مجلسَنا ذكرَ النساء ، والطعام ، فإنِّي أبغضُ أن يكون الرجلُ وصّافاً لبطنِه وفرجِه ، وإنَّ من المروءة أن يتركَ الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه[2] .

وقال قائلُهم : أقللْ طعاماً تحمد مناماً[3] ، وقال أيضاً : غلبتْ بطنتي فطنتي[4] .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية يوم حكم الحكمان : أكثروا الطعامَ ، فوالله ما بطنَ قومٌ إلاّ فقدوا بعضَ عقولهم ، وما مَضَتْ عزمةُ رجلٍ بات بطيناً[5] .

ومثلُ هذا كثيرٌ لمَنْ تتبَّعه ، فكيف تكونُ المعرفةُ بالطعامِ ، والأدبِ عليه إلاّ كما وَصَفْنا .

فأمّا تركهُم إنضاجَ اللحم فلا أعلمهُ إلاّ في موضعٍ واحد ، وهو إذا سافروا وغزَوا فإنَّهم يتمدَّحون بتَرْكِ الإنضاجِ لعَجَلة الزِّماع[6] . وقالَ الشماخ[7] :

وأشعثَ قَدْ قَدَّ السفارُ قميصَه
يجرُّ الشِّواءَ بالعصا غيْرَ مُنْضَجِ[8]

---

(1) الرجز باختلاف يسير في : جمهرة الأمثال ، ٢/ ٤٢ ، ولسان العرب ، ١٤/ ١٦٤ ، بلا نسبة و ٥/ ١٨ ، وديوان الشماخ ، ص ٣٨٠ ، وينظر مزيد من التخريج هناك ، والغرارة : الجوالق التي للتبن ، والحثا : حطام التبن .

(2) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٠ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٣٠٤ ، وأمالي القالي ، ١/ ٢٦٩ .

(3) من أمثالهم ، ينظر مجمع الأمثال ، ٢/ ٥٠٢ ، والمستقصى ، ١/ ٢٨٦ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ٢١٩ .

(4) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢١٩ .

(5) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢١٩ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٣٤٢ ، والعقد الفريد ، ٤/ ٣٤٧ ، وفي البيان والتبيين ، ٢/ ٨١ : «قال عمرو بن العاص : البطنة تُذهب الفطنة» ، ومجمع الأمثال ، ١/ ١٨٥ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ١٨٠ و ٤٥٤ ، وأمالي ابن الشجري ، ٢/ ٢٠٥ .

(6) الزِّماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

(7) الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامة ، أحد بني سعد بن ذبيان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، عدَّه الحطيئة في وصيته أشعر غطفان ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة من الجاهليين ووصفه بأنّه شديد متون الشعر ، وهو من وصّافي القوس والحمار الوحشي المعدودين . ينظر طبقات ابن سلاّم ، ١/ ١٣٢ ، والأغاني ، ٩/ ١٥٤ .

(8) ديوانه ، ص ٨٠ .

وقال الكميت :

ومرضوفةٍ لم تؤنَ في الطبّخِ طاهياً

عجلتُ إلى مُحْورَّها حين غرغرا [1]

ولم يزل الشربُ إذا اجتمعوا ، الأحداثُ من أولاد الملوك وغيرهم ، يبادرون بالنشيل [2] قبل النضج . قال أعرابي [3] نَحَرَ بعيرَه وشَرب :

علّلاني إنّما الدّنيا عَلَلْ

ودعاني من ملامٍ وَعَذَلْ

وانشلا ما اغبرَّ من قدريكما

واسقياني أبعدَ اللهُ الجَمَلْ [4]

وأمّا أكلُهم سَقَطَ المائدة فإنّه إكرامٌ للطعام ، وإعظامٌ للنّعمة ، وجنسٌ من الشكر لواهبها ، ونَبْذُه في المزابل استخفافٌ به ، وتصغيرٌ له ، وبَخسٌ بمؤتيه حقَّ عطيّته . ومَنْ وَهَبَ لكَ شيئاً فصنْته [5] وعظّمتَه سمحتْ لكَ نفسُه بالزيادة منه ، وإن احتقرتَه وازدريتَه كان حرِيّاً أن يقطعَه . والطعامُ أعظمُ نعَم الله على خَلْقه بعد معرفته ؛ لأنّه مثبتُ الروح ، ومُمسكُ الرَّمَق ، فَمَنْ صانَه فقد عظَّم نعمةَ اللهِ ، واستوجبَ زيادةَ اللهِ ، ومَنْ امتهنه في غير ما خُلِقَ له فقد صغَّرها ،

---

(١) ديوانه ، ١/ ١٩٩ ، المرضوفة : القدر التي أنضجَتْ بالرَّضْف وهي الحجارة التي حَميت بالشمس أو النار واحدتها رَضْفَة . ولم تؤن : لم تُحبَس ولم تُبطيء . والمحورّ القدر المبيضّة بالسنام ، وغرغر : صوتَ القُدر إذا غَلَتْ .

(٢) النشيل : فعله نشل إذا أخذ بيده عضواً فتناول ما عليه من اللحم بفيه .

(٣) هو عجير السلولي كما في الأغاني ، ١٣/ ٦٠ ، وديوان المعاني ، ١/ ١١٥ ، اسمه العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة . . . بن عبد الله بن سلول . شاعر إسلامي مقلّ من شعراء الدولة الأموية ، جعله ابن سلاّم في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . ينظر طبقات ابن سلام ، ٢/ ٥٩٣ ، والأغاني ، ١٣/ ٥٦ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ١٦٦ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ٢٧٢ .

(٤) البيتان في الأغاني ، ١٣/ ٦٠ و ٧٢ ، وديوان المعاني ، ١/ ١١٥ منسوبان إلى العجير . وهما بلا نسبة في عيون الأخبار ، ٣/ ٢١٣ ، وفيه : «ومرَّ رجل من سلول بفتيان يشربون فشرب معهم ، فلمّا أخذ منه الشراب قام إلى بعيره فنحره ، وقال : . . .» ، وساق الشعر .

(٥) في المطبوع : [صنته] ، والزيادة يستقيم بها الكلام .

واستوجبَ سُخْطَ الله [1] .

حدَّثنا يزيد بن عمرو قال : حدَّثنا أيوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : ولا أعلمُه إلاّ عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال : «أكرموا الخبزَ فإنَّ اللّهَ سَخَّر له السموات والأرضْ» [2] . وقد أمرنا صلّى الله عليه وسلّم بأكلِ سَقَط المائدة ، ورغَّبنا فيه .

والعَجَبُ عندي من قوم نحلَتُهم الإسلامَ ، ونبيّهُم محمد صلّى الله عليه وسلّم ، ثمَّ تتابعت الأخبارُ عنه بشيء أمَرَ به ، أو نهى عنه ، فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعنِ ، من غير أن يعرفوا العلّةَ ، ولا أن يكونَ لهم في الإنكارِ له نفع ، أو عليهم في الإقرار به ضرر .

وأمّا أكلُهم بالبارجين [3] ، والسكين فمفسدٌ للطعام ، ناقصٌ للذَّته . والناسُ يعلمون ، إلاّ مَنْ عاندَ منهم وقالَ بخلاف ما تَعرفُه نفسُه ، أنَّ أطيبَ المأكول ما باشَرَتْه كفُّ آكله ، ولذلك خُلقَت الكفُّ للبطش ، والتناول . والتقذّرُ من اليَد المُطَهرّة ضَعْفٌ وعَجب ، وأَوْلى بالتقذُّر من اليَد الريقُ ، والبلغمُ ، والنخاعُ الذي لا يَسوغُ الطعامُ إلاّ به ، وكفُّ الطبّاخِ ، والخَبَّاز تُباشرُه ، والإنسانُ ربَّما كان منه أقلَّ تقذّراً ، أو أشدَّ أُنساً .

وأمّا الشجاعةُ فإنَّ العربَ في الجاهلية أعزُّ الأمم نَفْساً ، وأعزُّها حريماً ، وأحماها أنوفاً ، وأخشنُها جانباً ، وكانت تَغيرُ في جَنَبات فارسَ ، وتَطْرُقُها حتى تحتاجَ الملوكُ إلى مُداراتها ، وأخْذِ الرَّهَنِ منها . والعَجَمُ تَفْخَرُ بأساورةِ

(١) في عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢٠ ، حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو : «مَنْ أكلَ من سَقَط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق» . وينظر العقد الفريد ، ٦/ ٢٩٣ ، عن سَقَط المائدة .

(٢) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٠٦ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٢٩٣ ، وهو منسوب في نثر الدرّ ، ١/ ٣٥٣ ، إلى جعفر الصادق مرة ، ولابن عباس ، ١/ ٤١٦ ، مرّة أخرى ، وفي زاد المعاد ، ٣/ ١٦٣ : « . . . وذكر البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها ترفعه : أكرموا الخبز ، ومن كرامته أن لا ينتظر به الأدم» ، وفي مكارم الأخلاق ، ص ١٧٧ ، أقوال منسوبة إلى أمير المؤمنين علي ، وجعفر الصادق عن الخبز وفضله . وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي ، ١/ ١٩٣ ، أنَّ هذا الحديث موضوع لا يصحّ ، مع أحاديث أخرى موضوعة عن الخبز ، فلينظر .

(٣) ينظر ص ٦٨ .

الفرس ، ومَرازبتها[1] ، وقد كان لَعمري لهم البأسُ ، والنجدةُ ، غَيْرَ أنَّ بينَ العربَ وبينَها فَرْقاً ، منه أنَّ العجمَ كانت أكثرَ أموالاً ، وأجودَ سلاحاً ، وأحْصَنَ بيتاً ، وأشدَّ اجتماعاً ، وكانت تحاربُ برياسة مُلْك ، وسياسة سلطان ، وهذه أمورٌ تقوِّي المُنَّةَ[2] ، وتَشدُّ الأركان ، وتؤيِّدُ القَلوب ، وتثبِّتُ الأقدامَ . والعربُ يومئذ منقطعةٌ ليس لها نظام ، ومتفرِّقةٌ ليس لها التئام ، وأكثرُها يحاربُ راجلاً بالسيف الكليل ، والرمح الذليل ، والفارسُ منها يُحاربُ على الفَرَس العربيِّ الذي لا سَرْجَ له ، وعلى السَّرج الرثِّ الذي لا ركابَ له ، والأغْلَبُ على قتال العجم الرميُ ، والأغْلَبُ على قتال العرب السيفُ والرمحُ ، وهما أدخلُ في الجدِّ ، وأبعدُ من الفرار ، وأدلُّ على الصبر .

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عُتيبةَ بن الحارث بن شهاب صيّاد الفوارس[3] ، وبسطامَ بن قيس[4] ، وبُجَيْر وعفَاق[5] ، ابني أبي مليل[6] ، وعامر بن الطفيل[7] ، وعمرو بن ودّ[8] ، وأشباهُهم . وفي الإسلام مثل الزُّبير ،

(١) المرازبة : جمع مرزبان ، أعجمي معرّب ، وهو الرئيس من الفرس ، ينظر المعرَّب ، ص ٣١٧ ، ومرَّ تفسير الأساورة .

(٢) المُنَّة : قوة القلب .

(٣) عتيبة بن الحارث ، شاعر ، فارس بني تميم غير مدافع ، كان قائدَ الناس في يوم الجونين ، إذ أغار على طوائفَ من بني كلاب فأطرد إبلَهم ، نوَّه بشجاعته عمرو بن معد يكرب ، ينظر : الديباج ، ص ١٥ ، والحيوان ، ١/ ١٠٤ ، والأغاني ، ١٥/ ٢٧٧ ، وخزانة الأدب ، ٣/ ٨٠ ، وشعر بني تميم ، ص ٢١٣ ففيه تفصيل آخر .

(٤) بسطام بن قيس من المضروب بهم المثل في الشجاعة ، غزا اثنتين وعشرين غزوة ظفر منها في عشرين ، وأسر في واحدة ، وقتل في الثانية ، ينظر تفصيل ذلك في الممتع ، ص ١٦٤ ، وعدّه أبو عبيدة فارس ربيعة ، ثمار القلوب ، ص ١٠١ ، وفي جمهرة الأمثال ، ٢/ ١٠٩ : «بسطام . . . فارس بكر ، ولم يكن في الجاهلية أفرس منه ، وتعجّب الجاحظ من ضرب الناس المثل في الشجاعة بعمرو بن معد يكرب . . . وعنترة وتركهم ضرب المثل ببسطام» .

(٥) في المطبوع : [عفاف] وهو تحريف ، وأثبتنا الصواب بالقاف [عفاق] .

(٦) بجير وعفاق من فرسان العرب المشهورين ، كان أبوهما سيّدَ بني ثعلبةَ ، لهما ذكر في أيام العرب في الجاهلية ، قتلهما بسطام بن قيس . ينظر : الديباج ، ص ٢٠ ، وشرح النقائض ، ٢/ ٧٣٣ ، ولسان العرب ، ١٠/ ٢٥٤ ، وفيه : [مُلَيْك] بدل [مليل] .

(٧) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، فارس مشهور ، له وقائع في مذحج ، وخثعم ، وغطفان ، وسائر العرب ، وصلتْ أخبار شجاعته إلى قيصر الروم ، أراد الغدر مع أربد بن قيس برسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظه الله منهما في خبر طويل ، مات بغدَّة في عنقه في بيت امرأة من سلول فجعل يقول : «أغدَّة كغدَّة البعير ، وموتاً في بيت سلولية» . تنظر ترجمته ومصادرها في المفضليات ، ص ٣٦٠ .

(٨) هو عمرو بن عبد ودّ كما في السيرة ، فارس شجاع معروف ، قَاتَلَ المسلمين في يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، قتله عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يوم الخندق بعد محاورة بينهما ، ورثاه شعراء المشركين بعد هذا مبيّنين شجاعته وإقدامه . ينظر سيرة ابن هشام ، ٣/ ٢٣٥ - ٢٣٦ و ٢٧٨ - ٢٨١ .

وعليٌّ ، وطلحة ، ورجال من الأنصار ، وعبدالله بن خازم السُّلمي [1] ، وعباد بن الحصين [2] .

وقال[3] : ما ظننتُ أنَّ أحداً يعدلُ بألف فارس حتى رأيتُ عبَّاداً ليلة كابُل[4] .

وقطريّ بن الفجاءة ، وشبيب الحَروري [5] ، وأمثال هؤلاء عددَ الرمل والحصى ، ليس منهم أحدٌ إذا أنتَ توقّفتَ على أخباره ، وحاله في شجاعته إلاَّ وَجَدْتَه فوق كلِّ أسْوار [6] .

والرجليون للعربِ خاصة . قال أبو عبيدة [7] : رجليّو العربِ المشهورون :

---

(١) في المطبوع : [حازم] ، وفي الإصابة ، ٦/ ٥٦ ، رقم [٤٦٣٢] : عبد الله بن خازم بالمعجمتين ، صحابي من أشجع الناس ، كان يعتمّ بعمامة خزّ سوداء ، ويقول : كسانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولي خراسان عشر سنوات ، وكان أسود ، وهو أحد غربان العرب وفتّاكهم ، قتله بنو تميم بخراسان . ينظر المحبّر ، ص ٢٢١ ، وما بعدها ، والكامل ، ١/ ٣١٥ و ٢/ ٦٠١ . وفي عيون الأخبار ، ١/ ١٧٥ ، والعقد الفريد ، ١/ ١١٧ ، والممتع ، ص ٣٣٩ : «وكان يقال : ما استحى شجاع أن يفرّ من عبد الله بن خازم ، ومن قطري بن الفجاءة» ، وفي ثمار القلوب ، ص ١٦٠ : «كان والي خراسان لعبد الله بن الزبير . . . وكان نهاية في الشجاعة والنجدة» . وينظر ذيل الأمالي ، ص ٣١ .

(٢) عباد بن الحصين الحبطي ، فارس بني تميم في دهره غير مدافع ، الاشتقاق ، ص ٢٠٢ ، وجعله المهلب بن أبي صفرة واحد ثلاثة هم أشجع الناس ، وقال فيه : «ما كنّا في كربة إلاّ فرّجها» ، ولقبّه براكب البغلة ، الأخبار الموفقيات ، ص ٥٦١ ، ويصفه ابن قتيبة في عيون الأخبار ، ١/ ١٢٨ بأنَّ أشدُّ رجال أهل البصرة ، وينظر كذلك المحبّر ، ص ٢٢٢ ، والممتع ، ص ٣٣٩ ، والمعارف ، ص ٤١٤ ، والكامل ، ١/ ٣١٥ ، و٨٩٠ و ١٣٠٧ ، والبرصان والعرجان ، ص ٤٥٩ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٢٨٢ .

(٣) القول في المعارف ، ص ٤١٤ ، والممتع ، ص ٢٤٩ ، وهو منسوب فيهما إلى الحسن .

(٤) كابُل : بضمّ الباء الموحَّدة ، ولاية كبيرة بين هند وغزنة ، وهي من ثغور طخارستان ، ولها عدد من المدن تابعة لها مثل : اذان ، وخواش ، وجزه ، وغيرها . غزاها المسلمون أيام بني مروان وفتحوها . ينظر معجم البلدان ، ٤/ ٤٨٣ ، ومعجم ما استعجم ، ٣/ ١١٠٨ ، مع تعليق المحقق .

(٥) هو شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن الصلب بن قيس الخارجي ، كان أبوه من مهاجرة الكوفة ، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان قبلها مع صالح بن مسرح رأس الصفرية ، فلما مات صالح بالموصل أوصى إليه . بعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم جميعاً ، وادّعى الخلافة حتى أرسل إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي ، وسانده الحجاج بجيشه ، وظلَّ يلاحقه حتى مات غرقاً في نهر دجيل ، وحُملت جثته إلى الحجاج فمثّل بها . تروي المصادر أخباراً كثيرة عن شجاعته ، وثبات جأشه . ينظر المعارف ، ص ٤١٠ - ٤١١ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٧ ، ووفيات الأعيان ، ٢/ ١٦٣ ، وما بعدها ، وشرح نهج البلاغة ، ٤/ ٢٢٥ ، وما بعدها .

(٦) الأسوار : قائد الفرس ، وقد مرَّ شرحه .

(٧) النص في الديباج ، ص ٣١ ، وما بعدها .

المنتشر بن وهب الباهلي [١] ، وسُليك بن عمير السعدي [٢] ، وأوفى بن مطر المازني [٣] . وكان الرجلُ منهم يَلْحقُ بالظبي حتى يأخُذَ بقرنَيه . وإذا كانَ زمانُ الربيعِ جَعلوا الماءَ في بَيْضِ نعام مثقوب ثمَّ دفنوه ، فإذا كان الصيفُ ، وانقطعَ الغزو غزوا ، وهم أهدى من القَطا ، فيأتونَ على ذلك الماء ، ويستثيرونه ، ويشربونه [٤] .

وحدَّثني أبو حاتم قال : حدَّثني الأصمعي : أنَّ السليكَ كان يعدو فتقعُ سهامُه من كنانته بالأرض فترتز [٥] . وكانَ يقولُ في دعائه : اللّهم إنّي أعوذُ بكَ من الخَيبة ، وأمّا الهَيْبةُ فلا هَيْبةَ [٦] .

وقرأتُ في كتب العجم أنَّ بهرام جور كان في حجْر ملك العرب بالبادية [٧] ، فلمّا بَلَغه هلاكُ أبيه ، وأنَّ الفرسَ عزموا على أن يَملِّكوا غيرَه ، سار بالعرب حتى نَزَلَ السوادَ ، وطالَبَهم بالمُلك ، وجادلهم عنه ، حتى اعترفوا له بالحقّ ، وملّكوه .

---

(١) المنتشر بن وهب الباهلي : فارس من الرؤوساء في الجاهلية ، وهو أخو أعشى باهلة لأمّه ، كان رئيس الأبناء يوم أرمام ، وهو أحد يوميْ مضر في اليمن ، كان يوماً عظيماً قُتل فيه خلق كثير ، قُتل المنتشر وهو في طريقه لزيارة ذي الخلصة وهي الكعبة التي كانت باليمن . و[الأبناء] الذي ورد سابقاً هم أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذي يزن على الحبشة . ينظر : معجم الشعراء ، ص ٤٦٨ ، وسمط اللآلي ، ص/ ٧٤٠ ، وخزانة الأدب ، ١/ ١٨٨ ، والأعلام ، ٨/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، والنهاية في غريب الحديث ، ١/ ١٧ .

(٢) سليك بن عمير السعدي ، ويسمى سليك بن السلكة وهي أمُّه ، وكانت سوداء ، وهو أحد أغربة العرب وصعاليكهم ، كان له بأس ونجدة ، من أدلّ الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجليه ، وهو شاعر أيضاً ، قتله أسد بن مدرك الخثعمي . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٣٦٥ ، مع مصادر المحقّق ، والأغاني ، ٢٠/ ٣٤٦ ، وما بعدها ، وشعر بني تميم ، ص ٥١ - ٤٢ .

(٣) أوفى بن مطر المازني : من الذين يُضرب بهم المثل في الوفاء ، وضعه ابن حبيب في مقدمة [الوافين من العرب] ، ينظر المحبّر ، ص ٣٤٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٩٦ ، وعن سرعة عدوه ينظر البرصان والعرجان ، ص ٢٤٨ ، وخزانة الأدب ، ٣/ ٣٤٦ و ١١/ ٤٠١ ، وعن شاعريته ينظر معجم الشعراء ، ص ٤٦٨ ، وشعر بني تميم ، ص ٣٩٠ .

(٤) ينظر الأغاني ، ٢٠/ ٣٤٧ ، ومعجم الشعراء ، ص ٤٦٨ .

(٥) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٥٧٦ ، وترتزّ : تثبت بقوّة .

(٦) قول السليك في عيون الأخبار ، ١/ ١٧٥ - ١٧٦ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٣٦٥ ، والأغاني ، ٢٠/ ٣٤٧ ، والممتع ، ص ٣٤١ ، وثمار القلوب ، ص ١٠٥ .

(٧) ينظر تاريخ الطبري ، ٢/ ٦٨ ، وما بعدها ، ومروج الذهب ، ١/ ٢٨٧ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٤٠١ ، وما بعدها ، وفيها أنَّ الملك هو المنذر بن النعمان .

وقد كان كسرى أغزى بني شيبانَ جيشاً ، فاقتتلوا بذي قار ، فهزمتْ بنو شيبانَ أساورةَ كسرى ، فهو يومُ ذي قار [1] . ثمَّ كانَ من أمرِ العرب ، وأمرِ فارسَ حين جَمَعَهم اللهُ لقتالهم بالإمام ، وساسهم بالتدبير ، ما لا حَاجةَ بنا إلى الإطالة بذكره لشهرته .

وممّا يدلُّك على تعزّز القوم في جاهليتهم ، وأَنَفَتِهم ، وشدّةِ حميّتهم أنَّ أبرويزَ ملكَ فارس ، وأشدَّها سطوةً ، وإثخاناً في الأرضِ ، خَطَبَ إلى النّعمان بن المنذر إحدى بناته ، فردَّه رغبةً بها عنه ، ولم يزل هارباً منه حتى ظَفِرَ به فقتله [2] .

وكان لقريش بيتُ الله الحرامُ العتيق ، المنصورُ من الجبابرة بالطير الأبابيل ، لم يزالوا ولاتَه ، وسَدَنَتَهَ ، والقائمين لأموره ، والمعظِّمين لشعاره ، وكان يقالُ لهم : أهلُ اللّه ، وجيرانُ اللّه [3] ؛ لنزولهم الحرمَ ، وجوارهم البيتَ .

وكان منهم بقايا من الحنفية [4] يتوارثونها عن إسماعيلَ صلى الله عليه وسلّم ، منها : حجُّ البيت الحرامِ وزيارتهُ ، والختانُ ، والغُسلُ ، والطلاقُ ، والعتقُ ، وتحريمُ ذوات المَحارمِ بالقرابةِ والرَّضَاعِ ، والصهر [5] .

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ، ٢/ ١٩٣ ، ومروج الذهب ، ١/ ٣٠٦ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٤٨٢ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء ، ١/ ٢٢٩ - ٢٣٠ ، والحيوان ، ٤/ ٣٧٥ ، وما بعدها .

(٣) ينظر سيرة ابن هشام ، ١/ ٥٩ و١٣٧ و٣/ ٥٠٠ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣١٣ ، والممتع ، ص ٨١ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٢٤٧ ، وثمار القلوب ، ص ١٠ ، وقد أسهب الثعالبي في الحديث عن أهل الله فلينظر هناك . وبقيت هذه التسمية بعد الاسلام ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم لعتاب بن أسيد لمّا بعثه إلى مكة : «هل تدري على مَنْ استعملتُك؟ استعملتك على أهل الله» .

(٥) قدّم صاحب المحبَّر تفصيلاً وافياً عن بقايا الحنيفية التي يوردها ابن قتيبة في فصل ضاف سمَّاه [السنن التي كانت الجاهلية سنَّتها فبقّى الإسلام بعضها ، وأسقط بعضها] ، ص ٣٠٩ ، وينظر العقد الفريد ، ٣/ ٣٢٤ ، والحيوان ، ٧/ ٢٧ ، وتأويل مختلف الحديث ، ص ١١٥ ، وما بعدها .

(٢) يقول صاحب المحبَّر ، ص ٣٢٥ : «وكانت العرب لا تنكح البنات ولا الأمهات ، ولا الأخوات ، ولا الخالات ، ولا العمات» . وينظر المفصّل ، ٥/ ٥٢٨ ، وما بعدها ففيه تفصيل وافٍ عن هذا الموضوع مع مصادره .

وقد كان حاجب بن زرارة وفَدَ على كسرى فرأى العجمَ ينكحون الأخوات ، والبنات ، فسوَّلَتْ له نفسُه التأسّيَ بهم ، والدخولَ في مِلَّتِهم ، فنكحَ ابنتَهَ ، ثُمَّ نَدِم علَى ذلك [1] ، فقال :

لَحا اللهُ دينَكَ من أغْلَفٍ
يُحِلُّ الخَواتِ لنا والبَناتِ

أحَشْتُ [2] على أسرتي سوءةً
وطوَّقتُ جيديَ بالمخزياتِ

وأبقيتُ في عُنُقي سُبَّةً
مشاتمَ يَحْيَيْنَ بَعْدَ المَماتِ

فتاةٌ تجلَّلها شيخُها
فبئسَ الشيخُ وَنِعْمَ الفتاة [3]

وممّا كان بَقي فيهم من الحنفية إيمانُهم بالملكَين الكاتبَيْن . حدَّثني بعض أصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد الناقد قال : كان الحسنُ بن جَهْور ، مولى المنصور خرَّج إلى بعض وَلَد سليمانَ بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتاباً كان لعبدَ المَطلب بن هَاشمَ كتبَه بخَطّه ، فإذا هو مثلُ خطِّ النساء ، وإذا هو : باسمكَ اللّهم . ذكرُ حقٍّ عبد المطلب بن هاشمَ من أهل مكّةَ عَلى فلان ابن فلان الحميري من أهل زَوْلِ صَنعاءَ ، علَيه ألفُ درهمٍ فضّةً

---

(1) فصَّل صاحب المفصّل الحديث عن هذا الأمر ، وشكَّ في زواج حاجب بابنته [دختنوس] ، كما شكَّ في الشعر الذي قاله حاجب بعد هذا الأسباب يوردها . ينظر ، ٥/ ٥٤٤ ، وما بعدها ، وينظر شعر بني تميم ، ص ٣٣٣ .

(2) في المطبوع : [أجشت] وأثبتنا [أحَشْتُ] لملاءمتها السياق ، وفي لسان العرب ، ٦/ ٢٩٠ : «حشنا الصيد حوشاً . . . أخذناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة ، وضممناه» ، فكأنَّ فعلته هذه جلَّلت أسرته بالعار من الجوانب جميعها مثل الصيد .

(3) الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة إلى حاجب باختلاف يسير في الزينة ، ١/ ١٤٨ . والأغلف : الأصمّ عن سماع الحق وفعله .

طيبّة كَيْلاً بالحُديدةَ ، ومتى دعا بها أجابه . شَهِدَ اللهُ بذلكَ ، والمَلَكان [1] ، وقال الأعشى :

ولا تحسبنّي كافراً لكَ نعمةً
على شاهدي يا شاهدَ اللّه فاشْهَد [2]

قوله : على شاهدي ، أي على لساني شاهدُ الله ، أي الملَك [3] .

ومن ذلك أحكامٌ كانتْ في الجاهلية أقرهّا اللهُ في الإسلام ، لا يَبْعُدُ أن تكونَ من بَقايا دينِ إسماعيلَ صلّى الله علَيه وسلّم ، منها : ديَةُ النَّفْس مائةٌ من الإبل [4] ، ومنها إتباعُ حُكْمِ المَبالِ في الخنثى [5] ، ومنها البينونةُ بطلاقِ الثلاثة ، وللزوجِ على المرأة في الواحدة والاثنتين [6] .

فهذه حالُها في الجاهلية ، مع أحوالٍ كثيرة في العلمِ ، والمعرفة سنذكرُها بتمامِها [7] بَعدُ إن شاء الله .

---

(١) الخبر في نثر الدرّ ، ١/ ٣٩٣ ، وفيه : [أول] بدل [زول] ، والفهرست ، ص ٧ -٨ ، وفيه : [وزل] بدل [زول] ، وفي معجم البلدان ، ٣/ ١٧٩ نصّ مهم قريب منه هو : « . . . قال ابن خالويه : الزول اسم مكان باليمن ، وُجد بخطّ عبد المطلب بن هاشم ، وأنّهم وصلوا إلى زول صنعاء ، قال : وكان علي بن عيسى يتعجّب من هذا ، ويقول : ما عرفنا أنّ عبد المطلب يكتب إلاّ من هذا الحديث» ، أمّا [أول] فهو موضع في بلاد غطفان بين خيبر وجبليْ طيء . ينظر معجم البلدان ، ١/ ٣٣٦ ، ومعجم ما استعجم ، ١/ ٢١٣ ، ولا علاقة له بصنعاء اليمن ، كما لم يرد ذكر [وزل] في المعجمين السابقين . ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ عبد المطلب بن هاشم كان يزور اليمن كثيراً ، ينظر طبقات ابن سعد ، ١/ ٨٦ . وقد توقّف الدكتور ناصر الدين الأسد ، في كتابه مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٦٨ - ٦٩ ، عند هذا النصّ وكان له رأي فيه فلينظر هناك .

(٢) ديوانه ، ص ٢٢٩ ، باختلاف يسير .

(٣) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٢٢٦ ففيه حديث عن هذا البيت ، وتأويل مختلف الحديث ، ص ١١٢ .

(٤) في طبقات ابن سعد ، ١/ ٨٩ ، ونثر الدرّ ، ١/ ٣٩٣ ، أنّ أول مَنْ سنّ هذه الدية عبد المطلب بن هاشم ، وفي الأوائل ذكر لأشخاص آخرين ، ينظر ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) ينظر المعمّرون والوصايا ، ص ٥٧ ، وفيه أنّ أول من حكم بهذا الحكم أمَةٌ كانت لعامر بن الظرب العدواني ، وقضى عامر بحكمها هذا ، ويضيف أبو حاتم : « . . . فلما جاء الإسلام شدّد القضية ، فصارت سنّة في الإسلام ، يعني الإسلام شدّدها» . وينظر كذلك سيرة ابن هشام ، ١/ ١٢٩ ففيها حديث مستفيض ، والأوائل ، ص ٥٥ ، وبلوغ الارب ، ١/ ١٧٩ ، والخنثى الذي له ما للرجال والنساء جميعاً ، والمبال مكان خروج البول ، ومفاد الحكم هو مكان خروج البول فإذا خرج من مكان خروج الأنثى عُدَّ الخنثى أنثى والعكس صحيح .

(٦) فصَّل الدكتور جواد علي الحديث عن هذا الموضوع في المفصّل ، ٥/ ٥٤٨ وما بعدها ، فلينظر مع مصادره . ويريد بالواحدة والإثنتين الطلقة والطلقتين .

(٧) حبس ابن قتيبة الجزء الثاني من هذا الكتاب على تلك الأحوال التي يشير إليها .

ثمَّ أتى اللهُ بالإسلام فابتعثَ منها النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلّم ، سيِّدَ الأنبياء ، وخاتمَ الرُّسلِ ، وناسخَ كلِّ شرْعة ، وحائزَ كلِّ فضيلة . فَنَشَر [1] عددَها ، وجَمعَ كلمتَها ، وأمدَّها بملائكته ، وأيَّدها بقوَّته ، ومكَّن لها في البلاد ، وأوطأها رقابَ الأمم ، وجعَلَ فيها خلافةَ النبوة ، ثمَّ الإمامةَ خالدةً تالدةً حتى يأتيَ المسيحُ صلّى الله عليه وسلّم فيصلّي خلفَ الإمامِ منها ، فاردةً لا يستطيعُ أحدٌ أن يأتيَ بمثلها . وخاطَبَها يومئذ [و] [2] لا عَجَمَ فيها ، فقال : (كُنتم خَيْرَ أمَّة أُخرجَت للناس) [3] ، فَلَها فَضْلُ هذا الخطاب ، والأممُ طُرّاً داخلةٌ عليها فيه . وأمّا قوله لبني إسرائيلَ : (وهو فضّلكم على العالمين) [4] فإنّه في باب العام الذي أُريدَ به الخاصّ ، كقوله حكايةً عن إبراهيم : (وأنا أوّلُ المسلمين) [5] ، وحكايةً عن موسى : (وأنا أوّلُ المومنين) [6] . وقد كانت الأنبياءُ قَبْلَهما مؤمنين ، ومسلمين ، فإنّما أرادَ موسى زمانَه ، وكذلك قولُه : (وأنّي فضَّلتُكم على العالمين) [7] ، يريد عالمي زمانهم ، وقوله لقريش : (أهم خيرٌ أم قومُ تُبَّع والذين من قبلهم) [8] ليس فيه دليلٌ على أنَّ أهلَ اليمن خيرٌ من قريشَ في الحَسَب ، ولا أنَّهم مثلُهم ، وهم من ولد إبراهيمَ صلّى الله عليه وسلّم ، ومن الذّريةَ التي اصطفى اللهُ على العالمينَ ، وليسَ لليمن والدٌ من الأنبياء دونَ نوح . وإنّما خاطبَ اللهُ بها مشركي قريش ، ووَعَظَهم بمَن قَبْلَهم من الأمَمِ الهالكة لمعصيته ، وحذّرهم أن ينزلَ بهم مثلُ ما أصابهم فقال : (أهم

(١) في المطبوع : [ونشر] ، وما أثبتناه يتلاءم مع السياق .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) آل عمران ، ١١٠ .

(٤) الأعراف ، ١٤٠ ، وفي المطبوع : [وفضلكم] بسقوط [هو] .

(٥) الأنعام ، ١٦٣ .

(٦) الأعراف ، ١٤٣ .

(٧) البقرة ، ٤٧ و ١٢٢ ، وفي المطبع : [وفضلتكم] بسقوط [أني] .

(٨) الدخان ، ٣٧ ، وينظر عن [عالمي زمانهم] تفسير الطبري ، ١٣/ ١٢٧ ، وتفسير القرطبي ، ١٦/ ١٤٢ .

خير) من أولئكَ الذين كانت فيهم التبابعة [1] ، والملوكُ ذوو الجنود ، والعدد فأهلكناهم بالذّنوب . والخيرُ قد يقعُ في أسباب كثيرة ، يُقال : هذا خيرُ الفارسين ، يريدُ أجلَدَهما ، وهذا خيرُ العودين ، يريدُ أصلبَهما . وكانت قريش - كما قالَ اللّهُ - قليلاً فكثَّرَهم ومستضفعين فأيّدهم بنصره ، وخائفين أن تتخطّفَهم الملوكُ فآمنهم بحرمه بما رَهَصَه [2] لهم ، وأرادَ من تمكينهم ، وإعلاء كلمتهم ، وإظهار نورُه لهم ، وتغيير ممالك الأمم لهم .

ومَنْ ذا من المسلمين يَصحُّ إسلامُه ، ويَصحُّ عقدُه يُقدّمُ على قريش ، أو يعادلُ بها ، وقد قضى اللهُ لها بالفضل على جميع الخليقة ، إذ جَعَل الأئمةَ منها ، والإمامةَ فيها ، مقصورةً عليها أن لا تكونَ لغيرها ، والإمامةُ [3] هي التقدُّمُ [4] ، وهذا نصٌّ ليس فيه حيلةٌ لمتأوّل .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «الأئمَّةُ من قريش» [5] .

وروى وكيع عن الأعمش عن جابر قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم : «الناسُ تَبَعٌ لقريش في الخير والشرّ» [6] .

وروى وكيع عن سفيان عن ابن خشيم عن إسماعيل عن عبد الله عن أبيه عن جَدّه قال [7] : قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : «إنَّ قريشاً أهلُ صَبْر وأمانة ، فَمَن بَغَاهم الغَوائلَ كبَّه اللّهُ لوجْهه يومَ القيامة» [8] .

---

(١) التبابعة : ملوك اليمن ، واحدهم تُبَّع ، سُمّوا بذلك لأنّه يتبع بعضهم بعضاً كلمّا هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته . لسان العرب ، ٨/ ٣١ .

(٢) رهص : أسّس وثبّت .

(٣) ينتهي الخرم في المخطوط هنا ، ذلك الذي أشرنا إليه فيما سبق ينظر ص ٧٨ .

(٤) ينظر لسان العرب ، ١٢/ ٢٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ٣/ ١٢٩ و١٨٣ و٤/ ٤٢١ ، وله تتمّة هي : «إذا استرحموا رحموا ، وإذا عاهدوا وفوا ، وإذا حكموا عدلوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» . وينظر العقد الفريد ، ٤/ ٢٥٨ ، وتاريخ الخلفاء ، ص ٩ .

(٦) صحيح مسلم ، ١٢/ ٢٠٠ ، وصحيح الترمذي ، ٤/ ٥٠٣ .

(٧) سقط السند في المخطوط .

(٨) ارشاد الساري ، ٦/ ٦ ، وفتح الباري ، ٦/ ٥٣٣ .

ورُويَ عن عبد الأعْلى عن مَعمر عن الزُّهري عن سهل بن أبي حثمة أنَّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال [1] : «تعلّموا من قريش ولا تُعلّموها ، وقدِّموا قريشاً ولا تؤخِّروها» [2] .

[وروى يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب] [3] عن الزهري عن طلحة بن عبد الله ابن عوف عن عبد الرحمن [4] بن جبير بن مطعم أنَّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال : «إنَّ لقرشيّ [5] قوّةَ رجلين من غيرِ قريش» . قيل للزُّهري : ما عنى بذلك؟ قال : فَضْلُ الرأْي [6] .

قال : وكان يقال : قريشُ الكتبةُ الحسبةُ مِلحُ هذه الأمَّة عِلمُ عالمِها طباق الأرض [7] .

وحدَّثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن إبراهيم عن مكحول [8] أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى الله عليه وسلّم قال : «لا يقومنَّ أحدٌ إلاّ لهاشميّ» .

وحدَّثني يزيد بن عمرو قال : حدَّثنا نصر بن خلف الضَّبي قال : حدَّثنا علي بن عبد الله [9] بن وثّاب المدني عن مطرف بن خُويلد [10] الهذلي قال : سَمِع رسولُ اللّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم رجلاً وهو يقول :

---

(1) سقط السند في المخطوط .

(2) ينظر فتح الباري ، ٦/ ٥٣٠ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٢٠ .

(3) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط .

(4) في المخطوط : [عبد الرحمن بن الأزهر] .

(5) في المخطوط : [للقرشيّ] .

(6) في المخطوط : [في فضل الرأي] .

(7) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٣٦٤ .

(8) سقط السند في المخطوط .

(9) في المخطوط : [عبد الله بن علي] .

(10) في المخطوط : [بن أبي خويلد] .

إنّي امرؤ حميريٌّ حين تنسبني

لا من ربيعةَ آبائي ولا مُضَرُ

فقال : ذاكَ أضرعُ لخدِّكَ ، وأبعدُ لكَ من اللّه ، ورسوله [١] .

وحدَّثنا محمد بن عُبيد قال : حدَّثنا أبو زيد شجاع بن الوليد قال : حدَّثنا أبو قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه [٢] عن سلمان قال : قالَ رسولُ اللّه صلّى اللهُ عليه وسلّم : «يا سلمان لا تبغضنْي فتفارقْ دينك» . قال : قلتُ : يا رسولَ اللّه ، كيف أُبغضك وبكَ هداني اللهُ؟ قال : «لا تبغض العربَ فتبغضني» [٣] .

وروى محمد بن بشر العبدي قال : حدَّثنا أبو عبد الرحمن عن حصْن بن عمير عن مخارق بن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان [٤] قال : قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : «مَنْ غشَّ العربَ لم يدخلْ في شفاعتي ، ولم تَنَلْه مودَّتي» [٥] .

وروى حُميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمّل عن عطاء عن ابن عباس قال [٦] : قال رسولُ اللّه صلّى اللهُ عليه وسلّم : «إذا اختلفَ الناسُ فالحقُّ في مضر» [٧] .

وروى أبو نَعيم عن الثوّري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن

---

(١) ينظر المحاسن والمساوىء ، ١/ ١١٨ ، ونُسب البيت في نور القبس إلى السيد الحميري ، وهو خطأ لأنَّ السيد وُلد عام ١٠٥ للهجرة وتوفيّ عام ١٧٣ للهجرة ، كما يخلو البيت من ديوان السيّد .

(٢) سقط السند في المخطوط .

(٣) صحيح الترمذي ، ٥/ ٧٢٣ ، وفيه : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث أبي بدر بن شجاع بن الوليد ، وسمعت محمد بن اسماعيل يقول : أبو ظبيان لم يدرك سلمان ، مات سلمان قبل علي» . وينظر العثمانية ، ص ٢٢٠ ففيه حديث طويل .

(٤) سقط السند في المخطوط .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ١/ ٧٢ ، وصحيح الترمذي ، ٥/ ٧٢٤ ، وفيه : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حُصين بن عمر الأحمسي عن مخارق وليس حصين عند أهل الحديث بذلك القوي» .

(٦) سقط السند في المخطوط .

(٧) ينظر المحاسن والمساوىء ، ١/ ١١٨ .

المطلب بن أبي وَداعة [والمطلب بن ربيعة] [1] أنَّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال : «إنَّ اللّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فجعلني في خير خَلْقه ، وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقةً ، وخَلَقَ قبائلَ فجعلني في خَيرِهم قبيلةً ، وجَعَلَهم بيوتاً فجعلني في خَيرهم بيتاً» [2] .

ثمّ يتلو [3] العربَ في شَرف الطرَّفين أهلُ خراسان ، أهلُ الدّعوة ، وأنصارُ الدولة ، فإنَّهم لم يزالوا في أَكثرِ مُلْكِ العجمِ لَقاحاً [4] ، لا يؤدُّونَ إلى أحد إتاوةً ، ولا خراجاً .

وكانت [5] ملوكُ العجمِ قبل ملوك الطوائف تَنْزلُ بَلْخ [6] ، ثمَّ نزلوا بابلَ ، ثمّ نزل أردشير بابك فارسَ [7] ، فصارَتْ دارَ مُلْكهم ، وصار بخراسانَ ملوكُ الهياطلة [8] ، وهم الذين قتلوا فيروزَ بن يزدجرد [9] بن بهرام ملكَ فارس ، وكان غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سَلَكَ سبيلاً مُعطشةً مُهلكة ، ثمَّ خرجوا إليه فأسروه ، وأكثرَ أصحابه ، فسألهم أن يمنّوا عليه ، وعلى مَنْ أُسِرَ

(١) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط .

(٢) للحديث تتمة في المخطوط هي : «فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً» ، ينظر المحاسن والمساوىء ، ١/ ١١٨ - ١١٩ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣١٦ و ٤/ ٢٥١ ، وطبقات ابن سعد ، ١/ ٢٠ ، وسنن الترمذي ، ٥/ ٥٤٥ ، ومسند الإمام أحمد ، ٣/ ٣٢٤ .

(٣) في المخطوط : [تتلو] ، ومن هنا إلى قوله : [وقتلوا كسرى بن فيروز] ينقله صاحب معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٢ باختلاف يسير ، ويشير إلى ابن قتيبة .

(٤) لَقاح : يقال قومٌ لَقاح أي لم يدينوا للملوك ، ولم يُملكوا . وقد وُصِفَتْ قريش بهذا الوصف في مواضع كثيرة .

(٥) من هنا إلى قوله : « . . . واستباحوا عسكره» ينقله صاحب العقد الفريد باختلاف يسير بلا إشارة إلى ابن قتيبة . ينظر ١/ ١٢٦ - ١٢٧ .

(٦) بَلْخ : مدينة من أجلِّ مدن خراسان ، وأكثرها خيراً ، وأوسعها غلّة ، وقيل إنّ الاسكندر هو الذي بناها ، وكانت تسمى الأسكندرية ينظر معجم البلدان ، ١/ ٥٦٨ .

(٧) في المطبوع : [أزدشير] ، وهو خطأ مطبعي ، والصواب [أردشير] ، وينظر الأخبار الطوال ، ص ٤٢ ، وما بعدها في أمر نزوله فارس واستلائه عليها .

(٨) الهياطلة : جيل من الناس كانت لهم شوكة ، وكانت لهم بلاد تخارستان . ينظر مفاتيح العلوم ، ص ١٥٢ .

(٩) ينظر تاريخ الطبري ، ٢/ ٨٢ ، وما بعدها ، وفيه القصة التي يوردها ابن قتيبة باختلاف يسير ، وفيه أنَّ أنو شروان قتل ملك الهياطلة «مطالباً بوتر جَدّه فيروز» ، ينظر ، ٢/ ١٠٣ ، ومروج الذهب ، ١/ ٢٨٩ ، ويشير المسعودي إلى أنَّ أنو شروان قتل بعد هذا ملك الهياطلة أخشنواز بجدّه فيروز هذا . ينظر ١/ ٢٩٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٢٦ ، وما بعدها ، والأخبار الطوال ، ٦٠٢ .

مَعَه ، وأعطاهم موثقاً من الله أن لا يغزوَهم ، ولا يجوزَ حدودَهم ، ونَصَبَ حجراً بينَه ، وبينَ بلدهم جَعَلَه الحدَّ الذي حَلَفَ عليه[1] ، وأطلقوه ، فلمّا عادَ إلى مملكته أخَذَتْه[2] الأنَفَة والحميَّةُ بما أصابه ، فعاد لغزوهم ناكثاً لأيمانه ، غادراً بذمَّته ، وحَملَ الحجرَ الذي كان نَصَبَ[3] ، أمامَه في مسيره يتأوَّلُ أنَّه ما تقدَّمَ الحَجرُ فإنَّه لم يَجُزْه ، فلمّا سارَ إليهم نَاشَدوه اللهَ ، وأذكروه[4] ما جَعلَ على نفسه من عهده ، وذمَّته ، فأبى إلاّ لجَاجاً ، ونكثاً ، فواقعوه فقتلوه ، وقتلوا حُماتَه وكُماتَه ، واستباحوا عسكرَه ، وأسروا ضَعَفَتَه ، ولبثوا في أيديهم أسرى ثمَّ أعتقوهم وأطلقوهم ، وغبروا بعد ذلك زماناً طويلاً ، وقتلوا كسرى ابن فيروز ، وهذا شيءٌ يُخْبَرَ به عن فارسَ[5] فيما دوَّنوا في سيرَ ملوكهم من أخبارهم . ومَنْ أقرَّ بهذا على نفسه لعدّوه ، وأباحه[6] لخصمه ، فما ظَنَّكَ بمَنْ سَتَرَ وزيَّن من أمره .

وكان فيما حكَوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلامٌ أحبَبْتُ أن أذكرَه في هذا الموضع لأَدلَّ به على حكَمة القومِ ، وحَزْمهم في الأمور ، وعلمهم بمكايد[7] الحروب ، قالوا : لمّا التقى الفريقان ، ثمّ تصافّوا للقتال أرسلَ إخشنواز [ملك الهياطلة إلى فيروز يسألُه أن يبرز فيما بين الصفَّين ليكلِّمَه ، فخرج إليه . فقال[8] إخشنواز :][9] قد ظننتُ أنَّه لم يَدْعُكَ إلى مقامك هذا إلاّ الأنَفَ[10] ممَّا أصابَكَ ، ولَعَمري لئن كُنَّا احتلْنَا لكَ بما رأيت ،

(١) في المخطوط تتمة هي : [وأشهد على ذلك اللهَ ومَنْ حضره من مرازبته وأساورته فمنّوا عليه] .

(٢) في المخطوط : [دخلته] .

(٣) في المخطوط : [نصبه] .

(٤) في المخطوط : [واذكروه به و] .

(٥) في المخطوط : [أهل فارس] .

(٦) ساقطة في المخطوط .

(٧) في المخطوط : [مكايد] .

(٨) يورد ابن قتيبة في عيون الأخبار ، ١/ ١١٩ ، وما بعدها هذه المحادثة باختلاف يسير .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط .

(١٠) في المخطوط : [الأنفة] .

لقد كنتَ التمستَ منّا أعظمَ منه ، وما ابتدأناكَ ببغيٍ ولا ظُلمٍ ، ولا أردنا إلاّ دَفْعَكَ عن أنفسنا وحريمنا ، ولقد كنتَ جديراً أن تكونَ من سوء مكافأتنا عليكَ ، وعلى مَنْ معك ، ونَقْض[1] العهد والميثاق الذي أكّدتَ على نفسك أعظمَ أنَفاً ، وأشدَّ امتعاضاً ممّا نالَكَ منّا ، فإنّا أطلقناكُم وأنتم [أسارى ، ومَنَّنا عليكم وأنتم مشرفون على الهلكة ، وَحَقَنّا دماءكم وبنا على سَفكها قدرةٌ ، وإنّا لم نجْبرْكَ على ما شرَطْتَ لنا ، بل كنتَ الراغبَ إلينا فيه ، والمريدَ لنا عليه ، ففكِّرْ في ذلك ، ومثِّلْ بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشدُّ عاراً ، وأقبحُ سماعاً ، أن طَلَبَ رجلٌ أمراً فَلَم يُتَحْ له ، وسَلَكَ سبيلاً فلم يظفرْ فيها ببُغية ، واستمكنَ منه عدُّوه على حال جهد منه ، وضيقة ممَّن معه ، فمَنَّ عليهمَ ، وأطْلَقَهم على شَرْط شرطوه ، وأمر اصطلحوا عليه ، فاصطبرَ لمكروه القضاء ، واستحيا من الغدر والنكث ، أم أنَّ يقالَ نقضَ العهدَ ، وختَرَ[2] بالميثاق ، مع أنّي قد ظننتُ أنَّه يزيدُك لجاجةً ما تثقُ به من كثرة جنودكَ ، وما تراه من حُسْن عُدَّتهم ، وما أجدني أشكُّ في أنّهم ، أو أكثرَهم كارهون لما كان من شخوصكَ بهم ، عارفون بأنّك قد حَمَلْتَهم على غير الحقّ ، وَدَعَوْتَهم إلى ما يُسخطُ اللّهَ ، فهم في حربنا غيرُ مستبصرين ، ونيّاتُهم اليومَ في مناصحتك مدخولةٌ ، فانظر ما غَناء مَنْ يقاتلُ على هذه الحالة ، وما عسى أن تبلغَ نكايَتُه في عدوِّه إذا كان عارفاً أنّه إن ظَفرَ فمع عار ، وإن قُتل فإلى النار .

فأنا أذكِّرُكَ اللّهَ الذي جعلتَه على نفسكَ كفيلاً ونعمتي عليكَ ، وعلى مَنْ معكَ بعدَ يأسكم من الحياة ، وإشرافكم على الممات ، وأدعو إلى ما فيه حظُّك ، ورُشدُك من الوفاء بالعهد ، والاقتداء بآبائكَ الذين مَضَوا على ذلك في كلِّ ما أحبّوا ، أو كرهوا ، فأحْمَدَوا عواقبَه ، وحَسُنَ عليهم أثرُه ، ومع ذلك

---

[1] في المخطوط : [ومن نقض] .

[2] ختر : الخَتْر أسوأ الغدر وأقبحه ، وفي الحديث : «ما خَتَر قومٌ بالعهد إلاّ سُلِّط عليهم العدو» .

إنَّكَ لَسْتَ على ثقة من الظَّفَر بنا ، والبلوغ لبغيتكَ فينا ، وإنَّما تلتمسُ منَّا أمراً نلتمسُ منكَ مثلَهُ ، وتبادئ عدّواً لعلَّه يُمنَحُ النَّصرَ عليك . فدونَكَ هذه النصيحةَ ، فباللّه ما كان أحدٌ من أصحابكَ ببالغ لكَ أكثرَ منها ، ولا زائد لكَ عليها ، ولا يَحْرِمَنَّكَ منفعتَها مخرجُها مِنِّي ، فإنَّه لا يُزري بالمنافع عند ذَوي الرأي أن تكونَ من الأعداء] [1] ، كما لا يُحببُ المضارَّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء ، ونحن نستظهرُ باللّه الذي اعتذرنا إليه ، ووثقنا بما جعلتَ لنا من عَهْده ، إذا استظهرت بكثرة جنودكَ ، وازدهتكَ عُدَّةُ أصحابكَ . واعلم أنَّه ليس يدعوني إلى ما تسمعُ من مقالَتي [2] ضعفٌ أحسُّه من نفسي ، ولا قلّةٌ من [3] جنود ، ولكنّي أحببتُ أن أزدادَ بكَ حُجَّةً واستظهاراً ، وأزدادَ به [4] للنَّصر [5] ، والمعونة من اللّه استيجاباً ، ولا أوثرُ على العافية ، والسلامة ما وجدتُ إليهما سبيلا . فأبى فيروزُ إلاّ لجاجاً ، وتعلّقاً بحجتّه في الحجر الذي قدَّمه أمامَه ، فقال له أخشنواز : لا يغرَّنَّكَ ما تخدعُ به نفسَكَ من حَمْلِ الحَجر أمامَكَ فإنَّ الناسَ لو كانوا يعطون العهودَ على ما تُقدِّمُه من إسرار أمر ، وإعلانَ آخر [إذاً] [6] ما كان ينبغي لأحد أن يغترَّ بأمان ، ولا يثقَ بعهد ، وإذاً [لما] [7] قَبلَ الناسُ ذلك ، ولكنَّه وضعَ على العلانية ، وعلى نيَّة مَنْ تُعْقَدُ له العهودُ ، والشروط . ثمَّ أخرج أخشنواز الصحيفةَ التي كتبها إليهم فيروز فرفَعها على

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط .

(٢) في المخطوط : [مقالي] .

(٣) ساقطة في المخطوط .

(٤) ساقطة في المخطوط .

(٥) إلى هنا آخر ما جاء في المطبوع ، ويُستأنف الكلام في المخطوط .

(٦) طمس بمقدار كلمة ، والزيادة من عيون الأخبار ، ١/ ١٢٠ .

(٧) كلمة ساقطة من المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، ١/ ١٢٠ ، وبها يستقيم الكلام .

رمح [لينظرَ إليها أهلُ عسكر فيروز] (١) فتذكّروا غَدْرَهَ [وبَغْيَه ، وخرجوا من متابعته] (٢) وانتقضَ عسكرُه [واختلفوا ، وما لبثوا إلاّ يسيراً حتى انهزموا] (٣) فقُتلوا إلاّ قليلاً ، وأُسروا [وقُتل] (٤) فيروز ، [فقال] (٥) أخشنواز : أن لقد صَدَقَ الذي قال : لا رَدَّ لما [قُدِّرَ ، و] (٦) لا أشدَّ إحالةً لنافع الرأي من الهوى ، واللجاج ، ولا أضيعَ من نصيحة يُمْنَحُها مَنْ لا يوطِّنُ نفسَه على قبولها ، والصَّبر على مكروهها ، ولا أسرعَ عقوبةً ، وأسوأ عاقبةً من البغي ، والغدر ، ولا أجلبَ لعظيم العار ، والفضوح من إفراط العجز ، والأنف .

قالوا : ولمّا مَلَكَ أنو شروان صاهر خاقانَ ، (٧) واستعان به على الهياطلة ، فأعانه عليهم حتى أدركَ ثأرَه ، وقَتَل ملكَهم وأهلَ بيته ، فاستغاثتُه بملك الترك دليلٌ على الضعف [ ] (٨) .

فهذه حالُ أهل خراسانَ قبلَ الإسلام ، ثمَّ (٩) أتى اللّهُ بالإسلام فكانوا فيه أحسنَ الأمم رغبةً ، وأشدَّهم إليه مسارعةً مَنّاً من اللّه عليهم ، وتفضيلاً لهم . وإحساناً إليهم ، وأسلموا طَوْعاً ، ودخلوا فيه أفواجاً ، وصالحوا عن بلادهم صُلْحاً ، فخفَّ خراجُهم ، وقلّت [نـ] (١٠) ـوائبُهم ، ولم يَجْرِ عليهم سباءٌ [ولم يسفك فيما بينهم] (١١) دمٌ .

ولما رأى الله [ ] (١٢) العزيز وأهل السيئات [ ] (١٣) وإخرابهم البلادَ واستئـ[ـثارهم] (١٤) بالفيء و[تهالكهم] (١٥) على المعازف

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، ١/ ١٢١ .

(٧) ينظر تاريخ الطبري ، ٢/ ١٠٣ ففيه حديث المصاهرة ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٨٢ . وخاقان هو ملك الترك الأعظم . ينظر مفاتيح العلوم ، ص ١٥٢ .

(٨) كلمة غير مقروءة .

(٩) من هنا إلى قوله : [فيما بينهم دم] ينقله صاحب معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٢ ، وهو يشير إلى ابن قتيبة .

(١٠) حرف غير مقروء ، والزيادة من معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٢ .

(١١) طمس في المخطوط ، والزيادة من معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٢ .

(١٢) و(١٣) طمس في المخطوط .

(١٤) و(١٥) طمس في المخطوط والزيادة يقتضيها السياق .

والملاهي وإعراضهم عمّا وَجَبَ عليهم فيما قلّدهم ، ابتعث لهم جنوداً من أهلِ خراسان جمعهم من أقطارها كما يُجمعُ قَزَعُ[1] الخريف ، وألبسهم الهيبَةَ ، ونَزَعَ من قلوبهم الرَّحمةَ ، فساروا نَحوْهَم كقطَعِ الليلِ المظلم ، وقد أخذوا بلبسِ السوادَ ، وطوَّلوا الشعورَ ، وشدّوا المآزرَ دون النساء[2] حتى انتزعوا مُلْكَ بَني أميَّةَ من أكبر ملوكهم نسباً ، وأشدِّهم حنكةً ، وأحزمِهم رأياً ، وأكثرهم عُدَّةً وعديداً[3] ، وأثخَنِهم[4] كاتباً ووزيراً[5] ، وسلّموه إلى بني العبّاسِ .

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قالَ لدُعاتهم حين أراد توجيهَهمُ إلى الأمصار : أمّا الكوفةُ فشيعةُ عليٍّ وولده ، وأمّا البصرةُ وسوادُها فعثمانيةٌ [تدينُ بالكفِّ[6]][7] [وتقول : كن عبد][8] الله المقتولَ ولا تكن [عبدَ الله القاتلَ ، وأمّا][9] الجزيرةُ فحروريةٌ مارقةٌ [وأعرابٌ كأعلاج ، ومسلمونَ في أخلاق][10] النصارى ، وأمّا أهلُ الشامِ [فليس يعرفو][11] ن إلاّ آلَ أبي سفيان ، وطاعةَ بني مروان ، وعداوةً راسخةً وجهلاً متراكماً . وأمّا مكةُ والمدينة فقد غَلَبَ عليهما أبو بكر وعمر رحمهما اللهُ ، فعليكم بأهلِ

---

(١) قَزَع واحدتها قَزَعة وهي السحاب المتفرّق .

(٢) شدوا المآزر دون النساء : كناية تشير إلى ابتعادهم عن النساء والانشغال بهن والانصراف إلى الحرب والاستعداد .

(٣) يريد به مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو كما ذكر ابن قتيبة ، وساق من أوصافه . ينظر تفصيل حياته كتاب مروان بن محمد ، سعدي أبو جيب فقد كسر الكتاب كلّه على حياته وجوانبها المختلفة المضطربة .

(٤) أثخنهم : رجل ثخين حليم رزين ثقيل في مجلسه ، قويّ في رأيه .

(٥) يريد به عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور الذي فتق أكمام البلاغة وسهّل طرق الكتابة ، ووصف بأنّه أوّل مَنْ بدأ الكتابة . كان كاتب مروان بن محمد ، وموضعَ سرّه ، ولُقّب بوزير مروان لمكانته العالية عنده . قتله العبّاسيون بعد معركة الزاب التي أنهت الدولة الأموية ، ينظر كتاب عبد الحميد الكاتب . د . احسان عباس ففيه تفصيل وافٍ عن حياته ومكانته .

(٦) الكفّ : الامتناع عن القتال . وفي تاريخ الدعوة العباسية يرد مصطلح [الكفيّة] وهم مَنْ أجاب الدعوةَ قبل ظهور أبي مسلم ، ومَنْ دخَلَ في الدعوة بعد ظهور أبي مسلم فليس من الكفيّة . ينظر أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٥ .

(٧) و (٨) و (٩) و (١٠) و (١١) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، ١/ ٢٠٤ ، وأخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ ، ومعجم البلدان ، ٢/ ٤٠٣ ، وتنظر رسائل الجاحظ ، ١/ ١٦ ، وفيها يرد القول تاماً باختلاف يسير .

خراسانَ ، فإنَّ هناكَ العددَ الكثيرَ ، والجَلَدَ الظاهر ، وهناك صدورٌ سليمةٌ ، وقلوبٌ فارغةٌ لم تتقسَّمْها الأهواءُ ، ولم تتوزَّعْها النّحَل ، ولم يقدحْ فيها فساد ، وهم جندٌ لهم أبدانٌ ، وأجسامٌ ، ومناكبُ ، وكواهلُ ، وهاماتٌ ، ولحى ، وشواربُ ، وأصواتٌ هائلةٌ[1] ، ولغاتٌ فخمةٌ تخرجُ من أفواه منكرة . وبعدُ ، فإنّي أتفاءلُ إلى المشرقِ ، وإلى مَطْلَعِ سراجِ الأرض ، ومصباحِ الخلق .

ولمّا بلغَ اللهُ إرادتَه في بني أميَّةَ ، وبني العباس قام أهلُ خراسانَ مع خلفائهم على أسْكَن ريح ، وأحسن دَعَة ، وأشدِّ طاعة ، وأكثر تعظيم لسلطان ، وأحمد سيرة في رعَيَّة ، يُتزيَّنُ عندهمَ الحسن ويـ[ـستُتر مَنهم بالقبيح إلى كان ما كان][2] من قضاء الله ، ورأي [الخلفاء الراشدين في الاستبدال بهم ، وتصيير][3] التدبير لغيرهم ، ولا [ ][4] المستعان .

ولخراسانَ [ ][5] طيب [ ][6] التربة ، وعذوبة الثمر [ ][7] م الصنعة ، وتمام الخلقة ، وطول القامة ، وحسن الوجوه ، وجودة السلاح والدروع ، والثياب ، وأهل التجارب ، على أنَّ ما كان له أصلٌ بخراسانَ فهو خيرٌ من جميع ما في الأرض من ذلكَ الجنس [ ][8] الترك أشدُّ الناس بأساً ، وأغلظهم أكباداً ، وأصبرهم على البؤس أنفساً ، وأقلّهم شغباً وخفضا[9] ، يثخنون فيهم القتلَ ، ويأسرونهم ، وبهم يدفع الله عن المسلمين حربهم ، وكيدهم ، وقد جاء في الحديث : «تاركوا التركَ ما تاركوكم»[10] ،

---

(١) تنظر رسائل الجاحظ ، ١/ ١٨ - ٢٠ .

(٢) و(٣) طمس في المخطوط والزيادة من معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٣ .

(٤) و(٥) و(٦) طمس في المخطوط .

(٧) و(٨) طمس في المخطوط .

(٩) يذهب الدكتور عبد الله الجبوري في كتابه عن ابن قتيبة ،ص ٢٠ ، إلى أنّه من أبناء الترك ، أو الأكراد لأسباب ، وقرائن ساقها في ذلك الكتاب ، ولعلَّ في حديث ابن قتيبة السابق عن الترك ما يؤكد نسبته إليهم من حيث اطراؤه الواضح لهم ، واستغراقه في مديحهم ، والثناء عليهم .

(١٠) مجمع الزوائد ، ٧/ ٣١٢ ، وتفسير القرطبي ، ١١/ ٨٥ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٥٨ و ٧٦ وفيها أنّه من الأخبار المأثورة ، ونثر الدرّ ، ١/ ٢٤٣ ، ومعجم البلدان ٢/ ٢٧ ، وسنن أبي داود ، ٤/ ٤٨٦ مع التخريج .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلّم فيها ما لا أعلمُ أنّه جاء مثلَه في شيء من البلاد إلاّ في الحرمين ، والأرض المقدَّسة .

حدّثني أحمد بن الخليل قال : حدَّثنا محمد بن الخصيب بن حمزة عن سليمان بن بريدة قال : حدَّثني أوس بن عبد الله بن بريدة : [قال النبي صلى الله علـ] [1] ـيه وسلّم : يا بُرَيْدة ، إنّه (سيبُعث بعدي بعوث فإذا] [2] بُعثتَ فكن في [أهل بعث المشرق [ثمّ كن] [3] في بعث خراسان ثمَّ في بعث] [4] أرض يقال لها : مروَ فإذا أتيتها [فانزل] [5] مدينتها فإنَّه بناها ذو القرنين ، وصلَّى فيها . [غزيرةٌ] [6] أنهارُها تجري بالبركة على كلِّ نقب منها مَلَكٌ شاهر سيفَه يدفعُ عن أهلِها السوءَ إلى يومِ القيامة ، فقدمها بُرَيْدة [7] فمات فيها رحمه الله [8] .

وجَهد [9] الطاعنُ على أهلِ خراسانَ أن يدَّعيَ عليهم البخلَ ، ودقَّةَ النظر [10] ، ويشنِّع بمثل قول ابن ثَمامة [11] : إنَّ الديكَ في كلِّ بلد لافظة [12] إلاّ

---

(1) و (2) و (4) و (5) و (6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، 1/ 215 ، ومعجم البلدان ، 5/ 132 - 133 .

(3) زيادة من هامش المخطوط .

(7) الحديث في عيون الأخبار ، 1/ 215 ، وبريدة هو الصحابي بُريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، أسلم حين مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً بالغميم ، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد ، وشهد الحديبية فكان ممَّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وسكن البصرة ، وغزا خراسان في زمن عثمان ، ثمَّ تحوَّل إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين ، وقبره بالحصن ، وهي مقبرة بمرو . ينظر الاصابة ، 1/ 241 رقم [629] ، والاستيعاب ، 2/ 41 ، رقم [218] .

(8) في كتاب الموضوعات ، لابن الجوزي ، 1/ 363 - 364 حديث طويل عن فضائل بعض مدن خراسان ، ومنها مرو ، وفيه هذا الحديث الذي يصفه ابن الجوزي بقوله : «هذا حديث لا يشكّ في وضعه» .

(9) من هنا إلى قوله : « . . . في جميع الأرض» ، ينقله صاحب معجم البلدان ، 5/ 133 .

(10) يقول صاحب العقد الفريد ، 6/ 174 : «أجمع الناسُ على بخل أهل مرو ثمَّ أهل خراسان» ، وينقل الثعالبي في ثمار القلوب ، ص 693 ، قول يحيى بن أكثم لرجل سأله : «أخطأت باب الرزق من ثلاثة أوجه : أحدهم أنّي امرؤ مروزي ، وبخل أهل مرو مضروب به المثل» . وممّا يذكر هنا أنَّ النقباء الاثني عشر الذين تولّوا نشر الدعوة العباسية في زمن استتارها كانوا جميعاً من أهل مرو ، كما إنَّ أربعين رجلاً من أصل سبعين هم نظراء النقباء كانوا من أهل مرو أيضاً ، ينظر أخبار الدولة العباسية ، ص 216 - 217 .

(11) هو ثمامة بن أشرس النميري ، أحد المعتزلة البصريين . ورد بغداد واتصل بالخليفة هارون ، وغيره من الخلفاء ، أثنى عليه الجاحظ ثناءً جميلاً غير مرّة . ينظر البيان والتبين ، 1/ 111 ، ورسائل الجاحظ ، 1/ 61 ، وتاريخ بغداد ، 7/ 145 .

(12) في الحيوان ، 1/ 152 : «اللافظة الديك الشاب» . وينظر لسان العرب ، 7/ 461 .

بمَرْو [1] فإنَّها تستلبُ من الدجاج ما في مناقيرها من الحَبِّ . وهذا كذبٌ بيِّنٌ ظاهرٌ للعيان ، لا يُقْدمُ على مثله إلا الوقاح [2] البَّهات الذي لا يتوقى الفضوحَ ، والعار . وما ديكةُ مَرْو إلاّ كالديوك في جميع الأرض ، ولا أهلُ خراسانَ في البُخل إلاّ كسائر الناس ؛ لأنَّ البخلَ خَلَّةٌ من خلال الشرِّ ، وأهلُ خلال الشرِّ أضعافُ أهلِ [ ] [3] الأذى ليس فيهم من الأ[ ] [4] ومن الحكماء والشجعان [ ] [5] سخفاء جبناء بخلاء ومقاربو [ ] [6] على هذا أُسِّسَت الدنيا ، وبه جرى تقديرُ اللطيف [الخبير] [7] .

وقد يُرى أهلُ خراسانَ عند أهل العراق في هذا الباب ممَّن يرون من الحاجِّ [8] ، وأكثرُ الحاجِّ في كلِّ سنة أهلُ الرساتيق [9] ، وأهلُ القرى ، والأوباشُ ، والأغلبُ على هذه الطبقة دقَّةُ النظر ، وسوءُ الأدب .

ولأهل خراسانَ أجوادٌ مبرِّزون لا يُجارَون ، ولا يُبلغُ شأوُهم ، فمنهم البرامكةُ ، ولا نعلمُ أنَّ أحداً قَرُبَ من السلطان قربَهم ، فأعطى عطاءَهم ، وصنعَ صنيعَهم ، واعتقدَ [10] بيوتَ الأموال حراً كان أم عبداً منّاً عليهم ، ومن المشهور عنهم أنَّه لم يكن لخالد بن برمك أخٌ إلاّ بنى له داراً على قدر كفايته ، ثمَّ وقفَ على أولاده ما يعيشُهم أبداً ، ولم يكن لأحد من اخوانه ولدٌ إلاّ من جارية هو وهبها له [11] .

---

(1) مَرْو : هي مَرْو الشاهجان أشهر مدن خراسان ، وقصبتها وتسمّى أمّ خراسان ، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، شهدت أحداثاً جساماً في أواخر الدولة الأموية ، وبداية الدولة العباسية . ينظر معجم البلدان ، ٥/ ١٣٢ ، ومعجم ما استعجم ، ٤/ ١٢١٦ ، وثمار القلوب ، ص ٢٥٥ .

(2) الوقاح : قليل الحياء .

(3) و (٤) و (٥) و (٦) طمس في المخطوط .

(7) ظهرت الراء وحدها فأثبتنا [الخبير] لملاءمتها السياق .

(8) الحاجّ : جماعة الحجيج ، ومنه قولهم : أقبل الحاجّ والداجّ ، وهؤلاء الداجّ وليسوا بالحاجّ ، والداجّ الذي يخرج للتجارة . ينظر لسان العرب ، ٢/ ٢٢٧ .

(9) الرساتيق : جمع رستاق ، فارسي معرّب ، وهو السواد والقرى . ينظر المعرب ، ص ١٥٨ ، ولسان العرب ، ١٠/ ١١٦ ، والمفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبة ، ص ٢٠٩ .

(10) اعتقد الشيء : اقتناه .

(11) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٣٣٩ .

ومنهم القحاطبة [1] [   ] [2] هو خير في قرآن [   ] [3] ألف ألف دينار [   ] [4] لأعن أن يوهب .

وممّن [   ] [5] نفسه بما ملكَ عبد الله بن المبارك [6] ، كان [يفرّق] [7] ماله على إخوانه ، ويؤثرهم بأرباحه ، ويلبسُ ثوباً بثلث دينار ، ويُعطي صاحبَ الحمّام أحياناً ديناراً ، والحاجمَ ديناراً .

وأمّا الأمّةُ التي بَسَقَ أولها ، وعفا آخرُها فأهلُ فارسَ . كانوا في سالف الدَّهر أعظمَ الأمم مُلكاً ، وأكثرهَم أموالاً ، وأشدَّهم شوكةً ، وكانت الملوكُ في جميع الأطراف ، والأقاليم تعترفُ بذلك ، [   ] [8] أن يهادنَهم . وكانت العربُ تدعوهم الأحرارَ ، وبني الأحرار ؛ لأنَّهم كانوا يَسبون ، ويَستخدمون ، ولا يُسبون ، ولا يُستخدمون ، ثمّ أتى اللهُ بالإسلام فكانوا كنار خَمَدتْ ، وكرماد اشتدَّتْ به الريحُ ، فتبدَّد جَمعُهم ، ونَخَبَتْ [9] قلوبُهم ، ومُزّقوا كلَّ ممزَّق ، فلم يَبْقَ منهم في الإسلام بقيةٌ تذكر ، ولا شريفٌ يُشهر إلاّ أن يكونَ ابنَ المقفع والفضـ[ـلَ بنَ سهل ، وأخاه الحسن] [10] [   ] [11] تدفعُ فارسَ عن

(1) نسبهم إلى أبيهم قحطبة بن شبيب الطائي الذي كان أحد النقباء الاثني عشر ، وهو من أهل مرو ، أبلى بلاءً كبيراً في دعم الدعوة العباسية والقتال تحت لوائها ، وكان قائداً شجاعاً ، وكذلك ولداه حميد والحسن فقد كانا من نظراء النقباء . ينظر أخبار الدولة العباسية ، ص ٢١٦ و ٢١٩ .

(2) و (3) و (4) طمس في المخطوط .

(5) طمس في المخطوط .

(6) عبد الله بن المبارك الحنظلي ولاءً ، المرزوي الخراساني ، ولد بمرو سنة ١١٨ للهجرة ، فقيه ، محدّث ، زاهد ، شاعر ومن الكرماء الذين يشار لهم بالبنان . توفي سنة ١٨١ للهجرة . ينظر عن سيرته ، وكرمه كتاب الدكتور عبد المجيد المحتسب [عبد الله بن المبارك المروزي] ، وفي معجم البلدان ، ٢/ ٤٠٤ : «كان عبد الله بن المبارك يعدّ من أجواد الزهاد والأدباء» .

(7) ما بين المعوقفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(8) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

(9) نخبت قلوبهم : دخلها الجبن والفزع .

(10) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من معجم ما استعجم ، ٢/ ٤٩٠ ، وهو ينقل عن هذا الكتاب بلا إشارة .

(11) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

[صلى] (1) الله عليه : لو كان الايمان [منوطاً بالثريا لتناوله رجا] (2) ل من فارس (3) . قلنا له : في هذا [الحديث] (4) دليل على رغبة الموقوفين له بالدين ، ومسارعتهم إليه ، وتمسّكهم بسنن النبي صلى اللّه عليه وسلّم فيه . وإنّما هو كقولكَ : لو كنت بأقاصي البلاد لزرتُكَ تريد : لتجشَّمْتُ الوصولَ إليك [ ] (5) . ولا خلافَ بقول اللّه عزَّ وجلَّ ولا تبديل .

فإذا نحن تطلّبنا مصادقَ هذا القول في أهل فارس لم نَجدْه أولاً ولا آخراً ؛ لأنَّ أوّلَ أمرهم في الإسلام على ما قَدمَّتُ من شدَّة العداوة للمسلمين ومحاربتهم ، حتى قُهروا ، وهُزموا [ ] (6) ، ومُزّقوا ، فلا [ ] (7) مَنْ كانت هذه حالُه ، ولم نجدْ لهم بعد ذلك رجالاً برعوا في العلم ، وعُرفوا بالحفظ للأثر ، والتفقّه في الدين ، والاجتهاد في العبادة ، إلاّ أن نجدَ من ذلك الشيءَ اليسير ، والنُبَذَ [ ] (8) ـها في أهل خراسان [الإ] (9) سلام رغبة وطوعاً [أو]ل أمرهم ، ثم هم أحسنُ الناس بقيّةً وأشدُّ [هم بالد] (10) ين تمسكاً ، فمنهم المحدّثون النبل المشهورون ، [ومنهم العلـ] (11) ـماء بالفقه المتقدّمون ، والعبّاد المجتهدون . ورغباتُ الناس في الخير والعلم والأدب تنقُص ، ورغباتُهم تزيد ، وحرصُ الناس على مرِّ الأيام يخلق ، وحرصُهم مجدَّد ، ومن [ ] (12) ذلك طلبة الحديث وَجَدَه [ ] (13) لأنّك تجد أهلَ خراسانَ في كلِّ بلد فيه محدِّث أو [ ] (14) وأكثر ،

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(2) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من تفسير الطبري ، 13/ 66 ، وتفسير القرطبي ، 16/ 258 ، ومعجم البلدان ، 4/ 257 ، ومعجم ما استعجم ، 2/ 490 ، وسنن الترمذي ، 5/ 682 ، ومسند الإمام أحمد ، 15/ 95 .

(3) تنظر المصادر السابقة .

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(5) و(6) و(7) و(8) و(9) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(10) و(11) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط . والزيادة تتلاءم مع السياق .

(12) و(13) و(14) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

وباقيهم من جميعِ الأمصار .

فإن قال قائلٌ : فإنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليه جَعَلَه في أهلِ فارسَ فكيف جعلْتَه في أهلِ خراسان؟ قلنا : إنَّ فارسَ وخراسانَ كانتا عند العرَب شيئاً واحداً لأنَّهما يتحاذيان ويتَّصلان ، ولأنَّ لسانَ أهلِ فارسَ ، ولسانَ أهلِ خراسانَ الفارسية فهم يسمّون الفريقين : الفرس ، وكذلك المتكلّمون بالعربيّة عند مَنْ لا يُفْصِح من الأ[ ](1) أهل اليمن ، وأهل الحجا[ز](2) ، وكانوا يقضون على ما [ ](3) بأنَّه منها ، يدلُّكَ على ذلك [أبـ](4)ـي بكر رحمه الله في خطبة له ذكر فيها الموتَ ، ثمَّ قال : أيّ بلادكم خرسةٌ فإنَّ اللهَ سيفتح عليكم أقصاها ، كم فتح أدناها(5) . أفما تراه يسألُ عنها ثمَّ يعبّرُ باللفظ باسمها لقلّة ما يجري ذكرُها ، ولأنَّهم كانوا إذا ذكروا المشرقَ كلَّه قالوا : فارس(6) ، ومن الدليل أيضاً حديثٌ حدَّثنيه أحمد بن عمر بن [جيـ](7)ـلان قال : الدنيا كلُّها أربعةٌ وعشرون ألف فرسخ فمُلك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ ، ومُلك الروم ثمانيةُ آلاف فرسخ ، ومُلك فارسَ ثلاثةُ آلاف فرسخ ، وأرضُ العرب ألفُ فرسخ(8) . فذكر فارسَ ولم يذكرْ خراسانَ وهيَ أوسعُ منها ؛ لأنَّه يجعلُ المشرق كلَّه من فارس ، وكذلك ذكَرَ الرومَ ولم يذكر ما حاذاها من بلاد الأعاجم ؛ لأنَّه جعل ذلك كلَّه للروم . [ ](9)ث أنَّ رجلاً قال [ ](10) بتنا عليك هذه [ ] المسلم ، سمعتُ النبي صلّى اللّه عليه يقو[ل](11) كم على الدين عوداً كما ضربتموه عليه

(1) و (2) و (3) و (4) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(5) الخطبة في عيون الأخبار ، 2/ 233 ، وفي الهامش بشأن لفظة خرسة : «كذا في الأصل والبيان والتبين ، ولم نوفق إلى تصويبها ، أو تفسير صحيح لها» ، ووجدت الجاحظ في الحيوان ، 4/ 408 ، يتحدّث عن السحابة الخرساء وهي التي لا صوت لها فهي لا تبشّر بالمطر» ، فلعلّ الخرسة في خطبة أبي بكر تشير إلى المحل والجدب .

(6) في معجم ما استعجم ، 3/ 490 ما يأتي : « . . . والعرب إذا ذكرت المشرق كلّه قالوا : فارس ، فخراسان من فارس» .

(7) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من معجم البلدان ، 1/ 33 .

(8) ينظر عيون الأخبار ، 1/ 215 ، والعقد الفريد ، 6/ 247 ، وكتاب النخلة ، ص 119 ، ومعجم البلدان ، 1/ 34 باختلاف يسير ، وهناك أقوال أخرى عن مساحة الأرض أوردها صاحب معجم البلدان ، 1/ 33 وما بعدها فلتنظر هناك .

(9) و (10) و (11) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

أولاً . و [إذ]ا نحن طلبنا مصداق ذلكَ في العجمِ وَجَدْناه في أهلِ خراسان : لأنَّهم هم الذين ضاربوا بالسيوف ، العربَ وأهلَ الشامِ غَضَباً لدين اللّه ، وإنكاراً لسيرةِ بني أميّة حتى ابتزّوهم السلطانَ ، ونقلوا الملكَ من الشامِ إلى العراق .

وروى يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمةَ عن عبد الله بن مسعود أنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليه قال : إنَّ أهلَ بيتي يلقون بعدي بلاءً ، وتطريداً حتى يجيءَ قومٌ من أهلِ المشرق معهم راياتٌ سودٌ يسألون الحقَّ فلا يُعطونَه فيقاتلون فيُنصرون ، فيُعطون ما سألوا فلا يَقْبلونَه حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهلِ بيتي فيملؤها قسطاً كما ملأوها جَوْراً ، فمن أدركَ ذلك منكم فَلْيأتهم ولو حَبْواً على الثلج [1] .

وقرأت في الانجيل [ ] [2] قوم من المشرق [ ] [3] في ملكوت السماء و [ ] [4] بحيث يكونُ البكاء وصر[يف الأ] [5] سنان [6] .

وممّا يزيدُ ما قلنا في فارسَ وضوحاً [أنَّ النبـ]ـيَّ صلّى اللّه عليه كانَ بَعثَ حنيسَ بنَ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، وكتب كتاباً بدأ فيه بنفسه ، فلمّا قرأه كسرى غضب ، ومزّقه ، وبعث إليه بتراب [7] ، فقال النبيّ صلّى الله عليه مزّقَ كتابي أما إنّه سيُمزّقُ ملكَه ، وبعث إليَّ بتراب أما إنّكم ستملكون أرضَه . فكيفَ تكون البقيّةُ الحسنةُ لمَن أعْلَمنا رسولُ اللّهِ صلّى الله عليه أنّهم

(١) ينظر أخبار الدولة العباسية ، ص ١٩٩ ، وسنن ابن ماجه ، ٢/ ١٣٦٦ رقم [٤٠٨٢] .

(٢) و (٣) و (٤) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٥) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق ، والصريف : صوت الأنياب .

(٦) جاء في انجيل متى ، الاصحاح الثاني : «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ، فإنّنا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» .

(٧) ينظر تاريخ الطبري ، ٢/ ٦٥٤ ، والاستيعاب ، ٦/ ١٥١ ، وفيهما عبد الله بن حذافة السهمي ولا ذكر للتراب فيهما ، وينظر المحبر ، ص ٧٧ .

سيُمزَّقون ، لا جَرَم لقد خملوا ، ودرسوا ، ففارسُ إلى يومنا أبخعُ الناس بطاعة السلطان وأصبرُهم على الظلم ، وأثقلُهم خراجاً . وأذلُّهم [ ][1] .

وأخبرني جماعةٌ من مشايخهم أنَّهم لم يعرفوا عدلاً قطّ ، وأنَّ سيرةَ عمرَ بن عبد العزيز شملت البلادَ كُلَّها غيرَ بلدهم فإنَّ عاملَه المتوجِّه إليهم هَلَك في مسيره [ا][2] لسواد انّهم مَن أبناء [ ][3] انّهم نوافل من خراسان [أسـ][4] بغ عليهم بالعرب النِّعمة ، وظاهرَ لهم الكرامة ، [ ][5] لهم العزَّ ، وأبْدلَهم بحالهم حالاً لا يُنكرها منهم إلاّ [غـ][6] ـبيٌّ منقوصٌ ، أو حاسدٌ كفور ؛ لأنَّ السوادَ [فتحه][7] العربُ عنوةً ، والإمامُ مُخيَّرٌ في العنوة بين القتلِ ، والرقِّ ، والفدية ، والمَنّ ، فاختاروا خيرَ الأمور ، وحقنوا دماءَهم ، ومنّوا عليهم ، وأقروّا الأموالَ في أيديهم ، ثمَّ جاوروا السلطانَ من بني العباس ، وأولياءَه من أهل خراسان . فاستخلصهم لأموره ، وجعلهم موضعَ سرِّه ، واتَّخذَ منهم الكتّابَ ، والوزراءَ ، والأصحابَ فصاروا به أسعدَ ممَّن بَذلَ في التمهيد له المهجةَ ، والمالَ ، وهؤلاء الذين ذكرناهم المشهورون من الناس ، فأمّا مَنْ غَبَر أمرُه ، ودَخَلَ في جملة الناس فلا حاجةَ بنا أن ننصَّ عليه ، ولا نذكرَ أوّلَه وآخرَه فنجعلَه خصماً وهو سَلْم ، ونفتحَ له باباً إلى مثلِ ما عليه أولئك الطاعنون على العرب . وقد قال الأول :

كفاني نَقْصاً أ[ ][7]

وبلغني أنَّ رجلاً من العجم [ ][8] بقول الله جلَّ وعزَّ : (يا أيّها النا[سُ إنّا خلقنا][9] كم من [ذكر وأنثـ][10] ـى وجعلناكم شعوباً وقبائل لـ[تعارفوا][11] إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكم)[12] ، وقال : الشعوبُ من العجم ،

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٦) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط والزيادة تتلاءم مع السياق .

(٧) في المخطوط [فتح] ، ولعلَّ ما أثبتناه يتلاءم مع السياق .

(٨) و (٩) و (١٠) و (١١) و (١٢) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(١٣) الحجرات ، ١٣ .

والقبائل من العرب [1] ، وقد قدَّم اللّهُ الشعوب في الذّكر ، والمقدَّمُ أفضلُ من المؤخَّر . وكنتُ أرى أهلَ التسوية يحتجّون بهذه الآيَة ، ولم أعلم أنَّ أحداً يعقلُ ، يدّعي الفَضْلَ بها ، ولا يرضى بالمحاجزة ، وقدَ غلط من وجهين : أحدهما إنَّ تقديمَ الذّكر لا يوجبُ تقديمَ الفَضْل . قَال اللّهُ عزَّ وجلّ : (يا معشرَ الجنِّ والإنس) [2] ، فقدَّم الجنَّ على [الإنس] [3] ، والإنسُ أفضلُ منها ، وقال (وما يَعْزُبُ عَن ربِّك من مثقال ذرَّة في الأَرض ولا في السماء) [4] ، فقدَّمَ الأرضَ ، والسماءُ أفضلُ منها ، وهَذا يكْثرُ لو تتبّعناه .

والوجهُ الآخرُ أنَّ العجمَ ليست بالشعب أولى من العرب ، وكلٌّ قوم كثروا ، وانشعبوا فقد صاروا شعوباً [5] ، حكى ابنُ الكلبي عن أبيه أنَّ الشعبَ أكثرُ من القبيلة ، ثمَّ العمارة ، ثمَّ البطن [ثمَّ الفخذ ، ثمَّ العشيرة ، ثمَّ الفصيلة] [6] ، [ ] [7]

[ ] [8] ـسره فلم أرَ سعداً مثل

وقال ا [ ] [9] :

خليطين من شعبين [ ] [10]

جميعاً وكانا بالتفرّقِ [ ] [11]

---

(١) ينظر لسان العرب ، ١/ ٥٠٠ ، وتاج العروس ١/ ٣٢٠ ، ومفاتيح العلوم ، ص ١٥٣ .

(٢) الأنعام ، ١٣٠ .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(٤) يونس ، ٦٠ ، وفي المخطوط : «لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء» .

(٥) ينظر لسان العرب ، ١/ ٥٠٠ ، وتاج العروس ، ١/ ٣٢٠ .

(٦) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من تاج العروس ، ١/ ٣١٨ والعمدة ، ٢/ ١٩١ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٣٥ ، ولسان العرب ، ١/ ٥٠٠ ، ونور القبس ، ص ٢٥٦ .

(٧) و (٨) و (١٠) و (١١) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

وإنَّما نُسبَت العجمُ إلى الشعوب ؛ لأنَّ ما انشعبَ منها أكثرُ ممَّا انشعبَ من العرب ، فَجُعلَت الشعوبُ علماً لأجناسها ، وأمّا [1] أهلُ التسوية فإنَّ منهم قوماً غلبت علَيهم السلامةُ ، ومالت بهم الدّيانةُ فذهبوا إلى قول اللّه عزَّ وجلَّ : ﴿إنَّ أكرَمَكُم عند اللّه أتقاكم﴾ [2] ، وإلى قول النبيّ صلّى اللّهُ علَيه وَسلّم : «إنَّ اللّهَ قد أذهبَ عنكم عُبيّة [3] الجاهلية ، وفَخرَهَا بالآباء ، مؤمنٌ تقيٌّ ، وفاجرٌ شقيّ» [4] ، وإلى قوله : «كلُّكم بني آدم طفّ الصاع لم تُملأ ، وليس لأحد على أحد فَضْلٌ إلاّ بالتقوى» [5] ، وإلى قوله : «الناسُ سواءٌ كأسنان المشط» [6] ، و «تجدون الناسَ كابلٍ مائة ليس فيها راحلة» [7] ، فقضوا بظاهر الكلام ولم يفتّشوه ، ولم يعتبروا بغيره فيعرفوه ولو كان الناسُ [كُلُّهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد] [8] على أحد فضلٌ إلاّ بأ[مر الآخرة لم يكن في الدنيا] [9] شريفٌ ، ولا مشروفٌ ، ولا [ ] [10] فاضلٌ ولا مفضول فما معـ[ـنى قولـ] [11] ـه صلّى اللّهُ عليه وسلّم : «إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه» [12] ، وقوله لقوم قدموا عليه : مَنْ سيّدكُم؟ قالوا : جَدُّ بن قيس على بخلٍ فيه . قال : وأيُّ داءٍ

---

(١) من هنا إلى قوله : «والحواس الخمس» ينقله صاحب بلوغ الأرب ، ١/ ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) الحجرات ، ١٢ .

(٣) عُبيّة : الكبر ، والترفع والتفاخر ، وفي بعض المصادر [نخوة] .

(٤) كنز العمال ، ١/ ٢٥٨ ، وسنن أبي داود ، ٥/ ٣٤٠ ، مع التخريج .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ٦/ ٩٨ ، مع التخريج .

(٦) ينظر البيان والتبين ، ٢/ ١٩ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٩ و ٤١٩ ، والأمالي ، ١/ ٢٢٠ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٣ ، والأمثال ، ص ١٣٢ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٥٠ .

(٧) ينظر صحيح البخاري ، ٥/ ١٦٥ ، والبيان والتبيين ، ٢/ ٢٠ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٤١٩ و ٣/ ١٣١ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٣ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٣٨٤ ، وزهر الآداب ، ١/ ٢٤ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٥٢ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٣ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٥٠ ، والقرطين ، ١/ ٩١ .

(٨) و (٩) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من العقد الفريد ، ٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(١٠) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

(١١) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط والزيادة تتلاءم مع السياق .

(١٢) ينظر سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٥٣٢ ، مع التخريج ، وصحيح الجامع الصغير ، ١/ ١٣٤ رقم [٢٢٦] ومجمع الزوائد ، ٨/ ١٥ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٢٠٠ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٧ و ٢٥٥ و ٢/ ١٢٤ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٦٣ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٢٠٥ ، والكامل ، ١/ ٢٤٧ ، وفيه : [كريمة] وقال : «هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث» .

أدوى من البخل [1] . وقال لقيس بن عاصم : هذا سيّدُ أهلِ الوبر [2] . وقال : يطلع عليكم من هذا الفجِّ خيرُ ذي يُمنٍ ، فَطَلع جريرُ بنُ عَبد الله [3] ، وقال : «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم [4] .

وكانت العربُ تقولُ : لا يزالُ الناسُ بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا [5] . يريدون أنّهم لا يزالون بخير ما كان فيهم أشرافٌ وأخيار ، فإذا خملوا جميعاً هلكوا . وقال الشاعر [6] في هذا :

سواءٌ كأسنانِ الحمارِ فلا ترى
لذي شيبةٍ منهم على ناشيء فَضْلا [7]

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام ، ٢/ ١٠٤ ، وفيها : الجدّ بن قيس ، والفاضل ، ص ١٦ ، والجدّ من بني سلمة ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٢٦ ، وبخلاء الجاحظ ، ص ١٦٢ ، وبخلاء الخطيب ، ص ٣٧ ، وفيه روايات مختلفة للحديث ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٦٣ ، ومجمع الزوائد ، ٣/ ١٢٦ .

(٢) ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ٣٣ و ١٤٧ ، و ٣/ ٢٨٤ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٤ ، وزهر الآداب ، ١/ ٦ ، والإصابة ، ٨/ ١٩٧ ، والاستيعاب ، ٩/ ١٨٠ ، والبرصان والعرجان ، ص ١٨٢ ، وجمهرة أشعار العرب ، ١/ ١٥٧ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٥٤ .

(٣) ينظر الكامل ، ١/ ٢٤٧ ، و ٣/ ١٤٧٤ ، وله تتمة هي : «عليه مسحة ملك» ، وفي الكامل أيضاً ، ١/ ٤٢٢ ، أنّ علياً كرّم الله وجهه قال لجرير : « . . . ولكنّي اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم فيك : خير ذي يمن» ، وينظر أيضاً مسند الإمام أحمد ، ٤/ ٣٥٩ و ٣٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ، ٢/ ٥٣١ ، وثمار القلوب ، ص ٦٥ ، وجرير هو جرير ابن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي الصحابي ، أسلم قبل سنة عشر ، قدّمه عمر رضي الله عنه في حروب العراق على جميع بجيلة ، سكن الكوفة ، مات سنة إحدى أو أربع وخمسين ، وفي الإصابة أنّه المقصود بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم السابق : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، تنظر الإصابة ، ٢/ ٧٦ رقم [١١٣٢] ، والاستيعاب ، ٢/ ١٤٠ ، رقم [٣٢٣] وعدّه الجاحظ نقلاً عن أهل العلم أحد ثلاثة سادوا في الجاهلية والإسلام . ينظر البرصان والعرجان ، ص ١١٤ .

(٤) ينظر مجالس ثعلب ، ٢/ ٤٢١ ، ويقول ثعلب إنّه مثَل ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٢٥٦ و ٣/ ٣٨٤ ، والأمثال ، ص ٥٢ ، وفصل المقال ، ص ٤٥ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٢٩٥ و ٣/ ١٠٠ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٣٧٠ .

(٥) من أمثالهم ، ينظر فصل المقال ، ص ١٩٦ ، ومعه حديث طويل ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٢ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ١٤٥ ، والأمثال ، ص ١٣٢ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٩٩ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٣٠٢ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٥١ .

(٦) هو كثيّر عزّة .

(٧) ديوانه ، ص ٣٨٤ ، باختلاف يسير ، وينظر الأمالي ، ١/ ٢٢٠ .

[قال مطرّف [1] : الناسُ ثلاثة : ناسٌ ونـ] [2] سناس ، وناسٌ غُمسوا [في ماءِ الناس] [3] .

[وكان يقال] [4]ل : أربعُ خلالٍ يسوِّدن [العبد : الأ][5] دب [والعفّة والـ] [6] صدق ، والأمانة .

ومرَّ عمر بن الخطاب بقوم (يتبعو] [7] ن رجلاً قد أُخذ في ريبة فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلاّ في الشرّ .

ومَنْ تتبّع أحوالَ الناسِ ، وأسبابَهم لم يجدْ رجلين متساويين في خَلْق ولا خُلُق ولا فعال . وكيف يستوي اثنان ، والواحد في نفسه لا تتساوى أعضاؤه ، ولا تتكافؤ مفاصلُه ، بل لبعضها الفضلُ على بعض ، فللرأس الفَضْلُ على جميعِ البدن بالعقلِ ، والحواسَ الخمس ، وللقلب الفَضْلُ على حشوة البطنِ بالمعرفة ، والفهم ، وكانت الحكماءُ تقول : الانسانُ [ ] [8] فؤاده ، ويشبّهونه في البدن بالملك ، ولليمين الفضلُ على الشمال ، وللإبهام الفضلُ على الخنصر . وترى الرجلَ يكسو رأسَه الخزَّ ، وبدنَه الكرابيسَ [9] ، ورجليه الجلودَ ، ولا يحسن به أن يخالفَ هذه الهيئةَ ، فيجعل الكرباسةَ لرأسِه ، والخزَّ

---

(1) مطرّف بن عبد الله بن الشخّير الحرشي العامري ، أبو عبد الله البصري ، زاهد من كبار التابعين ، ثقة ، فقيه ، ولوالده صحبة ، له كلمات في الحكمة تشير إلى سعة عقله ، وعظيم زهده . ينظر وفيات الأعيان ، 4/ 229 ، وتهذيب التهذيب ، 10/ 175 ، والمعارف ، ص 436 .

(2) و (3) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، 2/ 2 ، والعقد الفريد ، 2/ 293 ، والنسناس الوارد في النصّ «خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها ، وأهل اليمن يصطادونهم» عيون الأخبار ، 2/ 176 ، وفي العقد الفريد ، 2/ 340 : «وكان بعضهم يقول : ذهب الناس وبقي النسناس» ، وينظر الحيوان ، 1/ 189 ، ففيه حديث طويل ، وينظر كذلك ، 7/ 178 ، ورسائل الجاحظ ، 2/ 375 ، ومروج الذهب ، 2/ 208 ، وما بعدها ، ولسان العرب ، 6/ 231 .

(4) و (5) و (6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، 1/ 224 .

(7) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، 2/ 1 ، والعقد الفريد ، 2/ 295 ، وبهجة المجالس ، 2/ 521 ، وفي رسائل الجاحظ ، 1/ 283 ، القول وحده منسوب إلى عمر بن عبد العزيز .

(8) كلمة غير مقروءة .

(9) الكرابيس : مفردها الكرباس وهو الثوب من القطن .

لبدنه ، أو رجله ، ولا عيبَ على الرجل [ ][1] والعيب القبيح في [ ][2] الشريف [ ][3] الخسيس من [ ][4] الشريف لأنّهم شبّهوا بالشرف من [ ][5] وهو الرأس .

ودخل رجلٌ على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة [6] ، فقال لابن شبرمة : أتعرفه؟ قال : نعم ، إنَّ له لبيتاً وشرفاً وقَدَماً [7] ، ولم يكن يعرفُه ، وإنّما أراد بالشرف أعلاه ، وبالبيت بيته الذي يأوي إليه ، وبالقدم قدمه التي يمشي عليها[8] .

وكذلك قيل أيضاً رؤوساء ، وقيل للأدنياء السفلة ؛ لأنّهم شُبِّهوا بسفلة البعير ، وهي قوائمهُ[9] .

وتأويلُ[10] هذه الأحاديث أنَّ النبيّ صلى الله عليه بُعثَ والناسُ على عصبية العشائر ، وتحزّب القبائل ، والفَخْر بالمآثر ، والتقديم عليها ، والتعاير بالملائم والتأخير بها ، وكانوا يأخذون ديَةَ القتيل على قدر أسرته ، فربّما وَدَوا الواحدَ ديةَ اثنين ، وربّما وَدَوا اثنين ديةَ واحد ، وربما قتلوا بالواحد عدداً[11] ، وربّما اختلف الفريقان واتفّقوا على ان [ ][12] الآخرون عليهم القصاص [ ][13] الإسلام ، وفي الإسلام [حدثّـ][14] ني السجستاني قال : حدثّنا الأصمعي قال : [ ][15] بن حيّان عن هشام بن عقبة أخي ذي الرمّة [ ][16]

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٦) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عمرو ابن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة الضبي ، الكوفي ، ولاّه أبو جعفر المنصور قضاء السواد ، كان عفيفاً حازماً ، فقيهاً عاقلاً . توفي سنة ١٤٤ للهجرة ينظر تهذيب التهذيب ، ٥/ ٢٥٠ .

(٧) القدم : التقدّم والمنزلة العالية .

(٨) ينظر البيان والتبيين ، ١/ ٣٣٧ ، وللجاحظ تعقيب مستفيض على هذا الخبر ، والعقد الفريد ، ٢/ ٤٦٦ ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٢٠١ .

(٩) ينظر لسان العرب ، ١١/ ٣٣٨ .

(١٠) من هنا إلى قوله : « . . . وبالواحد عدداً» ينقله صاحب جمهرة الأمثال ، ١/ ٥٢٣ ، باختلاف يسير بلا ذكر لابن قتيبة أو كتابه .

(١١) ينظر المفصّل ، ٥/ ٥٩٢ ، وما بعدها وفيه حديث مستفيض عن الديات وأنواعها ، ينظر مع مصادره .

(١٢) و(١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٦) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

قال : شهدتُ الأحنفَ وقد جاءَ إلى قوم في دم فتكلّموا فقال : احتكموا . قالوا : نحكم ديتين . قال : ذاك لكم ، فلمّا سكتوا قال : ما أعطيتكم كما أعطيتكم وأنا قائلٌ لكم شيئاً : إنَّ اللّهَ تبارك وتعالى قضى بدية ، وإنَّ العربَ تعاطي بينها ديةٌ ، وأنتم اليوم طالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين فلا يرضى الناسُ عنكم إلاّ مثلَ ما سنَنْتُم على أنفسكم فانظروا . قالوا : قد ردَّها اللّهُ إلى دية ، فحمد اللّهَ وأثنى عليه ، ثمَّ قام ليركَب . قال : فرأيتُ رداءَه مشمَّراً فوقَ قميصه ، وقميصُه مشمّراً فوق إزاره . فأعلمهم رسولُ الله صلّى اللّهُ عليه أنّه لا فَضْلَ لأحد على أحد في أحكام الدين لشَرف ، ولا مُلك ، ولا عزٍّ عشيرة . قال [1] : كلُّ مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحتَ قدميَّ هاتين ، فمَن قتل نَفْساً قُتل بها ، ومَنْ سَرَق قُطعَتْ يدُه ، ومَنْ زنا حُدَّ ، ومَنْ فقأ عيناً فقئت عينهُ [ ] [2] منَ الإبل لا يزاد عليه [ ] [3] الأحكام تطفٌ الصاع [ ] [4] نحن عند اللّه في الثواب [ ] [5] فالتفضيل والعفو .

وأمّا قولُ النبيِّ صلّى الله عليه : فينبغي إن كان لكَ مالٌ فَلَكَ حَسَبٌ ، وإن كان لكَ خُلُقٌ فَلَكَ مروءة ، وإن كان لكَ تُقى فَلَكَ دين [6] .

وقولُ عمر بن الخطّاب : حَسَبُ الرجلِ مالُه ، وكرمُه دينهُ ، ومروءتُه خلقُه [7] .

فإنَّ الحسبَ – ما أعلمتُك – من فضائلِ الآباء ، وقد يكونُ الرجلُ لا شرفَ لآبائه ، ويكون له مالٌ فيصطنعَ المعروفَ ويعتقَد الدينَ فتنبسطَ الألسنةُ فيه.

---

(١) ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ٣١ ، وتاريخ الطبري ، ٣/ ١٥٠ ، وسيرة ابن هشام ، ٤/ ٢٥٠ ، باختلاف .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .(٣) و (٤) و (٥) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٩٥ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٤٧ ، و٣/ ٢٨ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٧٧ ، والمختار من شعر بشار ، ص ٢١٨ .

(٧) ينظر العقد الفريد ، ١/ ٢٤٧ و٣/ ٢٨ و ٤١١ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٤٢ ، والمختار من شعر بشار ، ص ٢١٩ ، ولسان العرب ، ١/ ٣١١ ، باختلاف يسير .

بجميلِ الذكر والشكر ، فيقوم المالُ له مقامَ الحسبِ فيكون حسيباً ، إذ قام [ ] [(١)] قال الشاعر :

الـمـالُ يـزري بـأقـوامٍ ذوي حَـسَـب
وقـد يـسـوِّدُ غـيـرَ الـسَّـيـدِ الـمـالُ [(٢)]

وأنشد الرياشي :

غَـضْـبـانَ يـعـلـمُ أنَّ الـمـالَ سـاق لـه
مـالـم يَـسُـقْـه لـه ديـنٌ ولا خُـلُـقُ [(٣)]

[ ] [(٤)] فـأكـرم الـنـاس مَـنْ كـانـتْ [ ] [(٥)]

[اللّهم] [(٦)] هَبْ لي حمداً ومجدا ، لا مجدَ إلاّ بفعال [ولا حمدَ] [(٧)] إلاّ بمال .

وقد يكونُ الرجلُ مثرياً فيعظمه الناس وإن لم يُنلْهم ، ويَقْدمون عليه وإن لم يزرهم ، ولذلك قالَ بَعضُهم : وددتَ أنَّ لي مثل أُحدٍ ذهباً لاَ أنتفعُ به [(٨)] . قال الهذلي [(٩)] :

رأيـتُ مـعـاشـراً يُـثـنـى عـلـيـهـم
إذا شـبـعـوا وأوجُـهـهـم قـبـاحُ

---

(١) كلمة غير مقروءة .

(٢) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٢٣٩ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٤٣ .

(٣) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٢٤٠ ، ومعه بيتان ، والعقد الفريد ، ٣/ ٢٩ ، ومعه بيتان ، وديوان المعاني ، ٢/ ٢٤٧ .

(٤) و (٥) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٦) و (٧) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط والزيادة من البيان والتبين ، ٢/ ١٤٧ و ٣/ ٢٨٤ . وينسب القول في كلا الموضعين إلى قيس بن سعد ، وفي الممتع ، ص ٤٩ ينسب القول إلى سعيد بن عبادة والعقد الفريد ، ٣/ ٢٨ ، وينسب إليه أيضاً .

(٨) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٤١ ، وله تتمّة مفيدة هي : قيل له : فما تصنعُ به؟ قال : لكثرة مَنْ يخدمني عليه» .

(٩) هو مالك بن الحارث أخو بني كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وأخوه أسامة شاعر هو الآخر . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٦٦ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ٣٦٢ .

يــظــلُّ الــمــصــرمــون لــهــم ســجــوداً

ولــو لــم يُــسْــقَ عــنــدهَــمُ ضِــيــاحُ[1]

ولآخر[2] :

أجَــلَّــك قــومٌ حــيــن صــرتَ إلــى الــغــنــى

وكــلُّ غــنــيٍّ فــي الــعــيــونِ جــلــيــلُ[3]

وقد يكونُ الرجلُ كثيرَ الذنوب ، كثيرَ الخطأ فيُغْفَر ذلك من أجلِ يساره ، وكذلك قيل : الغنى ربٌّ غفور . وَشبيهٌ بهذا قولُه : مروءةُ الرجلِ خُلُقُه ؛ لأنَّ المروءةَ اجتنابُ القبائحِ والسيئات .

وقال معاويةُ لعمرو بن العاص : ما ألذُّ الأشياء؟ قال عمرو : مُرْ أحداثَ قريش أن يقوموا ، فلّما قاموا ، قال : اسقاطُ المروءة[4] . ير [ ][5] ، واتبّع الهوى فركب [ ][6] ويظهر الناسُ منه على [ ][7] ويطّلعون [ ][8] فيشكرون . . ذلك ويتطلّبون العذر ، ويدفعون عن الذكر القبيح . وقد يكونُ سيءَّ الأخلاق فيتجنّون عليه الذنوبَ ، ويَخْرصون عليه الكذبَ ، ويشنّعونَ بالقليل ، فَخُلُقُ الرجلِ مروءتُه ؛ لأنّه قام مقامَ المروءة كما قام المالُ مقامَ الحسب .

ومن العربِ قومٌ يقابلون غلوَّ الشعوبيةِ بحميّةِ العربية فيدَّعون أنّهم موالي

---

(١) ديوان الهذليين ، ٣/ ٨٢ ، وفيه : «أي يثنى عليهم إذا كانوا ذوي مال وإن قبحت وجوههم ؛ لأنّ المال يزينهم ويستر عن الناس عيوبهم ، والمصرمون : الفقراء ، والضياح : اللبن المخلوط بالماء ، والبيتان في عيون الأخبار ، ١/ ٢٤٠ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٦٦٦ ، والحيوان ، ٥/ ٩٥ ، ولسان العرب ، ٢/ ٥٢٧ ، الثاني وحده منسوب إلى خالد بن مالك الهذلي .

(٢) هو أبو العتاهية .

(٣) ديوانه ، ص ٣٥٦ .

(٤) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٩٥ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٧٧ و ٢٢١ و ٣٨٠ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ١٤٦ ، والمختار من شعر بشار ، ص ٢١٩ ، ونُسب القول إلى عبد الله بن جعفر .

(٥) و (٦) و (٧) و (٨) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

العجم كلهم ؛ لأنَّ اللّهَ هداهم بالنبيِّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ، وفكَّ رقابَهم من رقِّ الكفر ، وعذاب النّار ، وجعلوا ذلك قياساً على رقِّ الكفر والأسْر [1] ، وليس هذا للعرب إلاّ على مَنْ وَجَبَ عليه سبيٌ أو قتلٌ فمنّوا عليه ، واستحيوه فيكون ذاك قياساً على رقِّ الملك . وأمّا مَنْ دخلَ في الإسلام رَغَداً ، وسارعَ إليه طوعاً فليس لأحد عليه وَلاءٌ ، ولا لأحد عليه منّةٌ إلاّ للّه جلَّ وعزَّ [2] ، إذ هداه ثمَّ لرسول الله صلّى اللّهُ عليه [ ] [3] لا يجب ما وجب [ ] [4] ولا نعلم أنَّ أحداً من صـ[ـحابة رسـ] [5] ـول اللـ[ـه صلّى الله] [6] عليه قال : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه . وكا[ن سلما]ن يقول : أنا سلمانُ بنُ الإسلام [7] ، ولا يقولَ : مولى رسول الله صلّى الله عليه ، فأمّا أبو بكرة [8] فكان يقول : أنا مولى رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم ؛ لأنَّ النبيَّ صلّى اللّهُ عليه لمّا حاصرَ أهل الطائف ، وقال : أيّما عبدٌ نزل إليَّ فهو حُرٌّ فتدلّى أبو بكرة فعتُق .

حدَّثني زيدُ بن أخزم قال : حدَّثنا سلم بن قتيبة عن أبي المنهال [ ] [9] عن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه قال : لمّا حاصرَ النبيُّ صلّى اللّهُ عليه الطائفَ تدلّيتُ ببكرة فقال : كيف صَنَعت؟ يعني النبيَّ صلّى اللّهُ عليه ، قلت :

---

(1) ينقل صاحب العقد الفريد ، ٣/ ٤١٢ ، كلاماً قريباً من هذا الذي يسوقه ابن قتيبة ، وينسبه «لأصحاب العصبية من العرب» ، ونرى أنّ ابن قتيبة لا يوافقهم عليه .

(2) هذا انصاف جميل يتلاءم مع دين ابن قتيبة وخلقه .

(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

(5) و (6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط . والزيادة تتلاءم مع السياق .

(7) ينظر الاصابة ، ٤/ ٢٢٣ ، والاستيعاب ، ٤/ ٢٢١ ، وأُسْد الغابة ، ٢/ ٣٢٨ .

(8) أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كَلَدة ، ويقال ابن مسروح مولى رسول الله ، سكن البصرة ، وكان أحد الشهود الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة والي البصرة في واقعة الزنا المشهورة . ينظر الإصابة ، ١٠/ ١٨٣ ، رقم [٨٧٩٤] ، وتاريخ الطبري ، ٤/ ٢٠٦ ، والمحبَّر ، ص ١٢٩ ، والمعارف ، ص ٢٨٨ ، وزاد المعاد ، ٢/ ١٩٧ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٤ .

(9) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة .

تدلَّيتُ ببكرة . قال : فأنت أبو بكرة . ومولى القومِ منهم ، ومن أنفسهم[1] بحكمِ رسولِ الله صلّى اللّهُ عليه وسلّم .

العتبي عن أبيه عن أبي [ ][2] عن أبيه قال : قال : يا بُنيّ وصيَّتي إيّاكَ بما أوصاني به مولاك . كنتُ وصيفاً لعمرو بن عتبة فأسلمني في المكتب فلّما حذقتُ ، وتأدبـ[ـتُ][3] يا أبا يزيد فالتفتُّ يمنة [ ][4] قال لي : إيّاكَ أعني ، إنَّا معاشرُ [ ][5] موالينا بأسمائهم ، انَّك أمسِ كنتَ لي ، وأنتَ اليومَ منّي ، وإنَّ الناسَ لا يُنْسَبون إلى آبائهم بولادتهم إيّاهم ، ولكن يُنسبون إليهم بحكمِ اللّه فيهم ، ألا ترى لو أنَّ رجلاً أولد امرأةً من غيرِ حلٍّ لم يكن ولدُها له ولدا ، فلمَّا كان المولودُ من أبيه بحكمِ اللّه كان المولى مَن أقاربه بحكمِ رسولِ اللّه صلّى اللهُ عليه فاستَدِمِ النعمةَ عليكَ بالشكرِ عليها منك .

قال أبو محمد : وما أحسنَ ما شبَّه عمرو بن عتبة[6] عن أنَّ قربى المولى بمواليه دون قربى الحميمِ العبيد ، وعلى مواليه أن ينصروه ، ويمنعوا عنه ، ويبدأوا به في الرِّفد والصدقة قبل الجار ، وابنِ السبيل من غيرِ أن يكونَ لهم كفؤاً في المناكحة ، ولا مَثَلاً في الشرف ؛ لأنَّ الكفاةَ هي المساواةُ والمعادلةَ ، ولن يستويَ المُنْعَمُ ، والمُنْعَم عليه ، ولا الصانعُ والمصْطَنَع إليه ، ولا اليدُ العليا ، وا[ليدُ السُّفلى][7] ، أن ينكح في مواليه فقد [خالَفَ حكمَ رسول اللّه][8] صلّى اللّهُ عليه وسلّم ، وأبطل معنى الكفاة و [ ][9] يجوز أنَّ

---

(1) ينظر صحيح الجامع الصغير ، ٥/ ٣٧٦ ، وإرشاد الساري ، ٩/ ٤٤٣ ، ورسائل الجاحظ ، ٢/ ٢١ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٧٧٦ .

(2) و (3) و (4) و (5) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(6) عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وعن سبيعة الأسلمية كتابة ، روى عنه خلق كثير ، كان أحد المذكورين بالزهد والعبادة . ينظر تهذيب التهذيب ، ٨/ ٧٥ .

(7) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(8) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط والزيادة تتلاءم مع السياق .

(9) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

ينكح فيهم ، وهم يرثونه ولا يرثُهم ويكونون [أو] [1] لياءَه في التزويج ، ولا يكون وليَّهم ولا شيءَ [ ] [2] في النكاح من هذين الأمرين ؛ لأنَّ اللّهَ جلَّ وعزَّ لمّا وضعه عن أن [ ] [3] كان حريّاً بأنْ لا يتزوجّها ولمّا وضعه عن أن يرثَها كان خليقاً بأن لا يطأها ، وأن لا يناسبَ المُنعمين عليه ، فإنَّ النكاحَ أحدُ النسبين ، قال اللّهُ عزَّ وجَلَّ : (وهو الذي خَلَق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرا وكان ربُّك قديرا) [4] ، فالنَسَبُ نَسَبُ القرابة ، والصهرُ نسبُ النكاح .

آخر الجزء الأول والحمد للّه

ربِّ العالمين وصلّى اللّهُ على رسوله

محمد وآله الطاهرين

ويتلوه الجزء الثاني

---

(١) تتمّة يقتضيها السياق .

(٢) و(٣) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط .

(٤) الفرقان ، ٥٤ .

2

الجزء
الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة : قد قلنا في الشرف بما لا يطَّلعُ اللّهُ فيه منّا على الحَيْف بمبلغ علمنا ، ومقدار طاقتنا ، وفيه شفاءٌ ، وبلاغٌ لمن كان اللّهُ إراداتَه ، والحقُّ طَلِبتهَ . ومَنْ تجاوزَ حدَّه ، وعدا طَوْرَه ، وظَلَم خَصْمَه ، وادَّعى ما ليس له خَدَعَ نَفْسَه ، وَغَبَن عَقْلَه ، وأسخَطَ ربَّه ، ولم يضرر بذلك الحقَّ ، وأهلَه ؛ لأنَّ أعلامَه لا تعفو [1] ، ونارَه لا تخبو . والباطلُ إلى قُلٍّ [2] وذلّ وزوال ، لا سيما وكتابنا هذا قد كشف الغطاءَ ، وَحَسَر القناع ، وأبدى الصريحَ [3] ، وقَذَفَ الرغوةَ ، فَمَن ادَّعى حقّاً فليذكره ، أو حجّةً فليُدْل بها ، فإنَّا من وراء دعاويه ، وحججه بالردِّ إن ظَلَم ، أو الاعتراف إن صدق ، وما ندَّعي لأنفسنا - مع هذا - الاستقصاءَ لفنٍّ من الفنون حتى نحوزَه ، ولا السدادَ في كلِّ ما نقولُ حتى لا نَزلّ ولكنَّنا نرجوه بحُسنِ النِّية ، والقَصْد للحقّ ، ولم يزل اللهُ يُصحبهما العصمةَ ، والتوفيقَ للصواب .

ونذكرُ ما للعرب ، من العلومِ ، والحِكَمِ في الشعرِ ، والكلامِ المسجَّعِ المنثور ، من غير استقصاء لفنٍّ من ذلك ، ولا وقوف من ورائه ، إذ كان غرضُنا في هذا الكتاب التنبيهَ ، والدلالةَ ، ودَفْعَ الخَصْمِ عمَّا يَنسبُ إليه العربَ من الجفاء ، والغباوة .

والعلومُ جنسان : أحدُهما علمٌ إسلاميٌّ نَتجَ من بين الدينِ واللغةِ ، كالفقه ،

---

(١) تعفو : تزول وتُمحى .

(٢) قُلّ : خلاف الكثرة .

(٣) الصريح : المحض الخالص من كلّ شيء .

والنحو ، ومعاني الشعر ، وهذا للعرب خاصّةً ، ليسَ للعجم فيه سببٌ إلاّ تعلّمه ، واقتباسُه ، وللعرب سناؤه ، وفخَرُه . والآخرُ علمٌ متقادمٌ تتشاركُ فيه الأممُ لا أعلمُ منه فنّاً إلاّ وقدَ جَعَلَ اللّهُ للعربِ فيه حظّاً ، ثم تنفردُ من ذلك بأشياء لا تشارك فيه .

الخيل[1]

فممّا تنفردُ به علمُ الخيلِ ، لم نَجدْه لأحد من الأمم اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، الرومية فيه إلاّ [الشَيء] [2] الذي لا يُذكر مثلُه ، ولا يُعتَدُّ به ، والعربُ تعرفُ أعضاءَها عَضواً عضواً . بأسماءَ معروفة من النواصي [3] إلى الأذناب ، ومن السَّروات إلى الأرساغ [4] ، وتعرفُ شمائلَها ، ومخائلَها ، وما يبلغُ منها الغايةَ ، وما يقصر عنها بالفراسة .

وتعلمُ الجوادَ العتيقَ [5] ، والمُقْرفَ [6] ، والهجينَ [7] ، عريا ومجلّلاً [8] ، ومُحْضراً [9] ، وما يحضر منها علىَ ضَمْرٍ [10] ، وما يحضر منها على غير ضَمْرٍ .

حدَّثني السجستاني قال : أخبرنا أبو عبيدة معمر بن المثنّى عن العرب أنَّها

---

(١) هذا العنوان ، والعنوانات القادمة مثل النجوم ، والفراسة ، والخطّ . . . الخ في المخطوط نفسه .

(٢) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة ، وهذه تتلاءم مع السياق .

(٣) النواصي : واحدتها ناصية ، وهي منبت الشعر في مقدَّم الرأس .

(٤) السَّروات : جمع سراة ، وهي أعلى الفرس وظهره ووسطه ، والأرساغ : جمع رُسْغ وهو مجتمع الساق والقدم ، فذكره النواصي والأذناب ، والسروات والأرساغ يريد به التأكيد على خبرة العرب بأعضاء الخيل جميعها .

(٥) العتيق : الرائع الكريم .

(٦) المُقْرف : الفرس الذي دانى الهُجْنة وقاربها ، أبوه عربي ، وأمّه برذونة .

(٧) الهجين : الفرس الذي أبوه عتيق وأمّه ليست كذلك .

(٨) المجلّل : الفرس وقد أُلبست الجُلّ وهو الكساء الذي يوضع عليها ليصونها .

(٩) مُحْضَراً : ارتفاع الفرس في عدوه .

(١٠) الضُّمْر : أن تشدَّ على الخيل السروج وتجلّل بالأجلّة حتى تعرق تحتها ، فيذهب رهلها ويشتدّ لحمها ويحُمل عليها غلمان خفاف يجرونها ، ولا يعنفون بها ، فإذا فُعل بها ذلك أُمِن عليها البُهْر الشديد عند حُضْرها ، ولم يقطعها الشدّ .

تستدلُّ على عتق الفرس برقَّة جحافله (1) وأرنبته (2) ، وعرض منخريه ، وعري نواهقه (3) ، وسُمومه (4) ، ودقَّة حَقْوَيه (5) وما ظهر من أعالي أذنيه ، ورقَّة سالفته (6) ، وليته (7) ، ولين شعره . ورقَّة شعر ركْبَتَيْه ، و[ ] (8) وأشاعره (9) . وأبين من ذلكَ كلّه لينُ شكير (10) ناصيته ، وعُرْفه (11) .

قال : وكانوا يقولون : إذا اشتدَّتْ نَفْسُه ، ورحب متنفَّسُه ، وطالت عنقُه ، واشتدّ مركَّبُها في كاهله ، واشتدَّ حقْوه ، وانهَرَتَ (12) شدقُه ، وعظمتْ فخذاه ، وانشجَّتْ (13) أنساؤه (14) ، وعَظمتْ فصوصُه (15) ، واشتدَّتْ حوافرُه وَوَقَحَتْ (16) لحقَ بجياد الخيل (17) .

قالوا : إذا رحب متنفَّسُه ، ولم يرحـ[ ] (18) فإذا لم يكن شديـ[ ] (19) .

---

(1) جحافل الفرس : ما يتناول به العلف .

(2) أرنبة الفرس : ما بين منخريه .

(3) النواهق : العظمان الشاخصان في وجه الفرس ، أسفل عينيه .

(4) سُموم الفرس : مارقَّ عن صلابة العظم من جانبي قصبة أنفه إلى نواهقه .

(5) حقوه : خاصرته وما يليها .

(6) السالفة : أعلى العنق ، وما تقدّم منه .

(7) الليت : صفحة العنق .

(8) كلمة غير مقروءة .

(9) في المخطوط : [وإشعاره] ، وهو تحريف . وأشاعر الفرس : ما بين حافره إلى منتهى شعر أرساغه .

(10) الشكير : الزغب الذي في أصل عُرفه وناصيته .

(11) العُرْف : منبت الشعر في عنق الفرس . وينظر العقد الفريد ، 1/ 156 ففيه هذا النصّ .

(12) انهرت : اتّسع .

(13) انشجَّت : انشدّت .

(14) أنساؤه : واحده نسا ، وهو عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى الحافر .

(15) فصوصه : موصل ركبتيه .

(16) وقحت : صلبت واشتدّت ، ومنه حافر وَقّاح : صلب باقٍ على الحجارة .

(17) ينظر كتاب الخيل ، لأبي عبيدة ، ص 170 - 171 ، والعقد الفريد ، 1/ 156 ، وأدب الكاتب ، ص 125 ، وما بعدها .

(18) و (19) طمس في المخطوط .

قالوا : وكلُّ شيء يسـ[تحبُّ للجودة في](1) الأنثى من [ ](2) يستحبُّ في الذَّكَر إلاّ [طولُ](3) القيامِ(4) ، وقلّة الربوضِ ، وقلّة لحم اللِّهزمة(5) .

وكانوا يقوولون : ذَكَرٌ نؤوم ، وأنثى صؤوم(6) .

وقال بعضُ العرب : أفضلُ الخيلِ الذي إذا استقبلْتَه قلتَ : نافر(7) ، وإذا استدبرتَه قلتَ : زاجر(8) ، وإذا استعرضْتَه قلتَ : زافر(9) . وخيرُ البراذين ما طَرْفُه(10) أمامَه ، وسوطه عنانه(11) .

وقال أقيصر(12) : خيرُ الخيلِ الذي إذا استقبَلْتَه قلت : أقعى(13) ، وإذا

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من كتاب الخيل ، لأبي عبيدة ، ص ١٧٣ .

(2) كلمة غير مقروءة .

(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من كتاب الخيل ، لأبي عبيدة ، ص ١٧٣ .

(4) في كتاب الخيل لأبي عبيدة [الصيام] بدل [القيام] ، وهي تتلاءم مع القول : أنثى صؤوم ، والصيام هو طول القيام . وذكر هذا ابنُ قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ، ص ١٣ حيث قال : «كقولهم للقائم من الخيل صائم» . ويقول النابغة الذبياني ، ديوانه ، ص ٢٢٣ :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمة
تحت العجّاج وخيلٌ تعلك اللُّجُما

(5) اللِّهزمة : بكسر اللام ، هما لهزمتان : ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين .

(6) ينظر كتاب الخيل ، لأبي عبيدة ، ص ١٧٣ ، وحلية الفرسان ، ص ١٢٨ ، وفي غريب القرآن ، ص ٤٧٢ : «قال الفراء : تقول العرب للفرس إذا كان قائماً لا علف بين يديه صائم ، وذلك أنَّ له قُوتَين غدوة وعشيّة ؛ فشُبِّه به صيام الآدمي بتسحّره وإفطاره» .

(7) نافر : شارد ، متفرّق .

(8) زاجر : مُسرع ، كأنَّ صاحبه قد حثّه على الإسراع وهو لم يفعل فذلك منه طبعاً .

(9) زافر : عظيم الجوف ، كبيره .

(10) طرْفُه : جلدة رأسه ، أو قوائمه .

(11) ينظر ديوان المعاني ، ٢/ ١١٧ ، وحلية الفرسان ، ٩٧ ، وفيهما أنَّ الخليفة المهدي سأل مطر بن دراج عن أيّ الخيل أفضل؟ فأجاب بذلك القول . وفي ديوان المعاني وحده صفة البراذين ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٥٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٥٤ .

(12) في المعاني الكبير ، ١/ ١٠٧ ، وخيل الأصمعي ، ص ٣٨٥ : ابن أقيصر ، واسمه محمد بن أقيصر السلمي ، أحد بني أسد بن خزيمة ، رجل بصير بالخيل ، وسياستها ، ومعرفة إماراتها ، وكان يحتذي على مثال سلمان بن ربيعة الباهلي ويحاكيه في خبرته بالخيل ، وينظر أيضاً : الخيل ، ص ٣٨٦ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٥٤ ، ومجالس ثعلب ، ٢/ ٥٠٢ ، وأمالي القالي ، ٢/ ٢٥١ ، والبرصان والعرجان ، ص ٣٣١ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٥٤ و ٣/ ٤٦٣ ، ولسان العرب ، ٩/ ٢٩٤ ، وله قصيدة عدتُها ستة عشر بيتاً عن الخيل في الأنوار ومحاسن الأشعار ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(13) أقعى : مال على جانبيه .

استدبرتَه جبى [1] ، وإذا استعرضْتَه استوى ، وإذا مشى ردى [2] ، وإذا عدا دحا [3] . قال الشاعرُ [4] في نحوِ هذا :

أمّا إذا استقبلْتَه فكأنَّه
باز [5] يكفكفُ أن يطيرَ وقد رأى

أمّا إذا استدبرتَه فتسوقُه
ساقٌ قموصُ [6] الوقعِ عاريةُ النسا

[أما إذا استعرضْتَه متمطراً] [7]
فتقول هذا مثل [سرحان الغضا] [8]

وقال أبو محمد : [حدَّثنا] [9] إسحق بن راهويه قال : لمّا وضعت الحربُ [أوزا]رَها [10] ، قال عمرو بن العاص :

شبَّت الحربُ فأعددتُ لها
مُفْرَعَ الحاركِ [11] مرويَّ الثَّبَجْ [12]

---

(١) في المعاني الكبير ، ١/ ١٠٨ : « . . . وقوله إذا استدبرته جبّى أي كأنّه مكبّ لإشراف عجيزته ، وإذا استقبلته أقعى أي كأنّه مقع لإشراف مقدّمه ، وإذا اعترضته استوى لك منظره فلم يكن مقعياً ولا منكباً ، وينظر البيان والتبين ، ٢/ ١١٦ ، والفاضل ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) ردى : رجم الأرض رَجْماً في مشيه دلالة القوة والنشاط .

(٣) دحا : رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنبكه عن الأرض .

(٤) هو الأسعر بن حمران الجعفي كما في المعاني الكبير ، ١/ ١٠٩ ، رخيل أبي عبيدة ، ص ١١٧ ، والأصمعيات ، ص ١٤٠ ، والعمدة ، ٢/ ٢٢ ، وخزانة الأدب ، ٩/ ١٨١ . وقد مرَّت ترجمته . ينظر معجم الشعراء ، ص ٤٧ ، والأصمعيات ، ص ١٤٠ مع مصادر المحقّقَيْن ، وتخريج الأبيات .

(٥) في المخطوط : [بازي] .

(٦) قموص : أن يرفع الفرس يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه .

(٧) و (٨) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من الأصمعيات ، ص ١٤٠ ، وخيل أبي عبيدة ، ص ١١٧ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ١٨١ ، ومتمطراً : مسرعاً .

(٩) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق ، وابن راهويه أحد شيوخ ابن قتيبة الذين لازمهم ، وأخذ عنهم الحديث ، وروى عنهم كثيراً . ينظر ابن قتيبة ، د . الحسيني ، ص ٢٣ ، وابن قتيبة ، د . الجبوري ، ص ٧٣ .

(١٠) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق ، وفي عيون الأخبار ، ١/ ١٥٨ : « قيل : لمّا وضعت حرب صفين أوزارها قال عمرو بن العاص . . . » ، وساق الأبيات .

(١١) مُفْرَع الحاركِ : طويل أعلى الكاهل .

(١٢) الثبج : الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر .

جُـرْشُـعـاً [1] أعْـظَـمُـه جُـفْـرَتُـه [2]

فــإذا ابــتــلَّ مــن الــمــاءِ خَــرَجْ

يَــصِـــلُ الـــشَـــدَّ بِـــشَـــدٍّ فـــإذا

وَنَــتِ الـخـيـلُ مـن الـثَّـجِّ [3] مَـعَـجْ [4]

قال ابن الأعرابي : سُئِل رجلٌ من بني أسد عن الفرس الكريم ، وعن البطيء المقرف ، قال : أمّا الجوادُ المبزُّ فالذي لُهِزَ لَهْزَ العَيْر ، وأُنفَ تأنيفَ السَّيْر . إذا عدا اسلَهبَّ ، وإذا قُيِّد اجلعبَّ وإذا انتَصبَ اتلأبَّ . وأمّا البطيءُ المقرف فالمدكوكُ الحجبة ، الضخمُ الأرنبة ، الغليظُ الرقبة ، الكثيرُ الجلبة ، الذي إذا أرسَلْتَه قال : أمسكْني ، وإذا أمسكْتَه قال : أرسلني [5] .

وقال مسلم بن [عمرو] [6] : أنظر كل شيء تسـ[تحسنُه في الكلب فاطلبه في الفر]س [7] .

حدَّثني عبد الرحمن قال : [حدّثنا الأصـ]ـمعي [7] عـ[ـن أبي عمـ]ـرو [8] بن العــلاء أنَّ عمرَ بن الخـــ[ـطّاب] [9] رحـمـه الله شكَّ في العـتـاقِ [10] ،

(١) الجرشع : العظيم الصدر .

(٢) الجُفْرة : جوف الصدر ، ووسطه ، وفرس مُجْفَر عظيم الجُفْرة .

(٣) الثجّ : السرعة والانطلاق . ونت : تعبت . معج : أسرع .

(٤) الأبيات منسوبة إلى عمرو في عيون الأخبار ، ١/ ١٥٨ ، والعقد الفريد ، ٤/ ٣٤٣ و ٥/ ٢٨٣ ، ومجمع الزوائد ، ٧/ ٢٤٠ ، وفي المعارف ، ص ٧٥٦ ، والمحاسن والمساوئ ١/ ١٦٤ أنَّ «العاص بن وائل ، أبا عمرو ، كان يعالج الخيل والإبل» ، فلعلَّ جانباً من علم عمرو بها جاءه من هذا الطريق ، وينظر البرصان والعرجان ، ص ٣١٣ .

(٥) فسَّر ابن قتيبة هذا القول نقلاً عن ابن الأعرابي فقال : « . . . وقوله لهز لهز العير أي ضُبِّر خلقه تضبير الحمار ، وأنف : قُدِّد وحُدِّد حتى استوى كما يستوي السير المقدود ، والمسهلب : الماضي الذاهب ، والمجلعب : الممتدّ ، والمتلئب : المستقيم المستوي ، والمدكوك الحجبة : الذي ليس لحجبته إشراف فهي ملساء مستوية ، وهي أعلى وركيه الذي يشرف على صفاق بطنه» . ينظر المعاني الكبير ، ١/ ١٠٩ - ١١٠ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٥٦ - ١٥٧ ، وديوان المعاني ، ٢/ ١١٧ .

(٦) و (٧) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من عيون الأخبار ، ١/ ١٥٤ - ١٥٥ ، وينظر العقد الفريد ، ١/ ١٥٣ ، والحيوان ، ٢/ ٣٦٣ ، وفيها زيادة مفيدة . ومسلم بن عمرو قائد عربي كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعي صاحب مصعب بن الزبير ، مات سنة ٧٢ للهجرة ، ينظر الهامش الثالث من الحيوان ، ٢/ ٢٦٣ .

(٧) و (٨) طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب هو ابن أخي الأصمعي .

(٩) طمس في المخطوط والزيادة من المصادر الآتية .

(١٠) العتاق : جميع عتيق وهو الرائع الكريم من الخيل .

والهجن [١] ، فدعا سلمانَ بنَ ربيعةَ الباهلي [٢] بطست من ماء ، أو بترس فيه ماء فُوضِع بالأرض ، ثمَّ قُدِّم إليه الخيلُ فرساً فرساً ، فما ثنى منها سُنْبكَه [٣] فشرب هجَّنَه ، وما شرب ولم يثنِ سنبكَه عرَّبه [٤] ؛ وذلك لأنَّ في أعناق الهجنِ قِصَراً فهي لا تنالُ الماءَ على تلكَ الحالِ حتى تثنيَ سنابكَها ، وأعناقُ العتاقِ طِوال [٥] .

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : وقال لي أبو عبيدة . لا أعرفُ قائلَ هذا الشعرِ ، وعروضه لا يخرَّج [٦] . وخبَّرني أبو حاتم أنَّه لعبد الغفار الخزاعي :

ذاكَ وقد أذْعَرَ الوحو
شَ بصلتِ الخدِّ رَحْبٍ لبَّاتُه مِجْفَرْ [٧]

طويلُ خَمْسٍ قصيرُ أربعةٍ
عريضُ ستٍّ مقلَّصٌ حَشْوَرُ [٨]

---

(١) الهجن : جمع هجين أبوه عربي وأمّه برذونة أو غير عربية .

(٢) سلمان بن ربيعة الباهلي ، يلقَّب بسلمان الخيل ، كان أبصرَ الناس بعتق دابّة ، وأعلمهم بخارجيٍّ وعريق ، يعرف السابقَ من المصلّي كما يقول الجاحظ ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثمّ ولي غَزو أرمينية في زمن عثمان . ينظر البرصان والعرجان ، ص ٣٣١ ، مع هامش المحقق .

(٣) السنبك : طرف الحافر وجانباه من قُدُم .

(٤) عربَّه : عدّه عربياً أي عتيقاً .

(٥) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٣٢٧ ، والمعاني الكبير ، ١/ ١٢٨ ، وأدب الكاتب ، ص ١١٢ - ١١٣ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٥٥ - ١٥٦ ، وخيل الأصمعي ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٥٤ - ١٥٥ ، وسرح العيون ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٦) لا يخرَّج : أي لا يستقيم على سَنَن العروض . ينظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مقال الدكتور محمود الطناحي ، ج ٣ م ٦٦ ، سنة ١٩٩١ ، ص ٤٤٦ .

(٧) رحب : واسع . اللَّبّات : واحدتها لَبَّة وهي وسط الصدر والمَنحرَ . مجفر : عظيم جوف الصدر . إنَّ هذا الفرسَ قد أذعر الوحش وأدخل في قلوبها الرعب لقدرته على الوصول إليها ، وصيدها ، فكأنّه يذكرّنا بـ (قيد أوابد) امريء القيس .

(٨) الخمسة الطوال هي : العنق والأذنان والذراعان والأقراب والناصية . والأربع القصار هي : الأرساغ وعسيب الذَّنَب والظهر والعصبة فوق الصفاق . والست العراض هي : الجبهة واللبان والمحزم والفخذان ووظيفا الرجلين ومثنى الأذنين . مقلَّص : مرتفع . حشور : الملزَّز الخَلْق .

[حدَّتْ له سبعة وقد عريت
تسعٌ فـ] (١) فيه لمن رأى منظرُ (٢)

[تمَّ له تسعةٌ كُسين وقد
أرحبَ منـ] (٣) ـه اللبانُ والمنخرُ (٤)

بعيدُ عشرٍ وقد قر[بن له
عشـ] (٥) ر وخمس طالت ولم تقصر (٦)

نُقْفيه بالمحضِ دون و[لدتنا
و] (٧) عُضُّه في آريِّه يُنْشَر (٨)

نَصْبَحُه تارةً ونَغْبُقُه
ألبانَ كُومٍ روائمٍ ظُؤَّر (٩)

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من مصادر التخريج الآتية .

(٢) السبعة الحداد هي : الأذنان والعينان والمنكبان والقلب وعرقوبا الرجلين والعظمان المتقابلان في باطن الكعبين والكتفان ، والتسعة العواري هي : النواهق والسموم والخدّان والجبهة ومثنى الأذنين والكعبان وعصب اليدين وعصب الرجلين ، وهذه ثمانية وأغفل ابن قتيبة والقالي التاسع .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من مصادر التخريج الآتية .

(٤) التسعة المكتسية هي : الكتفان والمَعّدان والناهضان والفخذان والكاذتان والحماتان ، وهذه ستة وأغفل ابن قتيبة والقالي بقيتها . واللبان : الصدر .

(٥) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من مصادر التخريج الآتية .

(٦) العشرة البعيدة هي : ما بين الجحفلة والناحية وما بين الأذنين والعينين ، وما بين العينين وما بين أعالي اللحيين وما بين الناصية والعكوة وما بين الحارك والمنكب وما بين العضدين والركبتين وما بين البطن والرفغين وما بين الحجبتين والجاعرتين وما بين الجاعرتين . والعشرة القريبة هي : ما بين المنخرين وما بين الأذنين وما بين المنكبين وما بين المرفقين وما بين الوركين وما بين الحارك والقطاة وما بين المعدين والقصرين وما بين الجاعرتين والعكوة وما بين الثفنتين والكعبين وما بين الجبب والأشاعر . وقد مرَّت الخمسة الطوال في بيت سابق .

(٧) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من مصادر التخريج .

(٨) نقفيه : نخصّ هذا الفرس بالطيب من الطعام ونفضّله على أولادنا ، والعُضّ : علف أهل الأمصار مثل القتّ والنوى ، وآريّه : مَعْلَفُه .

(٩) نصبحه : نسقيه صباحاً ، ونغبقه : نسقيه عشاءً ، والكُوم : النوق ، والروائم : العاطفات على أولادها ، والظؤّر : النوق التي تعطف على غير ولدها ترضعه .

مُـوثَّـقُ الـخَـلْـقِ جُـرْشُـعٌ عَـتَـدٌ

مُنْضَرِجُ الحُضْرِ حينَ يُسْتَحْضَر [١]

خـاظـي الـحَـمَـاتَـيْـن لـحـمُـه زِيَـمٌ

نَـهْـدٌ شـديـدُ الـصِّـفـاقِ والأبـهـر [٢]

دقـيـقُ خـمـسٍ غـلـيـظُ أربـعـة

نـائـي الـمَـعَـدَّيـن لَـيِّـنٌ [٣] الأشـعـر [٤]

وهذا الشعرُ يجمعُ لكَ فراسةَ الخيلِ . وقد فسَّرتُه في كتابي [المؤلَّفِ في خلقِ الفرس] [٥] .

وما جاء عن العرب في الخيلِ كثيرٌ ، فإن آثرتَ أن تعرفَ ذلك ، وتراه مجموعاً نظرتَ في ذلك الكتابِ ، أو في كتابي المؤلَّف في [أدبِ الكاتب] [٦] إن شاء الله .

النجوم

وما تنفردُ به العربُ من العلومِ ، العلمُ بمناظرِ النجومِ ، وأسمائِها ، وأنوائِها ،

---

(١) جرشع : عظيم الصدر ، ومنضرج : متّسع .

(٢) الخاظي : الكثير اللحم المكتنز ، والحماتان : عند طرفي الفخذين مما يلي الساقين ، وزيم : متعضِّلٌ متفرّق ليس بمجتمع في مكان فيَبْدُن ، ونهدٌ : جسيم مشرف قويّ ، والصِّفاق : الجلدة الباطنة التي تلي السواد سوادَ البطن ، والأبهر : عِرق في الظهر .

(٣) الخمسة الدقيقة هي : الأرنبة والجحافل والجفون والأذنان وعرض المنخرين ، والأربعة الغلاظ هي : الخلق والقوائم والقصرة وعكوة الذنب ، والمعدّان : موقع دفّتي السرج من الصهوة ، والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حوالي الحافر .

(٤) القصيدة منسوبة إلى عبد الغفار الخزاعي في : عيون الأخبار ، ١/ ١٥٧ ، وأمالي القالي ، ٣/ ١٩١ ، والمعاني الكبير ، ٣/ ١٩١ ، وخيل أبي عبيدة ، ص ٢٥ . ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ القالي ساق قصيدة طويلة لأبي صفوان الأسدي فصَّل فيها أعضاء الفرس تفصيلا ، ينظر ٢/ ٢٣٧ .

(٥) يريد به كتاب الخيل ضمن كتابه المعاني الكبير ، وقد شرح ألفاظاً من القصيدة هناك وعنه أخذنا بعض الشرح المتقدّم ، ينظر ١/ ١١٠ ، وما بعدها ، وقال في عيون الأخبار ، ١/ ١٥٨ ، بعد أن ساق القصيدة : «وقد فسَّرت هذا الشعر في كتابي المؤلّف في خلق الفرس» .

(٦) ينظر أدب الكاتب ، ص ١٠٩ ، وبعدها ، أشرنا فيما سبق إلى عادة ابن قتيبة في الإحالة على كتبه الأخرى ، وهو هنا يحيل على كتابين منهما ، وسيصنع مثل هذا فيما سنستقبل من الكتاب ، وهي ظاهرة بيّنة في كتبه تقوّي نسبتها إليه ، وتثبتها بما لا يدع مجالاً للشكّ .

ومطالعها ، ومساقطها [1] والاهتداء بها وا[ ] [2]

مـالـتْ إلـيـه طـلابـاً و [اسـتـطـيـف بـه

كما تطيف نجوم] [3] الليلِ بالقطبِ [4]

لأنَّ مدارَ النجومِ على القطـ[ـب] [5] ، قال كثيّر :

فَدَعْ عنكَ سُعْدى إنَّما تسعفُ النَّوى

قِـرانَ الـثـريّـا مـرَّةً ثـمَّ تـأفُـلُ [6]

يريدُ أنَّ الثريا تقارنُ الهلالَ لليلته في السنة مرَّةً واحدةً ثمَّ تغيب ، وكذلك سعدى إنَّما تلاقيها مرَّةً في الحول ، وهذا إنَّما يعرفهُ أعلمُ الناسِ بالمناظرِ ، وأشدُّهم للنجومِ مراعاةً ، وتفقداً . وقال آخر [7] :

---

(١) علّق البيروني في كتابه الآثار الباقية ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ على قول ابن قتيبة السابق فقال : « . . . وإن كان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجبلي يهوّل ويطول في جميع كتبه ، وخاصة في كتابه في تفضيل العرب على العجم ، وزعم أنَّ العربَ أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها ولا أدري أجهل أم تجاهل ما عليه الزرّاعون والأكرة في كلّ موضع وبقعة من علم ابتداء الأعمال وغيرها ، ومعرفة الأوقات على مثل ذلك فإنَّ مَنْ كان السماء سقفه ولم يكنّه غيرها ودام عليه طلوع الكواكب وغروبها على نظام واحد علّق مبادئ أسبابه ومعرفة الأوقات بها ، بل كان للعرب ما لم يكن لغيرهم ، وهو تخليد ما عرفوه أو حدسوه حقاً كان أو باطلاً حمداً كان أو ذمّاً بالأشعار والأرجوزة والأسجاع ، وكانوا يتوارثونها فتبقى عندهم أو بعدهم ولو تأمّلتها من كتب الأنواء وخاصة كتابه الذي وسمه بعلم مناظر النجوم . . . لعلمتَ أنَّهم لم يختصّوا من ذلك بأكثر مما اختصّ به فلاّحو كلّ بقعة ، ولكنَّ الرجل مفرط فيما يخوض فيه ، وغير خال عن الأخلاق الجبلية في الاستبداد بالرأي ، وكلامه في هذا الكتاب المذكور يدلّ على إحَن وترات بينه وبين الفرس إذ لم يَرْضَ بتفضيل العرب عليهم حتى جعلهم أرذل الأمم وأخسَّها وأنذلها ووصفهم بالكفر ومعاندة الإسلام بأكثر ممّا وصف الله به الأعراب في سورة التوبة ونسب إليهم من القبائح ما لو تفكّر قليلاً ، وتذكّر أوائلَ مَنْ فضّل عليهم لكذّب نفسه في أكثر ما قاله في الفريقين تفرّطاً وتعدّياً» . هذا كلام البيروني بحروفه ، آثرتُ إثباته - على طوله - خشية البتر ، وتوخياً للإنصاف ، وتحقيقاً للموضوعية ، وهو محقّ في بعض مما ذهب إليه من حيث معرفة غير العرب بالنجوم ومساقطها والاهتداء بها ، وقد كسر كتابه على هذا الأمر ، ومَنْ يقرؤه يتبيّن له مصداق هذا ، غير أنّه أسرف هو الآخر في الانتقاص من ابن قتيبة ، وتسفيه رأيه ، ولم نلحظ في طول هذا الكتاب وعرضه أنّه جعل من الفرس أرذل الأمم وأخسَّها وأنذلها كما يقول ، بل رأيناه يفيء إلى التاريخ يفيد منه ، ويستنطق نصوصه وحوادثه شأن العالم الثبت ، أمّا هذه التراتُ والإحن فلم نَرَها إلاّ عند البيروني وحده ، إذ لم يُشر إليها أحدٌ سواه . ولسنا بصدد تقديم العذر لابن قتيبة فهو لم يقترف ذنباً ، أو يقرب حراماً ، غير أنَّ ما ذهب إليه ينسجم انسجاماً متناغماً مع مواقفه الفكرية ، والعقائدية التي بثّها في كتبه ، وظلَّ يدافع عنها ، ويرمي من ورائها طيلة حياته ، وتنظر رسالة ابن من الله القروي في الرد على ابن غرسية ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ حول هذا الموضوع .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من الأنواء ، ص ١٢٢ .

(٤) البيت للكميت كما في الأزمنة والأمكنة ، ١/ ١٩٠ و ٢/ ٢١٠ ، وقد أخلَّ به الديوان .

(٥) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق .

(٦) ديوانه ، ص ٢٩٣ .

(٧) هو أسيد بن الحلاحل كما في لسان العرب ، ٣/ ٢٨٣ .

إذا ما قارنَ القمرُ الثريّا

لخامسةٍ فقد ذَهَبَ الشتاءُ[1]

والثريا تقارنُ القمرَ لخمسٍ يخلون من الشهرين مرّتين : مرّةً عند انصرامِ البَرْدِ وطيبِ الزمانِ ، وعند انصرامِ الحرِّ . وقالَ آخر :

إذا ما قارنَ القمرُ الثريا

لخامسةٍ فقد ذهبَ المصيفُ[2]

وقال الأخطل :

[إذا طَلَع العيّوقُ والنجمُ أولَجَتْ

سـ][3] والفها بين السماكين [والقلب][4]

العيّوقُ يطلعُ مع [طلوعِ الثـ][5]ـريا ، وذلك عند اشتداد الحرِّ ، وإذا طلـ[ـعا صبـ][6]ـحاً طَلَع السماكُ ليلاً ، يقول فإذا اشتدَّ الحرّ جعلنا المسيرَ ليلاً .

وقال حاتم :

وعاذلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلومُني

وقد غابَ عيّوقُ الثريا فعرَّدا[7]

أضاف العيّوقَ إلى الثريا ، وذلك أنَّه يَطْلعُ إذا طَلَعَتْ ، وليس منها . وقال الأخطل يذكر بني سُلَيم :

(١) البيت بلا نسبة في الأنواء ، ص ٨٧ ، والأزمنة والأمكنة ، ١/ ٩٤ ، والآثار الباقية ، ص ٣٣٧ ، وأدب الخواص ، ص ٩٢ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ١٨١ ، ونُسب في هذا الموضع إلى لقمان بن عاد .

(٢) البيت بلا نسبة في الأنواء ، ص ٨٧ .

(٣) و (٤) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من الديوان ، ينظر ، ١/ ٤٣ ، والعيوق : نجم يتلو الثريا ، وأولجت : أدخلت يعني الإبل ، والسوالف : جمع سالفة وهي صفحة العنق ، يريد أنّهم لا يسيرون في النهار مخافة الحرّ ، ويسيرون إذا طلع السماكان والقلب .

(٥) و (٦) ما بين المعقوفات طمس في الأصل ، والزيادة من الأنواء ، ص ٣٦ .

(٧) ديوانه ، ص ٢١٧ .

وما يلاقونَ فرَّاصاً إلى نَسَبِ

حتى يلاقيَ جَدْيَ الفَرْقَدِ القَمرُ [(١)]

جديُ الفرقد هو الذي يُستدلّ به على القبلة ، وليس من منازل القمر ، وهو وراءَ الفرقد بقُرْبِ القطب . فالقمرُ لا يلاقيه أبداً .

وقال ذو الرّمّة في الاهتداء بالنجوم :

فقلتُ اجعلي ضَوْءَ الفراقد [كلّها

يميناً ومهوى النسرِ] [(٢)] من عن شمالك [(٣)]

وقال آخرُ [(٤)] في النجـ[وم] [(٥)] :

فسيروا بَقلْبِ العقربِ [اليوم إنّه] [(٦)]

سواءٌ عليكم بالنحوسِ وبالسَعْدِ

أي : سيروا عند سقوط قَلْب العقرب ، وهو نحس [(٧)] . وقال الأسود بن يعفر [(٨)] :

ولدتَ بحادي النجّمِ يحدو قرينَه

وبالقلبِ قلبِ العقربِ المتوقّدِ [(٩)]

---

(١) ديوانه ، ١/ ٢٠٧ ، وفرّاص هو ابن معن بن مالك بن يعصر .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من الديوان ، ٣/ ١٧٤٣ ، والأنواء ، ص ١٨٨ .

(٣) ديوانه ، ٣/ ١٧٤٣ .

(٤) نسب مصحّح الأنواء ، ص ٧١ ، البيت إلى الأسود بن يعفر ، ثمّ عاد ونفاه عنه ، وليس في ديوانه ، ونُسب إلى الأسود في مجمع الأمثال ، ٣/ ٤٠٨ ، وهو بلا نسبة في غريب القرآن ، ص ٣٨٨ ، والقرطين ، ٢/ ١١٨ ، والأزمنة والأمكنة ، ١/ ١٩٣ و ٣١٢ ، وهو منسوب إلى شاعر جاهلي في الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٤٨ .

(٥) طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق .

(٦) طمس في المخطوط ، والزيادة من الأنواء ، ص ٧١ .

(٧) يقول المعري في الفصول والغايات ، ص ٣٩٦ : «والعرب تتشاءم بحادي النجم وقلب العقرب» .

(٨) الأسود بن يعفر شاعر جاهلي من بني نهشل بن دارم ، من فحول الشعراء ، وضعه ابن سلاّم في الطبقة الخامسة . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٩) ديوانه ، ص ٣٤ ، وفيه [يحرق ما رأى] بدل [يحدو قرينه] . وورد البيت برواية المتن مرتين في كتاب الأنواء لابن قتيبة ، ينظر ، ص ٣٨ و ٧١ .

حادي النجّمِ الدّبَرَان [1] ، وهو نَحسٌ ، وقال آخر [2] :

غداةَ توخّى الملكَ يلتمسُ الحبا
فصادفَ نجماً كان كالدّبِران [3]

وقال آخر :

قد جاءَ سَعْدٌ موعداً بشرِه
مخبرةٌ جنودُه بحرِّه [4]

يعني سعد الأخبية ، وجنود الحشرات ، وهو يطلُعُ في قُبلِ الدفاء فتنتشر ، ويخرجُ ما كان منها [مستتراً فسمّـ] [5]ي سعد الأخبية لذلك .

وللعـ[رب أسجاعٌ في] [6] طلوعِ النجومِ تدلُّ على علمٍ جَمٍّ كثير [كقو] [7] لهم : إ[ذا طَلع] [8] سهيل بردَ الليل ، وخيف السيلُ ، وكان للحوا[ر الويل] [9] ، فإذا طَلَعَ النَّجمُ [10] أتُّقِيَ اللَّحم ، وخيف السُّقم . وطلوعُها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيّار .

وهم أيضاً أعلمُ الناسِ بمخايلِ [11] السحابِ ، وماطرِه ، ومُخْلفه ، وتقول :

---

(1) الدَّبران : نجم بين الثريا والجوزاء ، ويقال له : التّابع والتّويبع ، وهو من منازل القمر ، سُمّي دَبَرَاناً ؛ لأنّه يدبُر الثريا أي يتبعها . ينظر لسان العرب ، 4/ 271 .

(2) يقول ابن قتيبة : «قال بعضهم يذكر عبيد بن الأبرص حين تعرّض للملك في يوم بؤسه يريد حباه فقتله» ، وساق البيت ، ينظر الأنواء ، ص 37 .

(3) الأنواء ، ص 38 .

(4) الرجز بلا نسبة في الأنواء ، ص 80 ، وله هناك حديث طويل ، ولسان العرب ، 3/ 213 .

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من الأنواء ، ص 80 .

(6) و (7) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق .

(8) و (9) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من الأنواء ، ص 155 ، وينظر الأزمنة والأمكنة ، 2/ 182 .

(10) النجم هو الثريا ، يقول ابن قتيبة : « . . . فإذا سمعتهم يذكرون النجم من غير أن ينسبوه إلى شيء فاعلم أنّهم يريدون الثريا» ، الأنواء ، ص 24 ، وفي الأزمنة والأمكنة 1/ 188 : «وأمّا الثريا فهي النجم ، لا يتكلّمون بها مكبَّرة . . . والنجم كالعلم له» .

(11) مخايل : واحدتها مُخيلة ، وهي السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة .

أرنيها نَمرةً أُركْها مَطرة [١] ، ويقولون : إذا رأيتَ السماءَ كأنّها بطنُ أتانٍ قمراء [٢] فذلك الجَوْدُ [٣] .

وقالَ معقّر البارقي [٤] لابنته بعد أن كفَّ بصرُه : يا بنيّة صفي لي السحابَ ، فقالت : أرى سحماءَ عقّاقَة [٥] كأنّها حولاءُ [٦] ناقة ، ذات هَيْدب [٧] دان ، وسير وان . فقال : يا بنيّة ، وائلي بي إلى حَيث قَفْلة [٨] فإنّها لا تَنبتُ إلّا بمنجاة من السَيلِ [٩] .

وفي الحديث : إذا أنشأت بحريّةً ، ثمَّ تشاءَمَتْ فتلك عين غُدَيْقَة [١٠] .

ويقولون : مطرنا بالعين [١١] إذا نشأ السحابُ من ناحية القبلة [١٢] . ويقول[ون : العين اسم لما عـ] [١٣] ن [قـ]ـبلة [١٤] العراق . والعين أيضاً مطرٌ

---

(١) ينظر الأنواء ، ص ١٧٣ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٦٠ ، ولسان العرب ، ٥/ ٢٣٥ ، وشرحه ابن قتيبة بقوله : « . . . والنمرة التي تُري سحاباً صغاراً ينأى بعضه عن بعض . . . ويكون كلون النمر » . ونُسب في اللسان إلى أبي ذؤيب . وفي المخطوط : [أريكها] ، وأثبتنا ما في اللسان لصوابه .

(٢) قمراء : بيضاء .

(٣) ينظر الأنواء ، ص ١٧٢ ، ولسان العرب ، ٥/ ١١٣ .

(٤) معقّر : هو معقّر بن الحارث بن أوس بن حمار بن شجنة بن مازن بن ثعلبة البارقي ، وفي اسمه خلاف . شاعر جاهلي ، محسن ، متمكّن . سُميَ معقراً ببيت في واحدة من قصائده . كان حليف بني نمير . ينظر المؤتلف ص ٩٢ ، ومعجم الشعراء ، ص ٢٠٤ ، والأغاني ، ١١/ ١٥٢ ، ولسان العرب ، ٤/ ٥٩٩ ، وخزانة الأدب ، ٥/ ١٧ .

(٥) عقّاقة : مليئة بالماء .

(٦) حولاء : جلدةٌ تخرج مع ولد الناقة فيها عروق خضر وحمر ، شبّهت السحابة بها في تشقّقها بالماء .

(٧) الهيدب : ما تدلّى من أسافل السحاب إلى الأرض .

(٨) قَفْلة : الشجرة اليابسة ، أو هو ضرب من الشجر لا ينبت إلا مرتفعاً من السيل ، كما شرحه ابن قتيبة في الأنواء ، ص ١٧٣ .

(٩) ينظر الأنواء ، ص ١٧٣ ، ومجالس ثعلب ، ١/ ٣٤٧ و ٢/ ٦٦٥ ، وغريب الحديث ، ٢/ ٥٣٣ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٩٧ و ٣٦١ ، ولسان العرب ، ١٠/ ٢٥٦ و ١١/ ٥٦١ و ١٢/ ١٣٨ و ١٤/ ٧٩ ، وبلوغ الأرب ، ٣/ ٢٥٠ .

(١٠) ينظر الأنواء ، ص ١٧٠ ، وشرحه ابن قتيبة بقوله : « يريد إذا ابتدأت من ناحية البحر ، ثمَّ أخذت نحو الشام فتلك عين غديقة ، أي مطر جود ، والغديق الكثير الماء » . والحديث في شرح الموطأ ، ١/ ١٩٩ ، والكامل ، ٢/ ٩٧١ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٩٦ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٣٠٥ و ٤٦٥ .

(١١) جاء في لسان العرب ، ١٣/ ٣٠٤ : « يقال : هذا مَطَر العين ، ولا يقال مُطِرنا بالعين » .

(١٢) ينظر الأنواء ، ص ١٦٩ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٣٠٤ .

(١٣) و (١٤) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، واستضأتُ بما في لسان العرب ، ١٣/ ٣٠٤ .

أيامٍ [لا تُقْلِع] [١] .

[وهـ]ـم [٢] أعلمُ الناس بالرياح ، ومهابّها ، ولواقحها وحوائلها [٣] ، والبروق ، وما كان منها مُبشِّراً ، وما كان منها خُلَّبًا ، وربّما انتقلوا بلمعانه ، ولم [يبعثوا] [٤] رائداً ثقةً بعلمهم به . ويحمدون المطرَ إذا كان في سِرار الشَّهر ، وآخر ليلة منه .

وحدَّثني الرياشي قال : [سألتُ] [٥] أعرابياً عن قول الراعي :

تلقَّى نوءُهنَّ سِرارَ شهرٍ
وخيرُ النوء ما لقي السرارا [٦]

فقال : مُطِرنا عاماً أوّلَ لليلتين بقيتا من الشهر فاندَّحت الأرض كلأً [٧] .

أخبرني الرياشي عن الأصمعي قال : يقال : بنى بيتاً فدحاه أي وسَّعه [٨] .

ويحمدون المطرَ إذا كان في أوّل ليلة من الشهر ، قال الكميت :

والغيثُ بالمتألّقا
تِ من الأهلَّةِ في النواحِرْ [٩]

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة من الأنواء ، ١٦٩ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٣٠٥ ، وتنوير الحوالك ، ١/ ١٩٩ .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق .

(٣) حوائلها : تغيّرها من مكان إلى آخر .

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط ، وأثبتنا [يبعثوا] لملاءمتها السياق .

(٥) كلمة غير مقروءة في المخطوط ، والزيادة من غريب الحديث ، ٢/ ١١ .

(٦) ديوانه ، ص ١٤٤ .

(٧) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٢٠١ ، ولسان العرب ، ٢/ ٤٣٣ ، واندحَّت : اتسعت وامتلأت بالكلأ .

(٨) ينظر لسان العرب ، ١٤/ ٢٥١ .

(٩) ديوانه ، ١/ ٣٣٢ ، يقول ابن قتيبة : « . . . والنواحر جمع ناحرة ، وهي الليلة التي تنحر الشهر ، أي تكون في نحره » ، ينظر الأنواء ، ص ١٨١ ، يريد آخر يوم في الشهر .

وليس يحمدون مُحاقَ الشهرِ في شيء إلاّ في المطر . وقال جران العود [1] :

أَتَـوْنـي بـهـا قـبـلَ الـمـحـاقِ بـلـيـلـة
فـكـانَ مـحـاقـاً كـلّـه ذلـك الـشـهـرُ [2]

و[مـ] [3] ن كتاب الله ، وهو قوله : (في يومِ نحسٍ مستمرّ) [4] .
[وهم يستدلّو] [5] ن على الجدبِ باحمرارِ الآفاقِ ، واحمرارِ السحابِ ، واصفراره . قال أميّة [6] :

وَيْـلُ أُمِّ قـومـيَ قـومـاً إذا
قـحـط الـقَـطْـرُ وآضـتْ [7] كـأنّـهـا دَمُ

وشُـوِّذَتْ شَـمْـسُـهـم إذا طـلـعـتْ
بـالـجِـلْـبِ هـفّـاً كـأنّـه كَـتَـمُ [8]

فإذا كانَ البرقُ عندَهم وليفاً وثقوا بالمطر ، والوليفُ الذي يلمعُ لمعتين متتابعتين ، قال صخر الغيّ [9] :

---

(١) مرّت ترجمته :

(٢) ديوانه ، ص ١١ ، والبيت فيه إقراء فسائر أبيات القصيدة مكسور الرويّ . والبيت ليس لجران العود ، بل لصديقه ، وخدنه الرحال ، وقد وردت القصيدة في ديوان جران . ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢/ ٧١٩ - ٧٢٠ إلى الرّحال ، وتنظر الحماسة البصرية ، ٢/ ٣١٥ - ٣١٦ ، ففيها مزيد من التخريج .

(٣) طمس في المخطوط .

(٤) القمر ، ١٩ .

(٥) طمس في المخطوط ، والزيادة يقتضيها السياق .

(٦) هو أمية بن أبي الصلت الشاعر المعروف .

(٧) آضت : صارت شيئاً آخر ، وهنا يقصد الدنيا التي احمرّت فصارت كأنّها دم .

(٨) ديوانه ، ص ٨٨ باختلاف يسير . وشوّذت : عُمّمَتْ . والجَلْب : السحاب الذي لا ماء فيه ، والهِفّ : الرقيق ، والكتم : نبات أحمر يختضب به .

(٩) صخر الغيّ : الغيّ لقب لُقّب به لخلاعته ، وشدّة بأسه ، وكثرة شرّه ، واسمه صخر ابن عبد الله الهذلي ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٦٨ ، والأغاني ، ٢٢/ ٣٨٠ ، والإصابة ، ٢/ ١٩٩ ، رقم [٤١٢٧] وشرح أشعار الهذليين ، ١/ ٢٤٥ .

لـشـمّـاءَ بَـعْـدَ شـتـاتِ الـنَّـوى

وقـد بـتّ أخـيـلـتُ بـرقـاً ولـيـفـا [1]

وإذا كان السحابُ بطيئاً في سيره فذاك دليلُهم على كثرةِ مائه ، قال عدي بن زيد :

وَحَـبـيٌّ بـعـد الـهـدوِّ تـزجّـيـ

ـه شـمـالٌ كـمـا يُـزَجّـى الـكـسـيـرُ [2]

أي تسوقُه الشمالُ ، وهو بطيءٌ لثقلِه من الماءِ فليسَ يسيرُ إلاّ كما يسيرُ الكسير .

وإذا كانَ السحابُ أبيضَ أو أصهبَ إلى البياضِ فليس فيه عندهم ماء ، قال النابغة ، وذكر سحائب :

[صُهْباً ضِـمـاءَ أتيـنَ التِّـينَ عـن عُرُضٍ

يُـزْجـين غـيـمـاً قـلـيـلاً مـاؤه شَـبِـمـا] [3]

وصح وعاد فجعل الناس يسأ[لون فلم يجدوا مَنْ] [4] يخبرهم ، فأتوا عبدَ الله بن مسعود فأرسل [ا] [5] لناس ، وليس عليك فيما أخذ عليكَ فيه [شـ] [6]ـيء .

---

(١) البيت منسوب إلى صخر الغيّ في شرح أشعار الهذليين ، ١/ ٢٩٤ ، ولسان العرب ، ٩/ ٣٦٥ ، وفي الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ١٠٥ و٣٦٣ : «قال الهذلي . . . » ، وساق البيت .

(٢) ديوانه ، ص ٨٦ ، والحبيّ : السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض ، وتزجّيه : تسوقه .

(٣) لم يرد البيت في المخطوط ، واستضأتُ بالأنواء ، ص ١٧٥ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٦١ ، ويبدو أنَّ هناك سقطاً بمقدار سطرين إذ يظهر الكلام منبتَّ الصلة بالبيت الذي قبله . وينظر ديوان النابغة ، ص ٢١٧ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٧٥ ، والتين : جبل في بلاد غطفان .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

(٥) ما بين المعقوفين طمس في الخطوط .

(٦) ما بين المعقوفين طمس في الخطوط ، والزيادة تتلاءم مع السياق .

الفراسة

ومن ذلك الفراسةُ والتوسُّم ، يتوهّمُ كثيرٌ من الناسِ أنّه لاحظّ للعربِ فيهما ، ولها منهما الحظُّ الأوفر . قال الشاعر [١] :

لا تسألِ المرءَ عن خلائقه

في وجههِ شاهدٌ من الخبرِ [٢]

وقال آخر [٣] في رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم :

لو لم تكُنْ فيه آياتٌ مبيِّنَةٌ

كانت بداهتهُ تُنْبيكَ بالخَبَرِ [٤]

وقال الكميت في مخلد بن يزيد [٥] :

رفعتْ إليكَ وما اتغد

ت [٦] عيونُ مُسْتمعٍ وناظِرْ

ورأوا عليكَ ومنكَ في الـ

ـمهدِ النهى ذات البصائِرْ [٧]

---

(١) هو سلم بن عمرو بن حماد الملقّب بالخاسر ؛ لأنّه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً أو لأنّه أنفق مالاً وافراً على الأدب . شاعر معروف من شعراء العصر العباسي ، توفّي سنة ١٨٦ للهجرة ، عُرِف بالمجون وحبّ اللهو . ولد في البصرة ونشأ بها ثمّ تحوّل إلى بغداد ، له شعر في المديح والهجاء والوصف والغَزَل ، تنظر مقدمة شعره الجموع مع مصادرها .

(٧) شعره ، ص ١٩٩ .

(٣) هو عبدالله بن رواحة الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وأحد شعراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . سقط شهيداً في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٤) ديوانه ، ص ٩٥ .

(٥) مخلد بن يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة ، سيد شريف ، كان على حداثته يُقدّم على أبيه . وساد وهو صبي . ينظر المعارف ، ص ٤٠٠ ، ٥٩١ .

(٦) في عيون الأخبار : [وما ثُغِرْتَ] . ويقال : ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه الرواضع ، واتغدت : صرتَ صبياً ، والمعنى قريب .

(٧) ديوانه ، ١/ ٣٣٢ ، وينظر الأغاني (طبعة مصر) ، ١٧/ ٣٥ .

ورأى بكيرُ بن الأخنس [المهلّب](١) وهو غلامٌ فقال :

خذوني به إن لم يَسُدْ سرواتهم ... ويبرع حتى لا يكون له مِثْلُ

فكان كما قال (٢) .

ونظر رجلٌ إلى معاوية وهو صغيرٌ فقال : [إنّي أظنُّ هذا] (٣) الغلام سيسودُ قومَه . قالت هند : [ثكلتُه إن] (٤) كان لا يسود إلاّ قومَه (٥) .

عبد الرحمن عن الأصمعي قال : أخبرنا جَميع عن أبي غاضر وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية من ولد الزبرقان بن بدر (٦) من قبل النساء . قال : كان الزبَرقان يقولَ : أبغضَ صبيانَنا إليه الأُقيعس (٧) الذكَر الذي كأنّما يطلع في حجره ، وإن سأله القومُ أين أبوكَ؟ قال : معكم (٨) .

قال : وقيل لأعرابي : بمَ تعرفون سؤددَ الغلام فيكم؟ قال : إذا كان سائلَ الغرّة (٩) ، طَويلَ الغرلة (١٠) ، ملتاث الإزرة (١١) وكانت فيه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوط ، وأثبتناها عن عيون الأخبار ، ١/ ٢٣٠ ، وبها يستقيم اكلام .

(٢) الخبر والشعر في عيون الاخبار ، ١/ ٢٣٠ .

(٣) و (٤) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط ، والزيادة من المصادر القادمة .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٢٤ ، والأمالي ، ١/ ١٥٧ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٨٧ .

(٦) الزبرقان بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف . . . كان اسمه حصين ولُقّب بالزبرقان لجماله ، أو لصفرة عمامته . صحابي ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلّم على صدقات قومه . ينظر المعارف ، ص ٣٠٢ ، والاشتقاق ، ص ٢٥٤ ، وخزانة الأدب ، ٨/ ١٠٠ .

(٧) الأقيعس : تصغير الأقعس وهو نقيض الأحدب أي خروج الصدر ، ودخول الظهر .

(٨) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٥٥٩ ، وفيه زيادة وعيون الأخبار ، ١/ ٢٢٣ ، والبيان والتبيين ، ٢/ ٢٧٠ ، ولسان العرب ، ٦/ ١٧٧ .

(٩) سائل الغرّة : بياض وجهه واضح .

(١٠) طويل الغرلة : طويل القُلفة ، وإنمّا أعجبه طولها لتمام خلقه .

(١١) ملتاث الإزرة : قويّ الحالة والمظهر .

لوثة [1] فلسنا نشكّ في سؤدده [2] .

وقيل لأعرابي : أيُّ الغلمان أسود؟ قال : إذا رأيتَه أعنقَ [3] ، أشدقَ [4] ، أحمق ، فأقْرِب به من السؤدد [5] .

وقال معاوية : ثلاث من السؤدد : الصَّلَعُ ، واندحاقُ البطنِ ، وتَرْكُ الإفراطِ في الغيرة [6] .

وأنشدنا الرياشي :

إنَّ سعيداً وسعيدٌ فَرْعُ

أصلعُ تُنميه رجالٌ صُلْعُ [7]

حدَّثني السجستاني قال : حدَّثنا الأصمعي عن موسى بن سعيد الجمحي عن أبي مُصعب الزبيري قال : قالَ لي عثمانُ بنُ محمد بنُ إبراهيمَ بنُ حاطب الجمحي ، وكانَ رجلاً موجَّهاً ، ذا علمٍ قال : أتاني فتى من قريش يستشيرني في امرأة يتزوّجُها ، فقلت : يا أخي ، أقصيرةُ النسَب أم طويلتُه؟ فكأنَّه لم يَفْهمْ . فقلتُ : يا ابن أخي ، إنّي لأعرفُ في العينِ إذا أنكرتْ ، وأعرفُ منها إذا

---

(١) اللوثة شيء من الحمق يعينه على اقتحام الصعب .

(٢) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٢٣ ، والبيان والتبيين ، ٢/ ٢٧٠ ، والكامل ١/ ٢٠١ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٨٧ ، والأمالي ، ١/ ١٦٦ ، وهو منسوب إلى الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي ، ولسان العرب ، ١١/ ٤٩٠ .

(٣) الأعنق : طويل العنق غليظه .

(٤) الأشدق : واسع الشِّدْق وهو جانب الفم ، وهي صفة الرجل المتفوّه ذي البيان .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٢٣ ، ومجالس ثعلب ، ٢/ ٦١٦ .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٢٣ ، والبرصان والعرجان ، ص ٥٤٣ ، ونشر الدرّ ، ٣/ ١٨ ، وله تعليق عليه . واندحاق البطن : سعتها .

(٧) بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٢٢٤ ، وفيه : «قريش تمدح بالصلع» ، والبرصان والعرجان ، ص ٥٤١ ، وقد أورد الجاحظ نماذج كثيرة عن هذا الموضوع ، وفي ديوان المعاني ، ١/ ١٦٤ ، أنَّ علي بن أبي طالب كرَّم اللهُ وجهه استشهد ببيت الشاعر :

بنى المجدَ آباءٌ لهم شَرَفٌ

صُلْعُ الرؤوسِ وسيما السؤددِ الصَّلَعُ

عرفتْ ، فأمّا إذا عرفت فتحواص [1] ، وأمّا إذا أنكرتْ فتجحظ ، وأمّا إذا لم تعرفْ ولم تُنكرْ فتسجو [2] . أي تسكن .

القيافة

ومن علومِ العربِ القيافةُ ، ولَسْتُ أدري أتنفردُ بها ، أم تعرفُها غيرُها ، وتشركُها فيه ، وهي شَبيهةٌ بالفراسةِ في معرفةِ الأشباهِ في الأولادِ ، والقراباتِ ، ومعرفةِ الآثار .

وبنو مدلج القافَةُ منهم [3] . حدَّثنا الأصمعي قال : اختصم رجلان إلى عمرَ في غلام كلاهما يدَّعيه ، فسأل عمرُ أمَّه ، فقالتْ : غشيني أحدُهما ، ثمَّ هرقتُ دماً ، ثمَّ غشيني الآخرُ . فدعا عمرُ قائفَين فسأل أحدَهما . فقال : أعلنُ أم أسرُّ؟ قال : أسرَّ . قال : اشتركا فيه ، فضربه عمرُ حتى اضطجع ، ثمَّ سألَ الآخرَ فقال مثلَ قوله ، فقال عمر : ما كنتُ أرى أنَّ هذا يكونُ وقد علمتُ أنَّ الكلابَ تَسفَدُ الكلبةَ فتؤدّي لكلِّ فَحْلٍ نَجْلَه [4] .

حدَّثني أبو حاتم قال : حدَّثنا الأصمعي عن رجلٍ من آل أبي مسروح عن عوسجة ابن مغيث القائف قال : كنَّا نُسرقُ نخلَنا ، فعرفنا آثارَهم ، فركبوا الحُمرَ ، فعرفنا نَمَشَ أيديهم في العذوق . والنمش : الأثر [5] .

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن رجلٍ من آل أبي مسروح عن ابن أبي طرفةَ الهذلي قال : رُئي قائفان وهُما منصرفانِ من عَرفةَ بَعدَ الناسِ بيومٍ أو اثنين

---

(١) تحواص : تضيق .

(٢) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٤٦١ ، والأخبار الموفقيات ، ص ٥٢١ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٦٢ و ٦/ ١٠٤ .

(٣) ينظر ثمار القلوب ، ص ١٢٠ ، والبخلاء ، ص ٢٠٢ ، ولسان العرب ، ٩/ ٢٩٣ .

(٤) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٦٩ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٢٣٣ ، والأخبار الموفقيات ، ص ٣٦٣ ، وفيه : «أنَّ عمر كان قائفاً» ، وفي الممتع ، ص ٣٢٧ ، أنَّ «عمر كان عرافاً قائفاً» ، وينظر الحيوان ، ٢/ ٥٩ ، عن هذا الطبع في الكلاب ، و ٢/ ٣٦٥ مع تعليق الجاحظ ، وينظر شرح الموطأ ، ٢/ ٢١٥ .

(٥) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٥١٩ ، ولسان العرب ، ٦/ ٣٥٩ .

إثرَ بعير ، فقال أحدُهما : ناقة ، وقال الآخرُ : جمل ، فتبعاه فمرَّةً يَسْتَجمعُ لهما الخُفُّ ، ومرَّةً يَرَيان الخَطْرَةَ[1] منه حتى دَخَلا شِعْباً من شِعاب مِنى فإذا هما بالبعير فأطافا به فإذا هو خنثى[2] .

ومن المحفوظ في وَصْف قائف أنَّه كان يَعرفُ أثَرَ الذَّرة الأنثى من الذرِّ الذَّكر على الصَّفَا[3] . وقال الأعشى :

أنــظــر إلـــى كـــفٍّ وأســــرارهـــا

هــل أنــتَ إن أو عــدتــنــي ضــائــري[4]

وكانوا يقولون : إنَّ ضيق الكفِّ يدلُّ على البخل[5] . قال الأخطل :

[وناطـوا][6] من الـكـذَّابِ كفَّـاً صغـيرةً

ولــيــس عــلــيــهــم قـتـلُـه بــكــبــيــرِ[7]

وقال ابن الأعرابي : رماه بالبخل . صِغرُ الكفِّ يدلُّ على ذلك .

ومن القافةِ سُراقةُ بنُ مالك بن جعشم المدلجي[8] الذي بَعَثَتْه قريشُ في إثرِ

---

(١) الخَطْرة : من سمات الإبل ، خَطْره بالمِيسم في باطن الساق .

(٢) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٥١٩ .

(٣) في الكامل ، ٢/ ٧٤٣ : « . . . ومن ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد فإنَّهم يصفون أنَّ جارية له سُئلت عمَّا بقي من بصره فقالت : والله لقد ضعف بصره ، ولقد بقيت فيه بقيّة إنَّه ليفصل بين أثر الأنثى والذكر من الذرّ إذا دبّ على الصفا» ، ويعلّق المبرّد بقوله : « . . . في أشياء تشاكل هذا من الكذب» ، وينظر جمهرة الأمثال ، ١/ ١٢٦ ، وهو يتحدّث عن النسر الذي يعيش أربعمائة سنة ، والذرّ صغار النمل واحدته ذرَّة .

(٤) ديوانه ، ص ١٨١ ، وفي هامش الديوان : «انظر إلى كفّ ، كانوا ينظرون إلى الكفّ ويرون فيها دلائل المستقبل» ، ويعلّق المرزوقي على هذا البيت بقوله : «جعله مثلا ؛ لأنَّهم كانوا ينظرون إلى الكفّ يستدلّون بها» ، الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٥٢ ، وينظر المختار من شعر بشار ، ص ١٤٨ .

(٥) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٥٠١ .

(٦) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة ، والزيادة من الديوان .

(٧) ديوانه ، ١/ ٦٨ ، وأراد بالكذّاب المختار بن أبي عبيد الثقفي .

(٨) هو سراقة بن مالك بن جُعشم المدلجي ، يكنى أبا سفيان ، كان ينزل قديداً . دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعقّبه فساخت رجلا فرسه حتى طلب الخلاص فكتب له أماناً . أسلم يوم الفتح ، وقال له رسول الله : كيف بكَ إذا لبستَ سواريْ كسرى؟ فلما أُتي عمر بهما ألبسهما سراقة مصداقاً لقول رسول الله . مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين . ينظر الإصابة ، ٤/ ١٢٧ ، رقم [٣١٠٩] ، والاستيعاب ، ٤/ ١٣١ ، رقم [٩١٦] ، وسيرة ابن هشام ، ٢/ ١٣٤ .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وأبي بكر حين خرَجا مهاجرَين لمعرفته بالآثار .

ومنهم مجزّز [1] . حدّثني محمد بن عبيد قال : حدّثنا أبو عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : دخلَ مجزّز على رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم فرأى زيدَ بنَ حارثة [2] ، وأسامةَ [3] قد ناما في قَطيفة ، وغطّيا رؤوسَهما ، وبَدَتْ أقدامُهما ، فقال : إنّ هذه أقدامٌ بعضُها من بعض ، فَسُرَّ رسول اللّه صلى الله عليه بذلك [4] .

العيافة والطَّرْق والخطّ والكهانة

ومن علومِ العرب في الجاهلية العيافةُ ، والخطُّ ، والطَّرْقُ ، والكهانة [5] .

فأمّا العيافةُ فَزَجْرُ الطائر ، وذلك أن تعتبرَ بأسمائها ، ومَسَاقطها ، ومجاريها ، وأصواتها [6] . قال الشاعر [7] :

تغنّى الطائرانِ بِبيْنِ سلمى
على غصنينِ من غربٍ وبانِ

(١) مجزّز : قائف معروف له شأن . ينظر لسان العرب ، ٩/ ٢٩٣ .

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، أبو أسامة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أُخذ في الجاهلية بغارة لبني القين ، وباعوه بسوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة ، فلما تزوجت رسول الله وهَبت زيداً له . تعرّف عليه أبوه وعمّه فعرفهما وطلبا من رسول الله أن يقبل بالفداء ، فخيره رسول الله بلا فداء ، فاختار رسولَ الله ، شهد بدراً وما بعدها ، وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير ، ينظر الإصابة ٥/ ٤٧ ، رقم [٢٨٨٤] ، والاستيعاب ٥/ ٤٧ ، رقم [٨٤٣] .

(٣) أسامة بن زيد ، الحبّ بن الحبّ ، أبو زيد المتقدّم ذكره ، وأمّه أم أيمن حاضنة رسول الله . ولد في الاسلام ، وتوفي رسول الله وله عشرون سَنة أو ثماني عشرة سنة . أمّره رسول الله على جيش كبير ، وكان عمر يجلّه ويكرمه ويفضلّه على أولاده في العطاء . توفي في خلافة معاوية . ينظر الإصابة ، ١/ ٤٥ ، رقم [٨٩] ، والاستيعاب ، ١/ ١٤٣ ، رقم [٢١] .

(٤) ينظر صحيح البخاري ، ٤/ ٥٨٣ ، وثمار القلوب ، ص ١٢١ ، ونثر الدرّ ، ١/ ٢٣٤ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٢٠٤ ، ولسان العرب ، ٩/ ٢٩٣ ، وبلوغ الأرب ، ٣/ ٢٦٢ .

(٥) في الحديث : «الطيرة والعيافة والطَّرْق من الجبت» . ينظر سنن أبي داود ، ٤/ ٢٢٩ ، ونثر الدر ، ١/ ٢٠٢ ، والترغيب والترهيب ، ٤/ ٦٤ ، ولسان العرب ، ١٠/ ٢١٥ .

(٦) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٥١٥ ، ولسان العرب ، ٩/ ٢٦١ .

(٧) نسب ابن قتيبة هذين البيتين في عيون الأخبار ، ١/ ١٤٩ إلى المعلوط ، ونسبهما الجاحظ في الحيوان ، ٣/ ٤٤٠ إلى سوّار بن المضرب ، ونسبهما المبرد في الكامل ، ١/ ١٩١ ، وصاحب العقد الفريد ، ٥/ ٤١٤ إلى جحدر العكلي ، وحقّق هذه النسبة السيد عبدالمعين الملوحي في كتابه أشعار اللصوص وأخبارهم ، ١/ ١٧٤ ، وكان جحدر لصاً دخل السجن غير مرّة ، طلبه الحجاج ، وعامله باليمامة فقبُض عليه ، ومثل بين يدي الحجاج الذي أجبره على مقاتلة أسد ضارٍ فقتله ، وأكرمه الحجاج . ينظر أشعار اللصوص ، ١/ ١٧٤ مع مصادره .

فَكَانَ البانُ أن بانت سُلَيْمى

وفي الغرب اغترابٌ غيرُ دانِ [1]

فَزَجَرَ في الغرب الغربةَ ، وفي البانِ البينَ . وقال الكميتُ لجذام [2] في انقطاعهم إلى اليمن :

وكان اسمُكم لو يَزجرُ الطَّيرَ عائفٌ

لبينكمُ طيراً مبيِّنه الفألُ [3]

يقول : اسمكم [4] جذام ، والزجرُ فيه الانجذام وهو الانقطاع ، ومن الغرابِ أَخَذَ الغربةَ ، وكانوا يسمّونه حاتماً ؛ لأنَّه يحتمُ عندهم بالفراق [5] .

وأكثرُ العافة من بني أسد [6] . حدَّثني أبو حاتم قال : حدَّثنا الأصمعي قال : أخبرني سعد بن نصر أنَّ نفراً من الجنِّ تذاكروا العيافةَ في بني أسد فأتوهم فقالوا : إنَّه ضَلَّتْ لنا ناقةٌ فلو أرسلتم معنا مَنْ يعيف . فقالوا لغُلَيِّم [7] منهم : انطلق معهم ، فاستردفه [8] أحدُهم ، ثمَّ ساروا فتَلقَّتْهم عُقابٌ كاسرة إحدى جناحيها فاقشعرّ الغُليِّمُ وبكى . فقالوا : مالك؟ فقال : كسرتْ جناحا ،

(1) البيتان بلا نسبة في : مجمع الأمثال ، ٢/ ١٩٥ ، والأمالي ، ١/ ٢٨١ ، والمحاسن والمساوئ ، ٢/ ١٦ ، وخزانة البغدادي ، ١١/ ٢٠٩ ، وهما منسوبان إلى المعلوط في عيون الأخبار ، ١/ ١٤٩ ، وإلى سوار بن المضرب في الحيوان ، ٣/ ٤٤٠ ، وإلى جحدر العكلي في الكامل ، ١/ ١٩١ ، وإليه في أشعار اللصوص وأخبارهم ، ١/ ١٩٣ ، وما بعدها ضمن قصيدة عدّتها ثلاثة وثلاثون بيتاً .

(2) جذام : قبيلة من اليمن تنزل بجبال حِسْمى ، وتزعم نسّاب مضر أنهّم من معدّ . ينظر الاشتقاق ، ص ٣٧٥ ، ولسان العرب ، ١٢/ ٨٩ .

(3) أخلَّ به ديوانه ، وهو منسوب إليه في غريب الحديث ، ٢/ ٥١٦ ، والأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٥٠ .

(4) من هنا إلى [الانقطاع] ينقله المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ، ٢/ ٣٥٠ بحروفه .

(5) من أمثالهم : «أشأم من غراب البين» ، وينظر عن هذا المثل ، واشتقاق لفظة غراب : المستقصى ، ١/ ١٨٣ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ١٩٤ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٦٨ ، وثمار القلوب ، ص ٤٥٨ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٠٢ و ٥/ ٣٤٧ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٥٥٩ ، والحيوان ، ٢/ ٣١٦ و ٣/ ٤٣٦ ، وتأويل مختلف الحديث ، ص ١٤٠ .

(6) في ثمار القلوب ، ص ١٢١ : «عيافة بني لِهْب وهم أزجر العرب ، وأعيفُهم» ، وفي العقد الفريد ، ٣/ ٣٣٠ ، قول دغفل النسّابة عن بني أسد : «عافة قافة» ، وفي لسان العرب ، ٩/ ٢٦١ : «وبنو أسد يذكرون بالعيافة ، ويوصفون بها» .

(7) غليِّم : تصغير غلام .

(8) استردفه : أركبه خلفه على الدابة .

ورفعتْ جناحا ، وحلفتُ باللّهِ صُراحا ما أنتَ بإنسيٍّ ، ولا تبغي لقاحا[1] .

الخطّ

والخطُّ[2] أن يخطَّ الزاجرُ في الرَّملِ ، ويزجر . حدَّثني أبو حاتم قال : حدَّثنا أبو زيد الأنصاري أنَّه يخطُّ خطَّين في الأرض يسمِّيهما ابني عيان ، فإذا زجر قال : ابْنَيْ عيان أسرعا البيان[3] . قال الراعي وذكر قِدْحاً[4] .

وأصفرَ عطّافٍ إذا راح ربُّه
غدا ابنا عيانٍ بالشِّواء المُضهَّبِ[5]

يقول : إذا راح صاحبُ القدح به علم أنَّه يخرجُ فائزاً ، فإذا قَصَدَ أتى بالشواء ، فرواحُ صاحبه به دليلٌ على الشواء .

وكان منهم حِلْس الخطّاط[6] . ذكروا أنَّ الثوريَّ[7] أتاه ، وغيره ، وسأله فخبَّره بكلِّ ما عَرف . وقال : سهَّل ذلك عليَّ الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبيِّ صلّى الله عليه : كان نبيٌّ من الأنبياء يخطّ[8] . وقول ابن عباس في

---

(١) ينظر غريب الحديث ، ٢/ ٥١٧ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٧٥ ، ولسان العرب ، ٩/ ٢٦١ ، ولِقاح جمع لِقْحة وهي ذوات الألبان من النوق .

(٢) ينظر لسان العرب ، ٧/ ٢٨٨ ، ففيه تفصيل واف .

(٣) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٤٠٣ ، والميسر والقداح ، ص ٩٠ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٣٩ ، ولسان العرب ، ٧/ ٢٨٧ .

(٤) القِدْح : السهم قبل أن يشذّب ويُنصّل .

(٥) ديوانه ، ص ١٥ ، باختلاف يسير ، المضهَّب : المشوي على النضج ولم ينضج .

(٦) حِلس : رجل معروف بالزجر والخطّ . ينظر لسان العرب ، ٧/ ٢٩٠ .

(٧) الثوري : سفيان بن سعيد بن مسروق ، أبو عبدالله الكوفي ، والثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناة . ولد سنة سبع وتسعين . كان ثقة مأموناً كثير الحديث ، كان يشبه التابعين في الورع والزهد . توفي سنة إحدى وستين بالبصرة . ينظر طبقات ابن سعد ، ٦/ ٣٧١ ، ووفيات الأعيان ، ٢/ ١٢٧ ، وتهذيب التهذيب ، ٤/ ١١١ .

(٨) ينظر غريب الحديث ، ١/ ٤٠٣ ، وتفسير القرطبي ، ١٦/ ١٧٩ ، والأوائل ، ص ٣٣٤ ، والأخبار الموفقيات ، ص ٣٦٢ ، وفي العقد الفريد ، ٤/ ١٥٧ : «وروي عن أبي ذرّ عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنَّ ادريس أول مَنْ خطّ بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلّم» ، ولسان العرب ، ٧/ ٢٨٧ ، وتاريخ الطبري ، ١/ ١٧٠ ، والكامل في التاريخ ، ١/ ٦٠ ، وفيهما أنَّ ادريس أول مَنْ خطّ بالقلم ، وسنن أبي داود ، ٤/ ٢٢٩ .

قول اللّه جلَّ وعزَّ : (أو آثارة منْ علْمٍ)[1] ، قال : الخطّ[2] .

الطَّرْق

والطَّرْق نَثْرُ الحصى في الأرض[3] ، والاستدلالُ بوقوعه واجتماعه ، وتفرُّقه ، وما أخبره كما يفعلُ صاحبُ الشَّعير فإنمّا قيل له : طارقَ ؛ لأنَّه إذا أراد نَثْرها ضَرَبَ بها الأرضَ ، والطَّرْقُ الضرب ، ومنه قيل : طرقتُ الصوفَ إذا ضَرَبتَه بالعود وقيل لعودِ النجَّاد : مطراق ، ولحديد الحدّاد : مطْرَقَة ، قال الشاعر[4] :

لَعَمْرُكَ ما تدري الطوارقُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطيِّرِ ما اللهُ صانعُ[5]

الكهانة

والكهانةُ أحْسبُها برئْي[6] من الجنّ . حدَّثني يزيدُ بن عمرو قال : حدَّثنا محمد بن صالح الضَّبي عن القاسم بنِ عروةَ عن عيسى بن يزيد بنِ بكر الليثي قال : ذُكرت الكهانةُ عند رسول اللّه صلّى اللهُ عليه فقال زبَّان العَدوي[7] :

(١) الأحقاف ، ٤ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ، ١٣/ ٤ ، وتفسير القرطبي ، ١٦/ ١٧٩ ، وفيهما رأي ابن عباس ، وساقا أقوالاً أخرى تنظر في مواضعها . وينظر غريب الحديث ، ١/ ٤٠٤ .

(٣) يقول الجاحظ في الحيوان ، ٥/ ٥٨٠ : «والطَّرْق باسكان الراء الضربُ بالحصى ، وهو من فعال الحزاة والعائفين» ، والحزاة هم الكهان . وينظر لسان العرب ، ١٠/ ٢١٥ ففيه تفصيل وافٍ ، وغريب الحديث ،١/ ٤٠٣ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة العامري .

(٥) ديوانه ، ص ١٧٢ ، باختلاف يسير . وفي ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٨٦ ، البيت الآتي :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى
ولا زاجرات الطير ما اللهُ فاعلُ

(٦) الرئي : التابع من الجنّ يتعرّض للرجل يريه كهانة وطبّاً .

(٧) في المخطوط : [العدواني] ، وأثبتنا ما في الإصابة ، ٤/ ٤ ، رقم [٢٧٧٥] وفيه : زبان العدوي . . . روى حديثه أبو محمد بن قتيبة ، من طريق عيسى بن يزيد بن دار ، قال : ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، فقال زبّان العدوي : يا رسول الله ، لقد رأيت عجباً . . . » ، ولم يسق بقية الخبر .

واللّه يا رسولَ الله ، لقد رأيتُ من ذلك عجبا . قال : وما هو : قال : كانت أمّي وَلدَتْ خمسةً أنا أحدُهم ، وكان يقالُ لها : أنيسة فخرجتُ في سَفَر ، تركتُهم معاً ، ثمَّ رجعتُ فوجدتُهم قد خفضوا [1] في اليمن وانحطّوا من الجبل ، فخرجتُ في آثارهم حتى نزلتُ على رجل من بني نهد ، فطلعتْ جويريةٌ له أمامَ غنم لها على رقبتها عُلْبةٌ [2] [ ] [3] فوق [ ] [4] ، فلمّا رآها قال : مرحباً يا بنيّتي انعمي واسلمي . قالت : قد كانَ ما قلتَ ، وأنتَ مثله ، لازلتَ في غيث يرفُّ بَقْلُه . قال : أخبرينا يا بنيَّة كيف كنت بعدَنا؟ وكيف كُنّا بَعْدَك؟ قالت : أَمّا أنا فإنّي قد رعيتُ فأشبعتُ ، وسَقيتُ فأَرَويتُ ، وأمّا أنتم بعدي فإنَّ ضيفكم هذا وَلَدت امرأتُه غلاماً ، وسمَّته عصاما ، ولقد نزلتْ عليكم فتيةٌ أربعة معهم ناقة جَذْعة [5] ، قالوا الضحى ، وجَلَوا الظهيرةَ فهم واردون ماءَ بغوير [6] فيردنَه غَلَسا [7] فيشربون منه نَفَسا [8] ثمَّ يميلون وهم كالّون [9] فيموتون أجمعين ، ثمَّ بهرجَت [10] القدحَ ، وصفَّقتْ بيديها ، وقالت : [ ] [11] اللُّعبةَ أخوهم وربِّ الكعبة ، قال فهل تَرَيْن لهم يا بنيَّةَ من فرج؟ قالت : نعم ، إن سار في الأصيل حتى يدركَهم بطَفيل [12] في وردهم حتى تهبَّ الريح .

---

(1) خفضوا : نزلوا بمنزل وادع مريح .

(2) علبة : قدح ضخم من جلود الإبل .

(3) و (4) كلمتان غير مقروءتين .

(5) جذعة : هي التي استكملت أربعة أعوام ودخلت في السنة الخامسة .

(6) غوير : تصغير غَوْر وهو المطمئنُ من الأرض الذي انحدر مسيله .

(7) الغَلَس : ظلام آخر الليل .

(8) النَفَس : الجرعة .

(9) كالّون : متعبون .

(10) بهرج : رمى وأسقط من يده .

(11) كلمة غير مقروءة .

(12) طفيل : تصغير طفل وهو وقت غروب الشمس واصفرارها .

وينفح [1] الشيح [2] ، طاب الشراب ، وسلم الإياب . قال : فخرجتُ فكنتُ إذا استبطأتْ ناقتي طردتُ ، وسعيت فوجدتُهم قد شربوا وهم موتى أجمعون . فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه يعجب .

وهذه علومٌ متقادمةٌ جاهليةٌ ، وكانت الشياطين تَسْترقُ السمعَ ، وتوحيه إلى أوليائها فأبطلها اللّهُ بالإسلام ، وحُرِسَت السمواتُ بالنَجوم [3] ، وليس هذا من الغيبِ الذي استأثر اللهُ به فننكرَه كما أنكرنا ما يدَّعيه المنجِّمون من معرفةِ ما يكونُ بالقضا على النجم .

الخُطب

والعربُ أخْطَبُ الأممِ ارتجالاً ، وأذلقُها ألسنةً ، وأحسنُها بياناً ، وأشدُّها اختصاراً حينَ الاختصار .

[لمّا منع أهلُ مرو الماءَ ، وزجَّته إلى الصحارى كتب إليهم أبو غسان : إلى بني] [4] استها أهلِ مرو ليمسِّيَنّي الماء ، أو لتصبحنّكم الخيل ، فوافاهم الماءُ قبل أن يُعتَموا . فقال أبو الهيذام :

الصدقُ ينبي عنكَ لا الوعيدُ

حدَّثني أبو حاتم قال : حدَّثنا الأصمعي قال : حدَّثني خلفُ الأحمر قال رأيتُ أعرابيَّين من بني أسد يخاصمهما رجلٌ من بني يربوع ، مريضٌ ، ضعيفٌ وهما يمشيان فرحمتُه من صحبتهما ، وجَلَدهما ، فاهتزَّ فقال : الله [ ] [5] ثم قال :

---

(١) ينفح : يفوح وتنتشر رائحته .

(٢) الشيح : نبات سهلي له رائحة طيبة وطعم مُرّ .

(٣) ينظر نهاية الأرب ، ٣/ ١٢٨ ، ولسان العرب ، ١٣/ ٣٦٣ .

(٤) هناك انقطاع في الكلام ، ولعلّه سقط بمقدار سطر ، وما بين المعقوفين زيادة من العقد الفريد ، ١/ ٥٠ يستقيم بها الكلام .

(٥) كلمة غير مقروءة .

أنـــا ابــنُ جَــلا وطــلاّعِ الــثــنــايــا

متـى أضـعُ الـعـمـامـةَ تَـعْـرِفـانـي [١]

وأومأ باصبعه إلى عينيه ، ففرقا منه ، وأعطياه حقَّه .

قال : بَلَغَ قتيبةَ بن مسلم أنَّ سليمـانَ يريدُ عزلَه عن خراسانَ ، واستعمالَ يزيد بن المهلّب ، فكتبَ إليه ثلاثَ صحائفَ ، وقالَ للرسول : ادفعْ إليه هذه ، فإنْ دَفَعَـها إلى يزيد فادفع هذه ، فإن شَتَمَني عند قراءتها فادفع إليه الثالثةَ ، فلمّا صارَ الرسولُ إليه دَفَعَ الكتابَ الأولَ ، وفيه : يا أميرَ المؤمنين إنَّ من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كيت كيت ، فَدَفَع كتابَه إلى يزيد ، فأعطاه الرسولُ الكتابَ الثانيَ ، وفيه : يا أميرَ المؤمنين كيف تأمنُ ابنَ دَحَمة [٢] على أسرارك ، ولم يكن أبوه يأمنه على أمَّهات أولاده فَشَتَمه ، فَدَفَع إليه الرسولُ الكتابَ الثالثَ وفيه : من قتيبة بن مسلم إلى سليمانَ بن عبد الملك ، سلامٌ على مَنْ اتَّبع الهُدى ، فأمّا بعد ، فواللّه لأوثقنَّ لكَ آخيَّةً [٣] لا ينزعُها المهرُ الأرن [٤] . فقال سليمان : عجلنا على قتيبةَ . يا غلام جدِّدْ له عهداً على خراسان [٥] .

وقال مالكُ بنُ دينار [٦] : ما رأيتُ أبْيَنَ من الحجّاج . إن كان لَيَعْلو المنبرَ

---

(١) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٥١ ، ورواية البيت المشهورة هي [تعرفوني] بدل [تعرفاني] ، والبيت مطلع الأصمعية الأولى ، ولعلَّ المؤلف يشير إلى ما دار بين سحيم بن وثيل الرياحي صاحب البيت ، وبين الأخوص [بالخاء] وهو زيد بن عمرو ابن عتّاب ، والأبيرد وهو ابن المعذر بن قيس بن عتاب حين تحدَّياه في الشعر وهما شابان يافعان ، وهو شيخ كبير فقال هذه القصيدة يردّ عليهما ، ويهزأ بهما . ينظر تفصيل هذا في الأصمعيات ، ص ١٧ ، والأغاني ، ١٣/ ١٣٤ ، وخزانة الأدب ، ١/ ٢٦١ .

(٢) دَحَمة : اسم امرأة ، وهي أمُّ يزيد بن المهلّب . قال أبو النجم :

لم يقضِ أن يملكنا ابن الدَّحمه .

يريد يزيدَ بن المهلب . ينظر لسان العرب ، ١٢/ ١٩٦ .

(٣) الأخيّة : الحرمة والذمة ، جمعها أواخي .

(٤) الأرن : النشيط القوي .

(٥) ينظر شرح النقائض ، ٢/ ٥٢٤ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٩٦ ، والعقد الفريد ، ٤/ ٤٢٦ ، وسرح العيون ، ص ١٩١ ، وشرح نهج البلاغة ، ٣/ ٢٦٨ .

(٦) مالك بن دينار السلمي الناجي مولاهم ، بصري زاهد ثقة . كان أبوه من سبي كابل ، روى عن أنس بن مالك والأحنف ، وابن سيرين وغيرهم . مات سنة احدى وثلاثين ومائة على خلاف . ينظر تهذيب التهذيب ، ١٠/ ١٤ .

فيذكر إحسانَه إلى أهلِ العراقِ ، وغَدْرَهم ، واساءتَهم حتى أحسبه صادقاً وهم كاذبون [1] .

وأوقعَ الحجّاجُ يوماً بخالد بن يزيد [2] يعيبُه وعند عمرو بن عتبة [3] فقال عمرو : إنَّ خالداً أدركَ مَنْ قَبْلَه ، وأتى على مَنْ بَعْدَه بقديمٍ غَلَبَ عليه ، وحديث لم يُسْبَقْ إليه . فقال الحجّاج معتذراً : يا ابنَ عتبة ، إنَّا لَنسترضيكم بأن نَغضَبَ عليكم ، ونستعطفُكم بأن ننالَ منكم ، وقد غلبتم على الحلمِ فوثقنا لكم به ، وَعَلمنا أنَّكم تحبّون أن تحلموا فتعرَّضْنا للذي تحبّون [4] .

ولمّا عَقَدَ معاويةُ البيعة ليزيد قام الناسُ يخطبون فقال لعمرو بن سعيد [5] : قم يا أبا أميَّةَ ، فقامَ فحمدَ اللهَ ، وأثنى عليه ، ثمَّ قال : أمّا بعدُ ، فإنَّ يزيدَ بنَ معاوية أملٌ تأملونَه ، وأجَلٌ تأمنونه ، إن استضفتم إلى حلمه وسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكُم . جَذَعٌ قارح [6] ، سوبقَ فسبق ، وموجد فَمَجَد [7] ، وقورع فَخَرَج [8] ، فهو خَلَفُ أميرِ المؤمنين ، ولا خلف منه . فقال معاوية : أوسعتَ يا أبا أميَّةَ فاجلس [9] .

وقال بعض الخلفاء لجرير : إنّي قد أعددتُك لأمر . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ اللهَ قد أعدَّ لكَ منّي قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً

(١) ينظر البيان والتبيين ، ١/ ٣٩٤ و٢/ ١٩٣ ، ووفيات الأعيان ، ٢/ ٤١ ، وسرح العيون ، ص ١٨٣ .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، كان أعلم قريش فنون العلم ، كما كان شاعراً ، اعتزل السياسة منصرفاً إلى العلم وطلبه . ينظر وفيات الأعيان ، ٢/ ٤ .

(٣) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، من سادات بني أمية . قُتل مع ابن الاشعث وعقبه بالبصرة . ينظر جمهرة أنساب العرب ، ص ١١٢ .

(٤) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ١٠٥ ، والعقد الفريد ، ٦/ ١٢٢ ، ونثر الدرّ ، ٣/ ٣٦ .

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . المعروف بالأشدق ، ولي المدينة لمعاوية ويزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق . قتله عبدالملك بن مروان بعد أن أعطاه الأمان . ينظر تهذيب التهذيب ، ٨/ ٣٧ .

(٦) جذع قارح : البعير أو الفرس القوي النشيط ، يريد أنّه شاب قادر على تحمّل الأعباء .

(٧) موجد فمجد : غلب أقرانه في المجد ، ومعالي الأمور .

(٨) قورع فخرج : جعل منه قدْحاً فائزاً ، أي إنّه بزَّ أقرانه وفضلهم .

(٩) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٩٥ ، والأمالي ، ١/ ٧١ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٨٥٧ .

مشحوذاً على عدوِّك . فإذا شئتَ فَقُلْ [١] .

وقال المأمون للعتّابي [٢] : بلغني وفاتُك فغمَّني ، ثمَّ بلغتني وفادتُك فسرَّتني . قال : يا أميرَ المؤمنين ، لو قُسمتْ هذه الكلماتُ على أهلِ الأرض لو سعَتهْم ، وذلك أنَّه لا دينَ إلاّ بك ، ولا دنيا إلاّ معك . قال : سَلْني . قال : يدُكَ أطلَقُ بالعطاء من لساني [٣] .

ودخل الهذيل بن زفر [٤] على يزيد بن المهلَّب في حمالات [٥] لزمته فقال : إنَّه قد عَظُمَ شأنُك عن أن يُستعانَ عليك ، ولستَ تصنعُ شيئاً من المعروف إلاّ وأنتَ أكبرُ منه ، وليس العَجَبُ من أن تفعل ، بل العَجَبُ من أن لا تفعلَ [٦] .

وسأل رجلٌ أسدَ بنَ عبد الله فاعتلَّ [٧] عليه فقال : إنّي سألتُ الأميرَ عن غير حاجة . فقال : ما حملكَ على ذلكَ؟ قال : رأيتُك تحبُّ مَنْ لكَ عنده حسنُ بلاء فأحببتُ أن أتعلَّقَ منكَ بحبل مودّة [٨] .

الشِّــعر [٩]

وللعربِ الشعرُ لا يشركُها أحدٌ من الأممِ الأعاجمِ فيه ، على الأوزانِ ،

---

(١) ينظر العقد الفريد ، ٢/ ١٢٨ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٨٧٤ ، وفيهما أنَّ «المنصور قال لجرير بن عبدالله . . .» ، وعيون الأخبار ، ١/ ٩٢ ، وفيه : «قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد . . .» ، وبهجة المجالس ، ١/ ٩٥ ، وفيه : «أنَّ المهدي قال لجرير بن يزيد» ، والأمالي ، ٢/ ١١٥ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٧٤٢ ، وفيه حديث طويل .

(٢) العتّابي : كلثوم بن عمرو العتّابي التغلبي ، من نسل عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي ، ولد سنة ١٣٥ للهجرة ، كان شاعراً ، وكاتباً ، ومؤلفاً ، قرّبه المأمون ، وطاهر ابن الحسين . توفي قبيل سنة ٢٢٠ للهجرة . ينظر الأغاني ، ١٣/ ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ، ١٢/ ٤٨٨ ، وتاريخ الأدب العربي ، ٢/ ٢١٨ .

(٣) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٦ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٠٠ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٨٦٣ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٦٢٢ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ١٨٦ ، والأغاني ، ١٢/ ٣ ، والمحاسن والمساوئ ، ٢/ ١٨١ . وتاريخ بغداد ، ١٢/ ٤٩٠ .

(٤) في البيان والتبيين ، ٢/ ٦٦ : الهذيل بن زفر الكلابي .

(٥) الحمالات : الديات والغرامات التي يحملها قوم عن قوم .

(٦) ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ٦٦ ، وله تتمة ، وعيون الأخبار ، ٣/ ١٢٤ ، وزهر الآداب ، ٢/ ٨٢٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٥٥ ، وله تتمة ، وفيه أنَّ الداخل هو كريز بن زفر .

(٧) اعتلَّ : قدّم العلل والأعذار كي لا يعطي .

(٨) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ١٢٦ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٥٥ ، وفيه أنَّ المسؤول هو خالد القسري .

(٩) ينظر تأويل مشكل القرآن ، ص ١٤ ، وما بعدها ، والقرطين ، ٢/ ١٦١ ، وما بعدها .

والأعاريض ، والقوافي والتشبيب ، ووصف الديار ، والآثار ، والجبال ، والرمال ، والفلوات ، وسُرى الليل والنجوم ، وإنَّما كانت أشعارُ العَجَم [ ] [١] في مُطْلَق من الكلامَ ، ومنثور ، ثمَّ سَمع بَعْدُ قومٌ منهم أشعارَ العرب ، وفَهموا الوزنَ والعَروضَ فتكلّفوا مثلَ ذلكَ في الفارسية ، وشبَّهوه بالعربية .

والشعرُ [٢] مَعدنُ علم العرب ، ومَقَرُّ حكمتها ، وديوانُ أخبارها ، ومستودعُ أيامها ، والسورُ المضروبُ على مآثرها ، والخندقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار ، والحجَّةُ القاطعةُ عندَ الخصام ، ومَنْ لم يكن عندهم على شرفه ، وما يدَّعيه لسَلَفه من المناقب الكريمة ، والفعال الحميد ، بيِّنَةٌ منه شذَّت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودَرَسَتْ على مرور الأيام ، وإن كانتْ جساماً . ومَنْ قيَّدها بقوافي الشعر ، وأوْثقها بأوزانه ، وشَهَرها بالبيت النادر ، والمثل السائر ، والمعنى اللطيف أخْلَدَها على الدَّهر [٣] ، وأخْلَصَها من الجَحْد ، ودَفَعَ عنها كيدَ العداة ، وغضَّ بها عَيْنَ الحسودَ ولم تَزَل ، وإن كانت صغاراً ، ماثلةً للعيون ، حاضرةً للقلوب كما قال الخريمي [٤] :

لـه كَلِـمٌ فيـكَ معـقـولـةٌ

إزاءَ القلـوبِ كَـركْـبٍ وقـوفِ [٥]

وقال الآخر [٦] :

---

(١) كلمة غير مقروءة .

(٢) يورد ابن قتيبة هذا النصَّ إلى بيت الخريمي في عيون الأخبار ، ٢/ ١٥٨ .

(٣) من أمثالهم : «أسيَرُ من شعر ؛ لأنّه يرد الأندية ، ويلج الأخبية ، سائراً في البلاد» . ينظر مجمع الأمثال ، ٢/ ١٤٣ ، و ١/ ٥٣٥ ، وعقد ابن رشيق في العمدة ، ٢/ ١٨١ ، وما بعدها باباً في سيرورة الشعر .

(٤) الخريمي : اسحاق بن حسَّان بن قوهى ، الصغدي أصلاً ، التركي جنساً الخريمي ولاءً ، فهو من موالي عثمان بن عمارة بن خريم الناعم ، شاعر له الرائية المشهورة في رثاء بغداد بعد ما حلَّ بها من خراب بسبب القتال بين الأمين والمأمون . توفي عام ٢١٤ للهجرة ببغداد . تنظر مقدّمة ديوانه مع مصادرها .

(٥) ديوانه ، ص ٤٧ ، ويعلّق الجاحظ على هذا البيت بقوله : « . . . ويظنّون أنَّ الخريمي إنَّما احتذى في هذا البيت على كلام أيوب بن القرّية حين قال له بعض السلاطين : ما أعددتَ لهذا الموقف؟ قال : ثلاثة حروف كأنهنّ ركب وقوف : دنيا ، وآخرة ، ومعروف» . ينظر البيان والتبيين ، ١/ ١١٢ ، وبعض السلاطين الوارد في النصّ هو الحجّاج بن يوسف ، ويرد الخبر بتفصيل مع بيت الخريمي في زهر الآداب ، ٢/ ٩٠٥ .

(٦) هو أبو تمام الطائي .

إنَّ القوافي والمساعي لم تَزَلْ

مثل النظامِ إذا أصابَ فريدا

هي جوهرٌ نَثْرٌ فإن ألّفْتَه

بالشعر صار قلائداً وعقودا

من أجلِ ذلك كانتِ العربُ الألى

يدعون هذا سؤدداً مجدودا

وتبيدُ عندَهمُ العُلى إلاَّ عُلى

جُعِلَتْ لها مِررُ القَريضِ قيودا [1]

وقال أيضاً [2] :

ولم أرَ كالمعروفِ تُدعى حقوقهُ

مغارمَ للأقوامِ وهي مغانمُ

وإنَّ العُلى ، لم يُرَ الشعرُ بينها

لكالأرضِ غُفْلاً ليس فيها المعالمُ

وما هو إلاّ القولُ يسري فتغتدي

له غُررٌ في أوْجُهٍ ومواسمُ

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهة

ويُقضى بما يقضى به وهو ظالمُ

ولولا خِلالٌ سنَّها الشعرُ ما درى

بغاةُ العُلا من أين تؤتى المكارمُ [3]

---

(٦) ديوانه ، ص ٨٩ - ٩٠ ، طبعة بيروت باختلاف يسير ، ومِرر القريض : الشعر المحكم القوي .

(٢) هو أبو تمام الطائي .

(٣) ديوانه ، ٣/ ١٧٩ ، طبعة مصر باختلاف يسير .

قال : وقد كان في العرب قبائلُ فيها شرفٌ بالثروة ، وفي العدد والجود ، والبأس كبني حنيفة بن لجُيَمْ ، منهم هوذةُ[1] الحنفيَ[2] ذو التاجِ الَذي ذكرَه الأعشى فقال :

مَـــنْ يَـــرَ هـــوذةَ يـــســـجـدْ غـــيـــرَ مـــتَّـــئـــبِ[3]

أي مُسْتَحٍ ، وكان يقالُ لأبيه ، وأعمامه : البحور .

ومنهم نجدةُ الحروري[4] ، وكان باليمامة بعد موت يزيدَ بن معاوية ، وغَلَبَ على البحرين ، ثمَّ وافى ناحيةَ الموسمِ فصَلّى بأصحابه ناحَيةً ، وصلّى ابنُ الزّبير ناحيةً ، وصلّى محمدُ بنُ الحنفية عليه السلامُ ناحيةً[5] .

ومنهم نافعُ بنُ الأزرق[6] رأسُ الأزارقة .

ومنهم عمير بن سلمى[7] أحدُ أوفياء العربِ الثلاثة[8] ، وهو الذي قَتَلَ أخاه قُرِيباً بجاره ، وقد ذكرنا قصتّه فيما تقدّمَ[9] .

ومنهم عُبيد بن ثعلبة بن يربوع الذي يقال له [ربّ حَجْر] وحَجْر اليمامة ،

---

(١) من هنا إلى قوله : «وعتيبة بن النهاس» ينقله صاحب الممتع ، ص ٧١ - ٧٢ ، باختلاف يسير .

(٢) ينظر الاشتقاق ، ص ٣٤٨ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٤٤ ، والحيوان ، ١/ ٩٨ ، والديباج ، ص ١٤٦ ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى هوذة يدعوه إلى الإسلام مثلما كتب إلى الملوك .

(٣) ديوانه ، ص ١٤٣ ، وهو صدر بيت عجزه :

إذا تعصّــــب فـــوق التــــاج أو وضعـــا

وقد مدح الأعشى هوذة بقصائد غير هذه نجدها في الديوان .

(٤) نجدة الحروري : هو نجدة بن عامر ، أحد رؤوساء الخوارج ، وإليه تُنسب الفرقة النجدية ، مَلَكَ اليمن والطائف وعُمان والبحرين ووادي تميم وعامر . ينظر الاشتقاق ، ص ٣٢٥ و ٣٤٧ ، وأخباره مفصَّلة في شرح نهج البلاغة ، ٤/ ١٣٣ ، وما بعدها .

(٥) كان ذلك سنة ستّ وستين للهجرة ، ينظر تفصيل ذلك في أخبار الدولة العباسية ، ص ١٠٧ .

(٦) نافع بن الأزرق من الدّول بن حنيفة ، تنسب إليه الأزارقة وهي من الخوارج ، ينظر المعارف ، ص ٦٢٢ .

(٧) عمير بن سلمى . مرّت ترجمته .

(٨) الاثنان الآخران هما السموأل ، والحارث بن ظالم . ينظر الديباج ، ص ٤٦ .

(٩) مرَّ ذكرها .

وهو كان اختطّها برمحه ، وأنزلها بني حنيفةَ ، ونفى عنها بقايا طسم وجديس [1] .

ومنهم قتادة بن مسلمة بن عبيد [2] ، وكان ربَّعَ أربعين مرباعاً في الجاهلية . مع أشباهٍ لهؤلاء من ذوي الأقدار ، والهممِ ، والأخطار .

ومنهم - مع هذا - داخلون عند كثير من الناسِ في جُمَلِ الخاملين ، [فالمجدُ] [3] لا يُبتنى إلاّ بالحمد ، والحمدُ لا يُعتقدَ إلاّ بالفَعَالَ ، والفَعَالُ لا يظهرُ إلاّ بالمقال .

ولم يكن في بني حنيفةَ شعراءُ فصارتْ مآثرُهُم عند خواصِّ الناسِ دون عامّتِهم ، والشرفُ والسؤددُ مع سوادِ الناس ، ودهمائهم .

وهؤلاء بنو عجل بن لجيم إخوتُهم [4] لا يُعدّون من الأشراف في الجاهلية إلاّ أبجر بن جابر ، أبا حجّار ، وعتيبة بن النّهاس [5] ، وفي الإسلام ادريس ، وابنه عيسى [6] النازلَين حَدَّ اصبهانَ ، وإليهما ينتمي شرفُهم ، غير أنَّ لهم شعراءَ

(١) ينظر الكامل ، ٢/ ٩١١ ، ومعجم البلدان ، ٢/ ٢٥٦ ، ومعجم ما استعجم ، ١/ ٨٣ ، وفيها تفصيل وافٍ عن حَجْر ، واستيطان عبيد بن ثعلبة وقومه فيها .

(٢) قتادة بن مسلمة من سادات بني الدُّيل بن حنيفة ، شريف شجاع ، وهو أحد جرّاري ربيعة ، أي يقود ألف فارس ، والمرباع الذي يتحدّث عنه ابن قتيبة هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه باعتباره سيّد القوم وقائدهم . ينظر العقد الفريد ، ٣/ ٣٤٢ و ٣٦١ ، وشرح النقائض ، ١/ ٢٦٦ و ٣١٨ .

(٣) كلمة يقتضيها السياق .

(٤) يريد اخوة بني حنيفة بن لُجَيم الذين مرَّ ذكرهم .

(٥) مرّ خبره مع الحطيئة وترجمته .

(٦) ادريس بن معقل العجلي وابنه عيسى من سادات أصبهان ووجهائها وملاّك الأراضي فيها ، حبس الحجاج ادريس بسبب اختلافهما في أمر الخراج ، وكانا من أجداد أبي دلف العجلي القائد المعروف ، نشأ أبو مسلم الخراساني في كنفهما . ينظر عنهما المعارف ، ص ٤٢٠ ، وأخبار الدولة العباسية ، ص ٢٥٤ ، وما بعدها .

منهم أبو النجَّم [١] ، والأغلبُ الراجز [٢] ، والعديل بن الفرخ [٣] ، وهو القائل :

وإنَّا لنقري في الشتاءِ قبورَنا

ونصبرُ تحت اللامعاتِ الخوافقِ

وإنَّما عنى رجلاً منهم أمرَ بالصَّدقة ، والإطعام عند قبره فشيَّدَ ذلك ، وأعلاه بالشعر ، وجَعَلَه مَفْخراً معدوداً ، وشَرفاً مجدوداً ، هذا مع ما بَسَطه اللّهُ به من ألسنة الشعراء في مديح ولدِ ادريس ، وتشييدِ مناقبِهم ، وتكبيرِ صغيرِهم كقولِ ابن جَبَلَة [٤] :

إنَّما الدنيا أبو دُلَفٍ

بينَ مغزاه ومحتضره

فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ

ولَّتِ الدنيا على أثرهِ [٥]

وكقولِ رجلٍ من الأزدِ فيه إذ يقول :

يُشبهه الرَّعدُ إذا الرَّعدُ رَجَفْ

كأنَّه البرق إذا البرقُ خَطَفْ

---

(١) أبو النجم : هو الفضل بن قدامة من عجل ، كان ينزل سواد الكوفة ، راجز معروف من رجَّاز الدولة الأموية ، مقدَّم عند جماعة من أهل العلم على العجاج . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٠٣ ، مع مصادر المحقق ، ومعجم الشعراء ، ص ٣١٠ ، وخزانة الأدب ، ١/ ٣٠١ .

(٢) الأغلب بن جُشم من سعد بن عجل بن لجيم ، راجز مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، هو أول مَنْ أطال الرجز ، وطوَّره . قُتل بنهاوند سنة ١٩ للهجرة . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٦١٣ مع مصادر المحقق ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٠١ ، وخزانة الأدب ، ٢/ ٢٣٩ .

(٣) العديل بن الفرخ العجلي ، من شعراء الدولة الأموية ، هجا الحجّاج فطلبه ففرَّ إلى قيصر ، وأعيد إلى الحجاج فعفا عنه . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٤١٣ ، مع مصادر المحقّق ، والاشتقاق ، ص ٣٤٥ ، وخزانة الأدب ، ٥/ ١٩٠ .

(٤) ابن جبلة : علي بن جَبَلة الملقَّب بالعكوَّك ، وهو القصير السمين ، ويقال إنَّ الأصمعي هو الذي لقبَّه بهذا اللقب ، شاعر من شعراء بغداد ، دخل على الرشيد ومدحه ، كان ذكياً حافظاً . توفي سنة ٢١٣ للهجرة . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٥) ديوانه ، ص ٦٨ .

كـأنّـه الـمـوتُ إذا الـمـوتُ أزَفْ

إلى الوغى تحملـه الخيلُ القُطُفْ[1]

إن سـارَ سـارَ الـمـجـدُ أو حـلَّ وَقَـفْ

انـظر بـعـيـنـيـكَ إلـى أسـنـى الـشـرَّفْ

وغـايـة الـمـجـدِ ومـنـتـهـاه الأنـفْ

هـل نـالـهـا بـقـدره أو بـكَـلَـفْ

خَلْقٌ من النَّاسِ سوى أبي دُلَفْ[2]

مع أشباهٍ لهذا من الشعراءِ كثيرةٍ ، فبنو عجلٍ عند جماهيرِ الناس فوق بني حنيفة[3]

وقد[4] رَفَعَ اللّهُ بالشعرِ أقواماً في الجاهلية والإسلام ، وأحظاهم بما سيَّر المادحون من مدائحهم في البلاد حتى شُهِروا بأطرارِ[5] الأرض ، وعُرِفوا بأقاليمِ العَجم ، ودُوِّنَتْ في الكتبِ آثارُهم ، ودُرِّسَتْ في حلَقِ[6] الذِّكرِ أخبارُهم ، وألحَقَ اللّهُ بأعقابهم وعشائرهم جميلَ أفعالهم ، فَمَنْ ازدرعَ[7] ذلك منهم ، وصَانَه بحسْنِ الأدب ، وكريمِ الأخلاق ، ونَيْلِ المروءة شيَّد ما أسَّسوا وثمَّر ما غرسوا ، وزيَّن بما أخَّر لنفسه ما أسْلَفوا ، ومَنْ لم يحط ذلك إبلاغاً به ، وإعلاءً [ ][8] مع السقوطِ مزيَّة تقديمِ فَضْلِ آبائه ، ومهله

---

(١) القُطُف : جمع قطوف ، وهو صفة لمشي الخيل التي تكون متقاربة الخطو في سرعة .

(٢) العقد الفريد ، ١/ ٣٠٧ - ٣٠٨ ، بلا نسبة .

(٣) ينظر الحيوان ، ١/ ٣٥٧ و ٤/ ٣٨٠ .

(٤) من هنا إلى قوله : « . . . ومنازلة الأبطال» ينقله صاحب الممتع باختلاف يسير ، ص ٣٢ ، ويقول : «قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة» ، ويعلّق المحقق بقوله : «ليس هذا القول لابن قتيبة في الشعر والشعراء ولا عيون الأخبار» ، وهذا بيّن ؛ لأنّه ينقله من كتاب العرب هذا .

(٥) أطرار : واحدها طُرّ ، وهي النواحي والأطراف .

(٦) حلَق : جمع حَلْقة .

(٧) ازدرع : أن يتخذ الإنسان زرعاً لنفسه ، وهنا أن يكون الإنسان عالياً في نفسه فيضيف هذا إلى ما ورثه عن آبائه .

(٨) كلمة غير مقروءة .

سبقهم ، لا يمتنعُ الناسُ لها من إكرامه ، ورفعِ مجلسه ، والرِّقة عليه ، والعَطْفِ بالمعروف إليه ، واغتفار بعضِ زلله .

ولهذا وأشباهه رَغبَ الأوّلون في الذِّكْر الجميل ، وبَذلوا فيه مُهَجَ النفوس ، وعقائلَ[1] المالِ ، ورَغبوا عن الخَفْضِ ، والدَّعَةِ ، والمهاد الوثير إلى نَصَبِ المسيرِ ، ومكابَدَةِ حَرِّ الهواجرِ ، وسُرَى الليلِ ، ومُقارعةِ الأقرانِ ، ومُنازلةِ الأبطالِ .

وقالتْ بنو تميم لسلامةَ بنِ جندل[2] : مَجِّدْنا بشعرك ، فقال : افعلوا حتى أقول[3] ؛ لأنَّ أزكى المقال ، وأنماه ، وأبقاه ، وأبلَغَه بصاحبه رتبةَ المجد ما صدَّقه الفَعَال . ونحو هذا مَن قول سلامةَ ، قولُ عمرو بن معديكَرب[4] :

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم

نطقتُ ، ولكنَّ الرماحَ أجرَّت[5]

يريد أنَّهم لم يستعملوا رماحَهم يومَ اللقاء فينطق بمدحهم ، ولكنَّهم جبنوا ، وقصَّروا فأجرَّوا لسانه كما يُجَرُّ لسانُ الفَصيلِ إذا أرادوا فصالَه عن أمِّه لئلاَّ يرضع .

وحكى اللهُ عزَّ وجلّ عن خليله عليه السلام ، قال : (واجعلْ لي لسانَ صدْقٍ في الآخرين)[6] ، وقال لنبيِّه صلّى اللهُ عليه : (وإنَّه لذكْرٌ لكَ ولقومك وسوفَ تُسئلون)[7] ، يريد أنَّ القرآنَ شرفٌ لكَ ، ولقريش إذ نَزل عليك ، وأنتَ منهم ،

---

(١) عقائل : جمع عقيلة ، وهنا نفائس الأموال وكرائمها .

(٢) سلامة بن جندل شاعر جاهلي قديم ، من فرسان تميم المعدودين ، كان يصف الخيل فيحسن ، وأخوه أحمر شاعر فارس هو الآخر . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٢٧٢ ، مع مصادر المحقّق ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٢٩ .

(٣) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ١٦٤ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٧٠ ، والممتع ، ص ٢٤ .

(٤) عمرو بن معد يكرب شاعر مخضرم ، فارس ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ثمّ ارتدّ ، وعاد بعدها إلى الإسلام ، وله مواقف مشهودة في الفتوحات الإسلامية ، اختلف في سنة وفاته ، ولعلَّ أصحّها أنّه توفي في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ، تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٥) ديوانه ، ص٧٣ ، وسيشرح ابن قتيبة البيتَ شرحاً وافياً .

(٦) الشعراء ، ٨٤ .

(٧) الزخرف ، ٤٤ .

وسوف تُسألون عن الشكرِ على ذلك .

فَممَّن رَفَع اللهُ بالشعر آلَ سنانَ من بني نُشْبَة بن غيظ بن مُرَّة بن عوف بن سعدَ بن ذبيان [1] ، وقد كان فيهم شرفٌ ، وسؤددٌ أظهر الله بها لهم ما أتاحَ لهم من جيِّدِ شعر زهير فيهم كقوله :

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبُهم
طابوا وطاب من الأولادِ ما ولدوا

لو كان يَقعدُ فوق الشمس من كرمٍ
قومٌ بأوّلِهم أو مجدِهم قعدوا

جِنٌّ إذا غضبوا ، إنسٌ إذا أمنوا
مرزَّءون بهاليلٌ إذا حُمِدوا

محسَّدون على ما كانَ من نعَمٍ
لا ينزعُ اللهُ عنهم مالَهُ حُسِدوا [2]

وكقوله في هَرِم بن سنان :

إنَّ البخيلَ ملومٌ حيث كان ولـ
ـكنَّ الجوادَ على علاتّه هرمُ

هو الجوادُ الذي يعطيك نائلهُ
عفواً ويُظلم أحياناً فينظلمُ [3]

أراد إن سُئل ما لا يجد تحمّل ذلك ، والظلمُ وَضْعُ الشيء غير موضعه ، ومَنْ سأل ما لا يُنال ، ولا تبلُغُه الجدةَ فقد ظَلَم في السؤال ، وقد غَلَب زهير على

(١) ينظر الاشتقاق ، ص ٢٨٨ .

(٢) ديوانه ، ص ٢٨٢ ، باختلاف يسير .

(٣) ديوانه ، ص ١٥٢ ، وفيه : [فيظَّلمُ] بدل [فينظلم] ، وفي الشرح : «قال : وسمعتُ أعرابياً ينشد فينظلم بالنون» .

هذا المعنى لم ينازعْه إيّاه إلاّ كثيرٌ فإنَّه قال :

رأيتُ ابنَ ليلى يعتري صُلْبَ مالهِ

مسائلُ شتّى من غنيٍّ ومُصْرِمِ

مسائلُ إن توجد لديكَ تجد بها

يداكَ وإن يُظلمْ بها يتظلَّمِ [1]

وكقوله[2] :

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمِ

خيرِ الكهولِ وسيّدِ الحضرِ

تاللّهِ قد علمتْ سراة بني

ذبيانَ عامَ الحبسِ والأصرِ

أن نعم معتركُ الجياعِ إذا

خُبَّ القتارُ وسابيء الخمرِ

ولِنعْمَ حامي مَنْ كفيتَ ومَنْ

تحملْ له يُحْملْ على الظَّهرِ

حامي الحقيقةِ في محافظة الـ

ـجُلّى أمينُ مغيّبِ الصَّدرِ

ومرهّقُ النيرانِ يُحمد في الـ

لأواءِ غيرِ ملعَّنِ القِدْرِ

---

(١) ديوانه ، ص ٣٠١ ، باختلاف يسير .

(٢) أي زهير بن أبي سلمى .

وإذا خَـلَـوْتَ بـه خَـلَـوْتَ إلـى

صـافـي الـخـلـيـقـة طـيِّـب الـخُـبْـرِ

مـتـصـرِّفٍ لـلـحـمـدِ مـعـتـرف

لـلـنـائـبـات يَـراحُ لـلـذِّكْـرِ [1]

وقد يُدْخِلُ بعضُ الرواةِ فيها بيتاً للمسيِّب بن عَلَس [2] :

لـو كـنـتَ مـن شـيء سـوى بَـشَـرٍ

كـنـتَ الـمـنـوِّرَ لـيـلـةَ الـبـدرِ [3]

وإذا كان الشعرُ جيِّدَ النَّحْت ، متخيَّرَ اللفظ حَسَنَ الرويّ ، لطيفَ المعنى تَجاذَبه الناسُ ، وقد جَمَعَ هذا الشعر هذه الفضائلَ كلَّها .

وكان رجلٌ من الرواة دَخَلَ على الرشيد فاستنشدهُ هذه القصيدة فاستحسنها ، وقال : ذهبَ ، واللّه ، مَنْ يُحْسِنُ أن يقولَ مثلَ هذا الشعر ، فقال الرجل : وذَهَبَ ، واللّه ، مَنْ يَستحقُّ أن يَقالَ فيه مثلُه ، فأمرَ بإخراجه ، واستجهله الناس [4] .

وممَّنْ رُفِع بالشعرِ ذو الرُّقَيْبَةَ [5] ، قال المسيَّبُ بن عَلَس :

---

(١) ديوانه ، ص ٨٨ ، باختلاف يسير .

(٢) المسيّب بن عَلَس ، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام ، والمسيب لقب ، واسمه زهير بن علس ، وإنّما لُقِّب المسيّب ببيت قاله ، وهو من شعراء بكر بن وائل المعدودين ، وهو خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته ، وأحد الشعراء المقلّين الذين فُضِّلوا في الجاهلية ، ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ١٧٤ ، وما بعدها مع مصادر المحقق ، وخزانة الأدب ، ٣/ ٢٤٠ ، وشرح شواهد المغني ، ١/ ١١٠ .

(٣) البيت في ديوان زهير ، ص ٩٥ ، وهو منسوب إلى المسيّب في الشعراء والشعراء ، ١/ ١٧٧ ، والمصون في الأدب ، ص ١٩٩ ، والحماسة البصرية ، ١/ ٤٤٨ ، وينظر هامش الحماسة عن اضطراب النسبة .

(٤) في البيان والتبيين ، ٢/ ٢٥٨ ، أنَّ الحادثة وقعت أمام المهدي ، وجعلها الجاحظ من خطأ العلماء .

(٥) ذو الرُّقَيبة : مالك بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فارس ، شجاع . استنقذ حاجب بن زرارة من الزهدمين : زهدم وقيس العبسيَّين . عدّه الجاحظ من البرص الأشراف ، والرؤوساء المتوّجين والوقص ، وهو القصير العنق . ينظر شرح النقائض ، ٢/ ٥٥٠ ، والبرصان والعرجان ص ٨٦ و ٤٢٨ ، والعقد الفريد ، ٥/ ١٤٣ ، والاشتقاق ، ص ٢٨٠ ، ومعجم الشعراء ، ص ٣٦٠ ، ولسان العرب ، ١٢/ ٢٧٩ .

ولقد بلوتُ الفاعلين وفعْلَهم
فلذي الرُّقَيَّبةِ مالكٍ فَضْلُ
كفَّاه مُخْلَفَةٌ ومتلفةٌ
وعطاؤه متخرِّقٌ جَزْلُ (1)

ومنه أَخْلَف وأتلف .

وممَّن رُفِع بالشعرِ بنو بدرٍ ، قال فيهم حاتم طيىء :

إن كنتِ كارهةً معيشتنا
هاتا فحلّي في بني بدرِ
الضاربين لدى أعِنَّتِهم
والطاعنين وخيلُهم تجري
جاورتُهم زمنَ الفساد فنعـ
ـم الحيُّ في اللأواءِ والعُسْرِ
صُبْرٍ على حَلَبِ اللقا معا
جيف الفضال أعفَّة الفَقْرِ (2)
وسُقيت بالماء النمير ولم
أترك [ألاطس] (3) حمأة الجَفْرِ
ودُعيتُ في أولى النديّ ولم
يُنظر إليَّ بأعينٍ خُزْرِ (4)

(1) البيتان منسوبان إلى المسيّب في الشعر والشعراء ، 1/ 174 ، وجمهرة أشعار العرب ، 2/ 559 ، والبرصان والعرجان ، ص86 ، وهما بلا نسبة في الكامل ، 2/ 598 .

(2) أخلَّ الديوان بهذا البيت .

(3) في المخطوط : [ألاطم] ، وما أثبتناه من الديوان ، والألاطس أمارس رأعالج ، وحمأة الجفر : الطين الأسود في البئر .

(4) ديوانه ، ص 204 – 205 باختلاف في الترتيب وبعض الألفاظ .

وكان بنو بدر مُفْحَمين [1] لا يقولون من الشعر شيئاً ، [2] فأعربَ عن فضلهم الشاكرون ، وأغناهم عن تعداد محاسنهم المادحون .

ومن عجيب الشعر أنَّ مديحَ النفس ، والثناءَ عليها مهجرٌ للقائل ، زار [3] عليه - وإن قالَ حقّاً - إلاّ في الشعر ، وإنَّما جاز فيه ؛ لأنَّهم أرادوا تخليدَ أخبارهم ، وتعدادَ أيامهم فلم يصلوا إلى ذلك إلاّ بالتدوين ، ولا ديوانَ لهم إلاّ بالشعر ، إذ كانوا أميِّين . وكلُّ مَنْ خبَّرك عن نفسه بأمر تحتاجُ إلى علمه ، ولولا إخبارُه به ما عرفتَه ، فليس يَقْبحُ ذكرُه وإن اتَّصل بمدحه ، ولهذه العلّة مَدَحَت الأنبياءُ أنفسَها مع تواضعها لله ، وأخْذها بأدب الله ، فقال يوسفَ صلّى الله عليه : (اجعلني على خزائنَ الأرضَ إنّي حفيظٌ عليم) [4] ، وقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه : أنا سيّدُ ولَد آدمَ ولا فخر [5] ، وكذلك قولُ مَنْ يقول : صمتُ ، وصلّيت ، وتصدَّقت ، وزكّيت إذا أراد أن يتأسَّ به المسلمون ، ويقتفو أثرَه فيه الآخرون .

وممَّن رُفع بالشعر بنو أنف الناقة [6] ، وعامر ، وعلقمة ابنا هوذة بن شماس ، وبغيض بن عامر [7] الذي تحوّل إليه الحطيئة عن جوار الزبرقان بن بدر ، وقال :

---

(1) المُفْحم : الذي لا يقول الشعر .

(2) نزل حاتم على عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وزمن الفساد الذي ورد في الشعر ، حربٌ هاجها حناش بن أبي كعب الغوثي بين جديلة وثعل ، طالت فاعتزلها حاتم . ينظر ديوان حاتم ، ص ٢٠٤ ، والأخبار الموفقيات ، ص ٤٦٠ ، والأمالي ١/ ١٦٩ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٧٨٩ .

(3) في المخطوط : [زاري] ، وقوله مهجر وزار أي إنّ مادح نفسه ينقصها من حيث لا يحتسب .

(4) يوسف ، ٥٥ .

(5) ينظر تأويل مختلف الحديث ، ص ١١٦ ، ويقول ابن قتيبة : «وإنّما أراد أنّه سيد ولد آدم يوم القيامة ؛ لأنّه الشافعُ يومئذ ، والشهيد ، وله لواء الحمد والحوض» ، وطبقات ابن سعد ، ١/ ٢٠ .

(6) ينظر الاشتقاق ، ص ٢٥٥ .

(7) ينظر الاشتقاق ، ص ٢٥٦ ، وفيه أنّ الثلاثة كانوا أشرافاً في قومهم ، ووفد بغيض على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فسمّاه حبيباً .

مـا كـان ذنـبُ بـغـيـضٍ أن رأى رجـلاً
ذا حـاجـةٍ عـاش فـي مـسـتـوعـرٍ شـاسِ

مَـلّـوا قِـراه وهـرّتـه كـلابُـهـمُ
وجـرّحـوه بـأنـيـاب وأضـراسِ [١]

وكان اسمُ أنف الناقة حنظلةَ بنَ قريع بن كعب [٢] ، وإنّما سُمّيَ أنفَ الناقة لأنّه أكلَ رأسَ بعَير ، ومَقدَّمُ كلِّ شيء أنفهُ [٣] ، وكان ولدُه يكرهون أن يُعزَوا إلى هذا الاسم ، ويرونَه نبزاً حتى قال الحطيئة :

قـومٌ هـم الـرأسُ والأذنـابُ غـيـرهُـمُ
ومـن يـسـوّي بـأنـف الـنـاقـة الـذنـبا [٤]

فكانوا بعد ذلك يكرهون أن يُنسبوا إلاّ إليه ، وزاد اللّهُ في شهرتهم ، وذكرهم ، وصرْفه إيّاه إلى الوجه الذي صرَفه إليه [٥] .

وكما رَفَع اللّهُ بالمديحِ كذلك وضع بالهجاء أقواماً في الجاهلية ، والإسلام فتحيَّف [٦] محاسنَهم ، وأدخلَ النقصَ على فَضائلهم فصاروا بوَسْمِ الهجاء معروفين عند الجميع ، وبتلك المناقب مقروفين [٧] عند الخواص . فجمهورُ الناسِ إنّما يعلمون من أنسابِ بني نُمَير قَولَ جرير :

---

(١) ديوانه ، ص ٤٨ - ٤٩ . ومستوعر : مكان وعر ، وشاس : المكان المرتفع الغليظ .

(٢) في ديوان الحطيئة ، ص ١٥ : هو جعفر بن قُريع بن عوف بن كعب ، ويورد قصة مختلفة عمّا ورد في المتن فلتنظر هناك .

(٣) ينظر لسان العرب ، ٩/ ١٢ - ١٣ .

(٤) ديوانه ، ص ١٥ ، وفيه : [الأنف] بدل [الرأس] ولعلّها أليق بالبيت والخبر .

(٥) ينظر البيان والتبيين ، ٤/ ٣٨ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٤٧ و ٥/ ٣٢٨ ، وثمار القلوب ، ص ٣٥٤ ، وزهر الآداب ، ١/ ١٩ ، والعمدة ، ١/ ٥٠ .

(٦) تحيّف : أخذ من الشيء ونقصّه .

(٧) مقروفين : متهّمين ، مَزْميّن .

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُمَيرٍ

فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا (١)

وقد صار هذا البيتُ سُبَّةَ كلِّ حادبٍ (٢) ، ومتعلَّقٍ على عائبٍ ، ومثلاً مضروباً ، حتّى قال قائلٌ (٣) لآخرين :

وَسَوْفَ يَزيدكم ضِعةً هِجائي

كما وضع الهجاءُ بني نُميرِ (٤)

وقال آخر (٥) :

وتوعدني لتقتلني نميرٌ

متى قتلتْ نُميرٌ مَنْ هَجَاها (٦)

ومَرَّتْ أعرابيةٌ بجماعة من بني نُمير فرَمَوها بأبصارهم فقالت : يا بني نُمير ، واللّه ما أخذتم بواحدة ، لا بقول الله : (قُلْ للمؤمنين يَغضّوا من أبصارِهم) (٧) ، ولا بقول الشّاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُمَيرٍ

فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فاستحيا القوم وأطرقوا (٨) .

---

(١) ديوانه ، ص ٦٣ ، وينظر الممتع ، ص ٢٤٣ .

(٢) الحادب : المتعلّق بالشيء الملازم له .

(٣) هو محمد بن منذر مولى بني صبير ، يقول هذا البيت في هجاء ثقيف . ينظر زهر الآداب ، ١/ ٢٢ ، ونُسب البيت في العقد الفريد ، ٥/ ٣٢٩ ، إلى أبي تمام ، وليس في ديوانه .

(٤) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين ، ٤/ ٣٥ ، والحيوان ، ١/ ٣٦٤ .

(٥) هو أبو الرديني العكلي كما في الحيوان ، ١/ ٣٦٤ ، أو برد بن حابس كما في الحماسة البصرية ، ٢/ ٢٥١ .

(٦) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين ، ٤/ ٣٥ ، والأغاني ، ٢٠/ ١٨٣ .

(٧) النور ، ٣٠ .

(٨) ينظر البيان والتبيين ، ٤/ ٣٦ ، ويعلّق الجاحظ بقوله : «وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً ، ولقد أحسن مَنْ ولّده» ، وعيون الأخبار ، ٤/ ٨٥ ، والعقد الفريد ، ٤/ ٤١ ، والعمدة ، ١/ ٥١ ، وزهر الآداب ، ١/ ٢١ ، والأجوبة المسكتة ، ص ١١٩ ، وديوان المعاني ، ١/ ١٧١ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٦٠ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٢٧٢ .

وساير رَجَلٌ من بني نُمير [1] عمرَ بنَ هبيرة الفزاري على بغلة فقال له عمر : غضّ من بغلتك ، فقال النميري : كلاّ ، إنّها مكتوبة . أراد ابن هبيرة قولَ جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ

وأراد النميري قولَ الآخر [2] :

لا تأمَنَنَّ فزارياً خَلَوْتَ بِهِ

على قلوصِكَ واكتبها بأسيارِ [3]

ولا يعلمون [4] أنّ نميراً جمرةٌ من جمرات العرب [5] ، وأنَّ منهم معاويةَ أبا الراعي ، وكان يقال له في الجاهلية الرئيسُ لسؤدده [6] ، وأنّ منهم خُليفَ بنَ عبد الله بنَ الحارث الذي فرق باهلةَ وغنيّاً [7] ، وأنَّ منهم في الإسلام همام بن قبيصة الذي كان يزيد بن معاوية وجّهه إلى ابن الزبير ، وأنّ منهم عبد الرحمن بن أبان الخطيب ، وكان على ثغر فارس ، وفيه يقول الشاعر :

---

(١) ينظر زهر الآداب ، ١/ ٢١ ، والممتع ، ص ٢٩٠ ، والفاضل ، ص ٥٠ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ١٦١ ، والنميري هو شريك بن عبد الله ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٢٠٢ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٤٦٨ ، وفيهما سنان بن مكمل النميري ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٦١ .

(٢) هو ابن دارة ، سالم بن مسافع وقد مرّت ترجمته .

(٣) البيت منسوب إلى سالم في : الشعر والشعراء ، ١/ ٤٠١ ، وزهر الآداب ، ١/ ٢١ ، والكامل ، ٢/ ٩٨٨ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ١٩٧ ، والممتع ، ص ٢٨٦ ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٢٠٣ و ٢١٤ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٨٨ ، وخزانة الأدب ، ٣/ ٢٦٦ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٦٢ ، والإصابة ، ٥/ ٤ ، والحماسة البصرية ، ٢/ ٢٩٧ ، وينظر فيها مزيد من التخريج . وكتب الدابة : خزم حياءَها بحلقة من حديد لئلاّ يُنْزى عليها ، ينظر لسان العرب ، ١/ ٧٠١ ، وفيه البيت ، ويساق هذا البيت تعريضاً ببني فزارة ؛ لأنّهم كانوا يُرْمَون بغشيان الإبل .

(٤) يستأنف المؤلف كلامه هنا ، ذاك الذي بدأه بقوله : «فجمهور الناس إنّما يعلمون من أنساب نمير . . .» ، وانقطع بسبب حشده تلك الشواهد السابقة .

(٥) الجمرات هي القبائل التي تجمعّت في أنفسها ، ولم يُدخلوا معهم غيرهم ، وهي ثلاث : بنوضبّة ، وبنو حارث ، وبنو نمير ، وأطفئت الأولى والثانية لأنّها تحالفت مع غيرها ، وبقيت بنو نمير جمرةً وحدها . ينظر الديباج ، ص ٧٧ ، والحيوان ، ٥/ ١٢٣ ، والكامل ، ٢/ ٧٧٨ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٦٧ ، وثمار القلوب ، ص ١٦٠ .

(٦) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٤١٥ ، وخزانة الأدب ، ٣/ ١٥٠ .

(٧) ينظر الاشتقاق ، ص ٢٦٩ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ٢٥٥ .

الـنـاسُ جَـنْـبٌ والأمـيـرُ جَـنْـبُ

هـمـا الـجـنـاحـان وأنـتَ الـقـلـبُ[1]

وممَّن وَضَعه الهجاءُ بنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[2] . يقولُ فيهم النجاشي[3] :

إذا اللـهُ عـادى أهـلَ لـؤمٍ وذلَّـةٍ

فـعـادَ بـنـي الـعـجلان رَهْـطَ ابـنِ مُـقْبـلِ

قُـبَـيِّـلـةٌ لا يـغـدرون بـذمَّـةٍ

ولا يـظـلـمـون الـنـاسَ حـبَّـةَ خَـرْدَلِ

ولا يـردون الـمـاءَ إلاّ عـشـيَّـةً

إذا صَـدَرَ الـوُرّادُ عـن كـلِّ مَـنْـهـلِ

تـعـافُ الـكـلابُ الـضـارياتُ لـحـومَهـم

ويـأكـلـن مـن كـعـبِ بـن عـوفٍ ونـهـشـلِ

ومـا سُـمِّـيَ الـعـجـلانَ إلاّ لـقـيـلـه

خُذِ الـقـعـب واحـلـب أيّها الـعـبـدُ واعـجـلِ

وقد كانَ هذا الشعرُ بَلَغَ منهم كلَّ مبلغ ؛ لعلمهم بسوء جنايته عليهم وعلى الأعقاب بَعْدَهم حتى استعدَوا عمرَ بنَ الخطابَ على النجاشي ، فأدخلَ بينه ، وبينَهم حسَّانَ بنَ ثابت ، وتوَّعَدَه بقَطْعِ لسانه إن عاد ، ولهذا حديثٌ ستَقفُ عليه في كتابي هذا المؤلَّف في أخبارِ الشعراءِ[4] إن شاء الله .

(١) الشطر الأول وحده بلا نسبة في لسان العرب ، ١/ ٢٧٨ ، وفيه : «كأنّه عدله بجميع الناس» .

(٢) بنو العجلان : قبيلة ضخمة . ينظر جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٨ ، والاشتقاق ، ص ٢٩٧ .

(٣) النجاشي : مرّت ترجمته .

(٤) ينظر الخبر والشعر في الشعر والشعراء ، ١/ ٣٣٠ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٣١٨ ، وديوان المعاني ، ١/ ١٧٦ ، والعمدة ، ١/ ٥٢ ، وزهر الآداب ، ١/ ١٩ ، ومجالس ثعلب ، ١/ ٤٣١ ، والممتع ، ص ٣٠٩ .

ولم يكن في بني العجلان شرفٌ مذكور ، وإنَّما الشرفُ في اخوتهم قشيم بن كعب ، منهم مالك ذو الرَّقَيبَةَ[1] الذي أَسَرَ حاجبَ بنَ زرارة يوم جَبَلة[2] ففدى نفسَه منه بألف بعير[3] . ومنهم هبيرة بن عامر الذي أخذ المتجرّدة امرأةَ النعمان أسْراً فنكَحها[4] .

وممن وضَعَه الهجاءُ غنيٌّ وباهلة ، يقول زيد الخيل[5] :

فَخَيْبَةُ مَنْ يخيبُ على غنيٍّ
وباهلةَ بن أَعْصُرَ والكلابِ

وأدّى الغُنْمَ من أدّى قشيراً
ومَنْ كانت له أسرى كلابِ[6]

وفي هذا معنيان ، أحدُهما يسقط من الذُّرى فيلحق بالحضيض ، وهو أنَّه أراد مَنْ غزا فخابَ وأخفق كرَّ على غنيٍّ وباهلة فغنم ؛ لأنَّهم لا يمتنعون ممَّن أرادهم ، وجَعَلهم بمنزلة الركاب ، وهي الإبل ؛ لأنَّه لا امتناعَ بها ممَّن أرادها . والقولُ الآخر أنّه مَنْ صارَ في يَدِه أسيرٌ من باهلةَ وغنيّ فقد خابَ لقلّةِ

---

(١) مرَّت ترجمته .

(٢) يوم جبلة من أيام العرب المشهورة في الجاهلية كان قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة أو أربعين سنة ، وفيه التقت تميم وأحلافها ببني عامر في شعب جبلة الذي تحصنَّتْ فيه بنو عامر ، وحلَّت الهزيمة بتميم وقُتل لقيط بن زرارة وأسر حاجب . ينظر شرح النقائض ٢/ ٤٠٤ ، والمفصّل ، ٥/ ٣٧٢ مع مصادره .

(٣) صار هذا الفداء مثلاً من أمثالهم فقيل : «أغلى فداءً من حاجب بن زرارة» ، وذكر الزمخشري أنّه افتدي بألفي ناقة ، وألف أسير ، ولم يُسمع بملك أو سوقة افتدي بفدائه . ينظر المستقصى ، ١/ ٢٦٣ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٤٣٠ ، وتمثال الأمثال ، ١/ ٢٣٩ ، والعمدة ، ٢/ ٢٠٤ ، والكامل ، ٢/ ٥٩٧ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٨٨ ، والديباج ، ص ١١٣ ، وشرح النقائض ، ٢/ ٥٥٠ .

(٤) ينظر شرح النقائض ، ٢/ ٥٧١ ، ففيه تفصيل وافٍ .

(٥) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، وسميّ بزيد الخيل لكثرة خيله ، وطول طراده بها ، وقيادته لها . وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : «ما وصف لي رجل قطّ فرأيته إلاّ كان دون ما وصف به إلاّ أنتَ فإنَّك فوق ما قيل فيك» ، وهو من المؤلفة قلوبهم . اختُلف في سنة وفاته . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٦) ديوانه ، ص ٤٠ - ٤١ ، وفيه [يغير] بدل [يخيب] ، ولعلها أكثر ملاءمة مع السياق . ويصف ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ١/ ٢٨٨ ، هذين البيتين بأنّهما من خبيث الهجاء .

فداثه[1] ، وإنَّما الغنائمُ مَنْ أسرَ من قشير ومن كلاب .

وذكر أبو عبيدة أنَّ رجلاً[2] قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أتتكافأ دماؤنا يا رسولَ الله؟ يعني في القصاص . فقال : نعم ، فأعادَ ذلك مرَّةً ، أو اثنتين ، فقال : نعم ، ولو قتلتَ رجلاً من باهلةَ لَقَتَلْتُكَ[3] . وهذا قاصمةُ الظَّهر ، وعارُ الدَّهر لو كان حقّاً . وما أشكُّ في [ ][4] أنَّه موضوع ؛ لأنَّه صلّى اللهُ عليه أخوفُ لله ، وأعلمُ به ، وأصْوَنُ لِلسانه من أن يُرسِلَ كلمةً تبقى عاراً ، وشيناً على مسلمٍ فَضْلاً عن قبيلة قد جعلَ اللّهُ فيها خيراً جمّاً ، وشرفاً وعلماً[5] بمثل أبي أمامةَ الباهلي[6] صاحبِ رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، والمستورد بن قدامة[7] الشاهد على نَسَبِ زيادٍ ، وحبّان بن زيد[8] الذي قال له أبو موسى الأشعري : إنَّ باهلةَ كانت كُراعاً فجعلتها ذراعاً[9] ، فقال له : ألا أخبرُك بألأمِ من باهلةَ ، عَكٌّ وأخلاطُها من الأشعريّين ، فقال له أبو موسى : يا سابَّ أميرِه .

---

(١) يقول الجاحظ في الحيوان : ١/ ٣٥٩ : « . . . والمبتلى ، والملقّى ، والمحروم ، والمظلوم مثل باهلة ، وغنيّ ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنّهم آلة لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلّ ساعٍ ، ويعثر بها كلّ ماشٍ » ، وينظر الكامل ، ٢/ ٨٩٧ – ٨٩٨ ، ونور القبس ، ص ١٢٥ ، وما بعدها .

(٢) في نور القبس ، ص ١٢٥ أنَّ هذا الرجل هو الأشعث بن قيس الكندي ، وهو صحابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من كندة . ينظر أسد الغابة ، ١/ ٩٨ ، وسير أعلام النبلاء ، ٢/ ٣٩

(٣) ينظر نور القبس ، ص ١٢٥ ، ففيه هذا الخبر .

(٤) كلمة غير مقروءة .

(٥) هذا نهج يشير إلى تثبّت قويّ ، وعلم واسع ، وخلق عال ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو مَنْ هو – ليرسل الكلام في حقّ إنسان فما بالك بقبيلة ، وقد أحسن ابنُ قتيبة غاية الإحسان في ردّ هذا الخبر والحديث ردّاً عنيفاً .

(٦) أبو أمامة الباهلي : صُدَيّ بن عجلان بن الحارث بن عَصَر الباهلي ، مشهور بكنيته ، صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة رضي الله عنهم وغيرهم ، وروى عنه كثير . مات سنة ست وثمانين ، وكان يسكن حمص ، وهو آخر مَنْ بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام ، تنظر الإصابة ، ٥/ ١٣٣ ، رقم [٤٠٥٤] ، والاستيعاب ، ٥/ ١٦٩ رقم [١٢٣٧] ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٥٢ .

(٧) أغفل الطبري ، وابن الأثير ذكر أسماء الشهود ، وأوردهم المسعودي ، ٣/ ٦ ، وهم : زياد بن أسماء الحرمازي ، ومالك بن ربيعة السلولي ، والمنذر بن الزبير بن العوام ، وأضيف إليهم أبو مريم السلولي .

(٨) حبّان بن زيد الشرعبي : تابعي ثقة ، نسب إلى شرعب وهو بطن من لخم ، نزل بأرض الروم ، ينظر الإصابة ، ٤/ ٥٥ ، رقم [٣٦٨] ، وتهذيب التهذيب ، ٢/ ١٧١ .

(٩) صار هذا القول من أمثالهم ، ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ٣ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٤٠ و ٣٤٧ ، والأمثال ، ص ١٢٠ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ١٠٧ و ٢/ ١٤١ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٩٦ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٤٦ .

وحاتم بن النعمان [١] سيّد أعصر ، وهو الذي افتتح هراة [٢] ، وابنه عبد العزيز [٣] من [ ] [٤] باهلة ، وكانَ على حرب قيس أيامَ قاتلوا بني تغلب . والمنتشر بن وهب [٥] أحد رجليّ العرب ، وقد ذكرنا قصّتَه [٦] ، وفيه يقول أعشى باهلة [٧] :

أمّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها
فاذهب فلا يُبْعِدَنْك اللّه منتشِرُ

لا يأمن الناسُ مُمساه ومُصْبَحَهَ
من كلِّ أوبٍ وإن لم يَغْزُ يُنْتظَرُ

لا يَغْمز الساقَ من أيْنٍ ولا وَصَبِ
ولا يزالُ أمامَ القومِ يَقْتَفِرِ

لا يتأرّى لما في القِدْرِ يرقُبُه
ولا يعضُّ على شرسوفِه الصَّفَرُ

تكفيه حُزَّةُ فلذٍ إن ألمَّ بها
من الشواء ، ويُروى شُربَه الغُمَرُ [٨]

---

(١) حاتم بن النعمان سيد كبير القدر ، دانت له الجزيرة كلّها . ينظر جمهرة النسب ، ٢/ ١٦٩ .

(٢) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، كثيرة المياه والخيرات ، خربها التتر عندما استباحوها سنة ٦١٨ للهجرة . ينظر معجم البلدان ، ٥/ ٤٥٦ .

(٣) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان كان سيّداً هو الآخر مثل أبيه . ينظر جمهرة النسب ، ٢/ ١٦٩ .

(٤) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة .

(٥) مرّت ترجمته .

(٦) ينظر ما سبق .

(٧) مرّت ترجمته .

(٨) الأصمعيات ، ص ٨٨ ، باختلاف يسير ، وينظر تخريجها هناك . ويقتفر : يتبع الأثر ، لا يتأرّى : لا يتحبّس ، والشرسوف : رأس الضلع ممّا يلي البطن ، والصَّفَر : دابة يزعمون أنّها تعضّ الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان . وينظر أيضاً جمهرة أشعار العرب ، ٢/ ٧١٤ ، وما بعدها ففيها تخريج أيضاً .

ومنهم مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي [١]، وابنه قتيبة بن مسلم [٢] صاحب خراسان، وابنه سلم بن قتيبة [٣]، وإليهم ينتهي شرفُ باهلة، وكان مسلم بن عمرو أخصَّ الناسِ بيزيد بن معاوية، ويكنى أبا صالح، وفيه يقول الشاعر:

إذا ما قريشٌ خلا ملكُها
فإنَّ الخلافةَ في باهلة

لربِّ الحرَوْنِ أبي صالحٍ
وما تلك بالسُّنَّةِ العادلة [٤]

الحرون فرسُه [٥].

ولو لم يكن لباهلة إلاّ أنَّ عبدَ الملك بن حميد [٦] وزيرَ أبي جعفر المنصورِ، وصاحب ديوانه، وجبلة بن عبد الرحمن والي أصبهان [٧] وكرمان [٨] مولياهم لكفى.

---

(١) مسلم بن عمرو بن حُصَين بن أسيد بن زيد بن قضاعي، يكنى بأبي صالح، كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ينظر المعارف، ص ٤٠٦، والاشتقاق، ص ٢٧٣.

(٢) قتيبة بن مسلم الباهلي قائد من كبار قادة الأمويين، فتح الفتوح، وأبلى البلاء الكبير فيها، كان شجاعاً، جواداً، أديباً، فطناً، حفظت له المصادر أقوالاً تدلّ على نفاذ بصيرته، وسعة خبرته، أقام والياً على خراسان ثلاث عشرة سنة. ينظر المعارف، ص ٤٠٧، ومعجم الشعراء، ص ٣٣١، وسرح العيون، ص ١٨٦.

(٣) سلم بن قتيبة: كان سيّدَ قومه، ولي البصرة مرتين، كنيته أبو قتيبة، مات بالريّ. ينظر المعارف، ص ٤٠٧.

(٤) البيتان بلا نسبة في المعارف، ص ٤٠٦، والممتع، ص ٢٦٧، وثمار القلوب، ص ١١٩، الأول وحده، ولسان العرب، ١٣/ ١١٠.

(٥) من صفات الحرون هذا أنّه إذا سبق الخيل في بعض الحلبة حرن حتى تلحقه ثمَّ يجري فيسبقها فسمّي الحرون. ينظر أنساب الخيل، ص ١١٨، وحلية الفرسان، ص ١٦٥، والنوادر، ص ١٨٤، والممتع، ص ٢٦٧، ولسان العرب، ١٣/ ١١٠.

(٦) عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي، من أهل حرّان، كاتب متقدّم، تقلّد كتابة المنصور ودواوينه، كانت له عنده منزلة خاصة ومكانة. تنظر أخباره في كتاب الوزراء والكتّاب، ص ٩٦، وما بعدها.

(٧) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي من نواحي الجبل. لها تاريخ معرق في القدم، كثيرة الخيرات، وصفها الحجاج بقوله: «حجرها الكحل، وذبابها النحل، وترابها الزعفران». ينظر معجم البلدان، ١/ ٢٤٤، ومعجم ما استعجم، ١/ ١٦٣.

(٨) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، كثيرة النخل والزرع. ينظر معجم البلدان، ٤/ ٥١٥، ومعجم ما استعجم، ٤/ ١١٢٥.

وممَّن شُهِّرَ بالهجاء، الحبطاتُ من بني تميم، وهم يُنسبون إلى أبيهم الحارث بن عمرو بن تَميم، وكان يقال له: الحَبِط؛ لأنَّ بطنَه ورم من شيء أكلهَ[1]، والحَبَطُ انتفاخ البطن[2]. قال زياد الأعجم[3]:

وجدتُ الحُمْرَ من شرِّ المطايا

كما الحَبَطاتُ شرُّ بني تميمِ[4]

وكيف تكونُ شرَّ بني تميم ومنهم أبو عتاب حسكة بن عتاب[5]، ومنهم أبو جهضم عباد بن حصين فارس الناس[6]، وابنه المسور[7] سيد بني تميم، وفيه يقول الراجز:

أنتَ لها يا مسور بن عبّاد

إذا انتضين من جفونِ الأغماد[8]

وقيل لعبّاد: في أيِّ عدَّة تحبُّ أن تلقى عدَّوك؟ قال: في أجلٍ مستأخر[9].

وليس يُبتلى الناسُ من الهجاء إلاّ بما خَفَّ على ألسُن العوام، وأسْرَعَ إلى أفهامها، قال سعيد بن مسلم: لمّا تنافر أبو نخيلة[10]، والعجّاج[11] في

(١) في الاشتقاق، ص ٢٠٢: «... وإنَّما لُقِّب بذلك، أي الحبط؛ لأنَّه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه، أي ورم بطنه». وينظر العقد الفريد، ٣/ ٣٤٥، ولسان العرب، ٧/ ٢٧٢.

(٢) ينظر لسان العرب، ٧/ ٢٧٠.

(٣) زياد الأعجم: هو زياد بن سلمى، أو زياد بن جابر بن عمرو بن عامر، وقيل غير هذا، والأعجم لقب بسبب عُجمة أو لكنة في لسانه، من شعراء الدولة الأموية، توفي بعد سنة ١٢٥ للهجرة، تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها.

(٤) شعره، ص ١٧٠، باختلاف يسير، وينظر البيان والتبيين، ٤/ ٣٧، والممتع، ص ٢٤٩.

(٥) حسكة بن عتّاب: أحد فرسان بني تميم بخراسان في الإسلام، له ذكر وصيت. ينظر الاشتقاق، ص ٥٦٤.

(٦) مرّت ترجمته.

(٧) في المعارف، ص ٤١٤، أنَّ المسور هو ابن ابن عباد فهو المسور بن عمر بن عباد، كان سيِّد بني تميم في زمانه.

(٨) الرجز بلا نسبة في المعارف، ص ٤١٤.

(٩) ينظر عيون الأخبار، ١/ ١٢٨، والعقد الفريد، ١/ ١٠٤.

(١٠) أبو نخيلة: قيل هذا هو اسمه، وقيل: اسمه يعمر. راجز معروف اتصل بمسلمة بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك. أدرك دولة بني العباس فغيّر ولاءه وسمّى نفسه شاعر بني هاشم. قتله عيسى بن موسى قبل سنة ١٥٠ للهجرة. ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢/ ٦٩، مع مصادره.

(١١) العجّاج: بن رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ولد في البصرة في أوائل خلافة عثمان وتوفي سنة ٩٧ للهجرة. راجز مشهور، كثير الغريب، متين السبك بارع في وصف الصحراء وحيوانها. ينظر تاريخ الأدب، ١/ ٥٧٠، مع مصادره.

شعرِهما حضرهم الصبيان ، فذهبَ انسانٌ يطردُهم فقال العجاج : دعهم ، يعلمون ويبلّغون [1] .

حدَّثني السجستاني عن الأصمعي أنَّه قال : لا يسيرُ من الشعر إلاّ الواضح ، وخيرُ الشعر ما إذا سمعه الإنسانُ ظنَّ أنَّه يقولُ مثلَه ، ثمَّ يجدعُ أنفَه بظفرِ كلبٍ قبل ذلك .

فَمنْ سَائرِ الهجاء قولُ جرير :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبُهُم

قالوا لأمِّهِم : بولي على النارِ [2]

وقول الآخر ، وليس مثلَه في الشهرة :

إنَّ منافاً فَقْحَةٌ لدارمِ

كما الظّليمُ فَقْحةُ البراجمِ [3] .

وقول الحطيئة للزبرقان :

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبغيتها

واقعد فإنَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي [4]

وقال الطرمّاح [5] :

---

(١) ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٠٢ .

(٢) البيت ليس لجرير ، بل للأخطل من قصيدة مطلعها :

مازال فينا رباطُ الخيل مُعْلمةً

وفي كلَيبٍ رباطُ الذُّلِ والعارِ .

ديوان الأخطل ، ٢/ ٦٣٦ .

(٣) بلا نسبة في البيان والتبيين ، ٤/ ٣٧ ، والحيوان ، ١/ ٣٦٣ باختلاف يسير .

(٤) ديوانه ، ص ٥٠ .

(٥) الطرماح : هو الحكم بن حكيم بن الحكم بن نَفْر بن قيس بن طيىء ، والطرماح لقب عُرف به ، وهو الرجل الذي يرفع رأسه زهواً ، من شعراء اليمن وقد تعصّب لليمنية حتى وصل حدَّ الإفراط ، وكان يذهب مذهب الخوارج ، وفي شعره ما يشير إلى هذا ، وهو من فرقة الصفرية ، ويعدّ من كبار شعراء العصر الأموي ، توفي بعد سنة مئة وعشرة للهجرة . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

تـمـيـمٌ بِـطُـرْقِ الـلـؤمِ أهـدى من الـقـطـا

ولـو سـلـكـتْ سُبْـلَ الـمـكـارمِ ضَـلَّـتِ [١]

وفي هذا الشعر من الهجاء ما هو عندي أعْلَقُ بقلوبِ العوامِ من هذا البيت ، ولم يُشْهَر كقوله [٢] :

فَـلَـو أنَّ حـرقـوصـاً عـلـى ظَـهْـرِ نَـمْـلَـةٍ

يـشـدُّ عـلـى ثُـلـثـيْ تـمـيـمٍ لـولَّـتِ

ولـو أنَّ بـرغـوثـاً يـزقّـق مـسـكَـه

إذاً نـهـلـتْ مـنـه تـمـيـمٌ وَعَـلَّـتِ

ولـو جـمـعتْ يـومـاً تـمـيـمٌ جـمـوعَـهـا

عـلـى ذرَّةٍ مـعـقـولـةٍ لاسـتـقـلَّـتِ

ولـو أنَّ أمَّ الـعـنـكـبـوتِ بَـنَـتْ لـهـا

مـظـلَّـتَـهـا يـومَ الـنـدَّى لأكـنَّـتِ [٣]

وكقوله [٤] :

لا عَـزَّ نَـصـرُ امـرىءٍ أضـحـى لـه فـرسٌ

عـلـى تـمـيـمٍ يـريـدُ الـنَّـصـرَ مـن أحـدِ

لـو حـان وِرْدُ تـمـيـمٍ ثـمَّ قـيـل لـهـا :

حـوضُ الـرسـول عـلـيـه الأزدُ لـم تَـرِد

---

(١) ديوانه ، ص ٥٩ ، باختلاف يسير ، وفي ديوان المعاني ، ١/ ١٧٥ ، أنَّ هذا البيت أهجى بيت قالته العرب .

(٢) هو الطرماح أيضاً .

(٣) ديوانه ، ص ٦٣ - ٦٤ ، باختلاف يسير . ويزقّق : يُسلخ من قبل رأسه ويتّخذ زقّاً ، ونهلت : شربت المرة الأولى ، وعلّت : شربت المرة الثانية ، وأكنّت : سترت ، يشير إلى قلة عددهم ، والحرقوص . دويبة أكبر من البرغوث ، وعضُّها أشدّ من عضّه ، ينظر الحيوان ، ٦/ ٤٥٤ ، وفي العقد الفريد ، ٥/ ٣٠١ ، أنَّ هذه الأبيات أهجى ما قالته العرب ، ويعلّق ابن قتيبة عليها في الشعر والشعراء ، ٢/ ٥٨٧ ، بقوله : «وهذا من الإفراط» .

(٤) هو الطرماح أيضاً .

أو أنــزلَ الــلّــهُ وَحَــيْــاً أن يــعــذّبَــهــا

إن لــم تَــعُــدْ لــقــتــالِ الأزدِ لــم تَــعُــدِ

وكــلُّ لــؤمٍ أبــادَ الــدَّهــرُ أثــلــتــهَ

ولــؤمُ ضَــبَّــةَ لــم يَــنْــقُــصْ ولــم يَــزِدِ [١]

وقال يذكر بني أسد [٢] :

لــو كــان يــخــفــى عــلــى الــرَّحــمــن خــافــيــةٌ

مــن خَــلْــقِــه خــفــيــتْ عــنــه بــنــو أســدِ

قــــومٌ أقــــامَ بــــدارِ الــــذُّل أوّلُــــهــــم

مــمّــا أقــامــت عــلــيــه جــذمــةُ الــوتــد [٣]

وقد يأتي من هذا الهجاءِ الواضحِ ما لا يسيرُ ، وهو ممضٌّ موجعٌ ، كقولِ الآخر :

بــلادٌ نــأى عــنّــي الــصــديــقُ وســبَّــنــي

بــهــا عَــنَــزيٌّ ثــم لــم أتــكــلَّــمِ

ولَسْتُ أدري إلى أيّ شيء أوجّهُ هذا إلاّ إلى باب الحظّ ، والحرمان فإنّهما داخلان على كلِّ شيء حتى الشعر ، والرسائل ، فكَم فيهما من كلامٍ رصينٍ لا يجوزُ [٤] الدفاتر ، وكلامٍ سخيف نصب الأسماعِ والقلوب .

وممَّن وُضِعَ بقبيحِ الهجاءِ جَرْم [٥] .

---

(١) ديوانه ، ص ١٦٠ - ١٦١ و ١٦٦ ، باختلاف يسير . وأثلة كلّ شيء أصله .

(٢) هو الطرماح مرّة ثالثة .

(٣) ديوانه ، ص ١٦٦ ، وجذمة الوتد : قطعة الوتد ، ويضرب المثل بالوتد للذلّ والهوان .

(٤) لا يجوز : لا يتعدّى .

(٥) جَرْم : بطنان ، بطن من قضاعة وهو جَرْم بن ربّان ، والآخر في طيء . ومن جرم ابن ربّان بنو أعجب وبنو طرود ، تصفها العرب بالخنوع . ينظر جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٥١ ، والاشتقاق ، ص ٥٤٣ ، ولسان العرب ، ١٢/ ٩٥ .

قال حُميد بن ثور [1] لرجلين بَعَثَ بهما إلى امرأة كان يشبّبُ بها :

وقـولا إذا جـاوزتـمـا أرضَ عـامـرٍ
وجـاوزتـمـا الـحيَّـيـن نَـهْداً وخَـثْـعـما :

نـزيـعـانِ مـن جَـرْمِ بـن ربّـان إنَّـهـم
أبوا أن يميروا في الـهواجرِ محجما [2]

أمرهما أن ينتسبا إلى جَرْم ؛ لأنَّ العرب لا تخافُها لغارةٍ ، ولا تعتدُّ بها ، وهذا غايةُ الخمولِ والسقوط عندهم . وكذلك قولُ الآخر :

فـمـا فـعـلـت بـنـو رومـان خـيـرا
ومـا فـعـلـت بـنـو رومـان شـرَّا

ومـا خُـلِـقَـتْ بـنـو رومـان إلاّ أخـيـ
ـراً بـعـد خـلـق الـنـاس طـرّاً [3]

ومثلُه في الخمول [4] :

تـجـانَـفَ رضـوان عـن ضـيـفـه
ألـم تـأتِ رضـوانَ عـنّـي الـنّـذُرْ

---

(١) حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالي ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام ، جعله ابن سلاّم في الطبقة الرابعة من الإسلاميين ، توفي في زمن عثمان رضي الله عنه ، وبعضهم يؤخر وفاته إلى زمن عبد الملك . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٢) ديوانه ، ص ٢٨ ، باختلاف يسير . ونزيغان : غريبان ، ويميروا : يريقوا ، ويقول محقق الديوان إنَّه «يأمر خليليه أن ينتسبا إلى جرم ؛ لأنَّ العرب تأمنها ولا تخافها . . . وهذا من أخبث الهجاء لجرم» ، وينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٣٩٠ إذ جعل البيتين من خبيث الهجاء .

(٣) ينظر العقد الفريد ، ٣/ ١٤ ففيه البيت الأول وحده بلا نسبة باختلاف .

(٤) هو الأشعر الرقبان الأسدي كما في نوادر أبي زيد ، ص ٢٨٩ ، والحيوان ، ١/ ٣٦٠ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٣٠ ، ولسان العرب ، ٣/ ٥٥ ، واسمه عمرو بن حارثة بن ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، شاعر جاهلي خبيث ، قتل عمرو بنُ هند أخاه فسرق ابنين له فذبحهما ، ويقول هذه الأبيات في رضوان الأسدي الذي نزل به فلم يقدِّم له قِرى . ينظر المؤتلف ، ص ٤٧ و ١٣٣ ، ومعجم الشعراء ، ص ٢١٠ .

بحسبِك في القومِ أن يعلموا

بأنَّك فيهم غنيٌّ مُضرْ

وأنتَ مليخٌ كلحمِ الحوا

رِ لا أنتَ حلوٌ ولا أنتَ مُرْ [1]

كأنَّك ذاكَ الذي في الضرو

ع قدّام درَّتِها المنتشِرْ

إذا ابتدرَ الناسُ لم تأتهم

كأنَّك قد ولَدَتْكَ الحُمُرْ

وقد علم الضيفُ والطار

قون أنّك للضيف جوعٌ وقرْ [2]

وهذا يكثر – إن تتبَّعناه – ويطولُ به الكتاب ، ولم يكن قَصْدُنا للإخبارِ عن المناقب ، والمثالب ، وإنَّما أردنا الإخبارَ عن جَلالة قَدْرِ الشعرِ ، وعظيمِ موقعه برفعه قوماً ، وحَطِّه آخرين .

وكان القبيلُ من العرب إذا نشأ فيهم غلامٌ فقال شيئاً من الشعر ، أو رَجَزَ في حداء بعير ، أو مَتَحَ بدلو ، سُرَّ به قومُه ، واستبشرتْ عشيرتُه ، وقدّموه وعظَّموه ، ورشحّوه للمنافحةِ عنهم ، والدَّفْعِ عن أعراضِهم ، وأتاهم الأقاربُ ، والمجاورون [3] .

---

(١) المليخ : الذي لا طعم له .

(٢) الأبيات منسوبة إلى الأشعر في : الحيوان ، ١/ ٣٦١ ، الثاني والثالث ، والمؤتلف ، ص ٤٧ ، الثالث والرابع ، و ص ١٣٣ ، الثالث والرابع والسادس ، ومعجم الشعراء ، ص ٢١٠ ، الأول والثالث والسادس ، ونوادر أبي زيد ، ص ٢٨٩ ، عدا الخامس ، وينظر الهامش الثاني ففيه مزيد من التخريج ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٣٠ ، الأول والثالث والسادس ، ولسان العرب ، ٣/ ٥٥ ، الثاني والثالث والسادس ، وهي بلا نسبة في أمالي القالي ، ٢/ ٢١١ ، الثالث وحده ، والفصول والغايات ، ص ٣ ، الثاني والثالث والرابع .

(٣) ينظر الممتع ، ص ٢٥ ، و ٢٣٠ ، والعمدة ، ١/ ٦٥ ، ولعلّهما ينقلان عن هذا الكتاب وخصوصاً صاحب الممتع الذي ذكر ابن قتيبة صراحة في غير هذا الموضع .

قال الأعشى لقومه :

أدافِعُ عن أعراضِكم وأعيركم

لساناً كمقراضِ الخفاجيِّ مِلحبا [1]

وقال جرير :

ألم أكُ ناراً يصطليها عدُوكم

وحرزاً لما ألجأتُمُ من ورائيا

وباسطَ خيرٍ فيكمُ بيمينه

وقابضَ شرٍّ عنكمُ بشماليا

ألا لا تخافا نبوتي في مُلِمَّة

وخافا المنايا أن تفوتكما بيا [2]

حدَّثني الرياشي قال : حدَّثنا الأصمعي عن جويرية بن أسماء أنَّه قال لمساور بن هند : لِمَ تقولُ الشعرَ؟ قال : أسقي به الماء ، وأرعى به الكلأ ، وأقضي به الحاجة ، فإن كفيتني ذلك تركتهُ [3] .

وقال عمرُ بن الخطاب : الشعرُ جَزْلٌ من كلامِ العرب يسكنُ به الغيظُ ، وتُطفأ به النائرة ، ويتبلّغ به القوم ، ويُعطى به السائل . وقال أيضاً : نعْمَ الهديةُ للرجلِ الشريفِ الأبيات يقدِّمها بين يدي الحاجة يستعطفُ بها الكريم ، ويستنزلُ بها اللئيم [4] .

والمنشورُ من الكلامِ لا يبلغُ في الحوائجِ واستنجاحِها والسخائمِ

(١) ديوانه ، ص ١٥٣ . وملحب : قاطع .

(٢) ديوانه ، ص ٥٠١ .

(٣) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٣٤٩ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٧٤ ، والممتع ، ص ٢٨ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٥٧٣ ، وفيها أنَّ القائل هو الحجاج بن يوسف بدل جويرية بن أسماء .

(٤) ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ١٠١ و ٣٢٠ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٧٤ و ٢٨١ ، والممتع ، ص ٢٨ ، والعمدة ، ١/ ١٦ .

واستلالها[1] ، والمدح ، والفخر ، والعتاب ، والسباب ، والتحضيض ، والصبر ، وغير ذلك من الأمورِ التي يحتاجُ الناسُ إلى التلطُّفِ فيها بالقولِ مبلغَ الشعر .

قال الرياشي : مرَّ خليد بن عينين[2] بعاملٍ لزياد على بعض كُوَر[3] فارس فسأله فلم يُعْطه ، وقال : أنتَ تُدِلُّ بالشعر فاذهب فَقُل ما شئت . فقال : أنا لا أهجوك ، ولكنّي أقولُ ما هو أشدُّ عليكَ منَ الهجاء ، وأنشأ يقول :

وكــائــن عــنــد تَــيْــم مــن بــدور
إذا مــا حُــرِّكــتْ تــدعــو زيــادا
دَعَــتْــه دعــوةً شــوقــاً إلــيــه
وقــد شُــدَّتْ حــنــاجُــرهــا صــفــادا

فنمى الشعرُ إلى زياد فقال : لبيَّك يا بدورَ تيم ، وبعث إليه ، فأخذ منه مائةَ ألف درهم[4] . ولو أنَّ هذا الشاعرَ رَفَع في تخوينِ هذا العاملِ ما بلغَ كلام سحبان وائل ، وأطول من خُطَب المصلحين بين العَشائر لم يبلغْ مَبْلَغَ هذين البيتين ، ولا كان إلاّ كأحدِ الرافعين ، وقد ينفعُ اللهُ به في اللقاء ، ويثبّتُ به الأقدام .

وقال عبد الملك لمعلّم ولده : علمْهم الشعرَ يمجدوا ، وينجدوا[5] .

وقال معاوية : شجعَّني علي ابنِ أبي طالب عليه السلام قولُ ابنِ الإطنابة

---

(١) السخائم : جمع سخيمة وهي الحقد ، وتُستلّ : تنزع .

(٢) خليد عينين من عبد القيس ، كان ينزل أرضاً بالبحرين تُعرف بعينين فنُسب إليها . شاعر مقلّ كان يهاجي جريراً . ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٤٦٣ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٦٤٤ و ٧٦٦ .

(٣) كُوَر : جمع كورة وهي المدينة والصُّقْع .

(٤) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ٤٦٣ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٣٠٦ باختلاف يسير ، وفيه أنَّ تيماً اسم عامل زياد ، والبدور : جمع بَدْرة وهو الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف .

(٥) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ١٦٧ ، ونور القبس ، ص ٢٥٠ .

الخزرجي [1] :

وقـولـي كـلّـمـا جـشـأت وجـاشـت
مـكـانَـك تـحـمـدي أو تـسـتـريـحـي [2]

ومثل ذلك قول قطريّ بن الفجاءة [3] :

وقـولـي كـلّـمـا جـشـأتْ لـنـفـسـي
مـن الأبـطـالِ ويـحـكِ لـن تـراعـي

فـإنّـك لـو سـألـتِ حـيـاةَ يـومٍ
من الأجـلِ الـذي لـكِ لـن تـطـاعـي [4]

وقول نهشل بن حرّي [5] :

ويـومٍ كـأنَّ الـمـصـطـلـيـن بـحـرِّه
وإن لـم تـكـن نـارٌ قـيـام عـلـى الـجـمـرِ

صـبـرنـا لـه حـتـى يـبـوخَ وإنّـمـا
تـفـرّجُ أيـامُ الـكـريـهـةِ بـالـصـبـرِ [6]

---

(١) ابن الإطنابة : هو عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، والإطنابة أمّه . شاعر جاهلي ، فارس ، معروف قديم . قاد الخزرج في واحدة من حروبها مع الأوس ، وكان حسّان بن ثابت يراه أشعر الناس . ينظر معجم الشعراء ، ص ٢٠٣ ، والاشتقاق ، ص ٤٥٣ .

(٢) البيت والقول في أمالي القالي ، ١/ ٢٥٨ ، والكامل ، ٣/ ١٤٣٣ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٢٦ ، ومعجم الشعراء ، ص ٢٠٤ ، ووقعة صفين ، ص ٤٥٠ ، ومجالس ثعلب ، ٢/ ٨٣ ، وديوان المعاني ، ١/ ١١٤ ، والحيوان ، ٦/ ٤٢٥ ، وحماسة البحتري ، ص ١ ، والمصون في الأدب ، ص ١١٣ ، والممتع ، ص ٣٨ ، والعمدة ، ١/ ٢٩ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٤٦٧ ، وجمهرة أشعار العرب ، ١/ ١٥٩ .

(٣) قطري بن الفجاءة المازني شاعر الخوارج ، وخطيبها ، والخليفة المسمّى بأمير المؤمنين في أصحابه ، خاض معارك كثيرة . ينظر ديوان شعر الخوارج ، ص ١١٩ مع مصادره .

(٤) ديوان شعر الخوارج ، ص ١٢٢ ، باختلاف يسير .

(٥) نهشل بن حرّي بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، شاعر فارس أدرك الجاهلية والإسلام ، شارك مع الإمام علي كرّم الله وجهه في حروبه ، وهو من بيت عُرف بالشعر ، فأبوه وجدّه وابنه شعراء ، ولذلك جعل ابن رشيق في العمدة ، ٢/ ٣٠٦ ، بيته من بيوتات الشعر ، والمعرّقين فيه ، ويصفه صاحب زهر الآداب ، ٢/ ١٠٨٧ ، بأنّه شاعر ظريف . تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها ضمن كتاب [شعراء مقلّون] ، ص ٨١ ، وما بعدها .

(٦) شعره ، ص ١٠١ .

وقول الآخر :

بكى صاحبي لمّا رأى الموتَ فوقَنا
هطلا كأطلال السحابِ إذا اكفهرْ

فقلتُ له : لا تبكِ عينك إنَّما
يكون غداً حُسنُ الثناءِ لمن صَبَرْ

فما أخَّرَ الإحجامُ يوماً معجَّلاً
وما عجَّل الإقدامُ ما أخّر القَدَرْ

فأُبْنا على حالٍ يقلُّ بها الأسى
وقاتلَ حيث استبهمَ الوردُ والصَّدَرْ

حدَّثني السجستاني قال : حدَّثنا الأصمعي قال : كان عاصمُ بنُ الحدثان رجلاً من العرب قديماً ، وكان رأسَ الخوارجِ بالبصرة ، وربَّما جاءه الرسولُ من الجزيرة [1] يسألهُ عن الأمرِ يختصمون فيه ، فمرَّ به الفرزدقُ فقالَ لابنه : أنشد أبا فراس فأنشده :

وَهُمُ إذا كسروا الجفونَ أكابرٌ
صُبرٌ وحين تحلّلُ الأزرارُ

يغشون حوماتِ المنونِ وإنّها
في اللهِ عند نفوسِهم لَصِغارُ

يمشون في الخطيِّ ما ماشيتَهم
والقوم إذ ركبوا الرماحَ تجارُ

(١) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، سُمّيت الجزيرة لأنّها بين دجلة والفرات ، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ، من أمّهات مدنها حرّان ، والرّها والرقّة وغيرها . ينظر معجم البلدان ، ٢/ ١٥٦ ، ومعجم ما استعجم ، ١/ ٣٨١ .

فقال الفرزدق : ويلَك اكتم هذا ! لا يسمَعْه النَّساجون فيخرجون علينا بالحفوف [1] .

حدَّثني الرِّياشي قال : أخبرنا عبيد بن عقيل قال : أخبرنا جرير بن حازم ، ومحمد بن سيرين قالا : كان شعراءُ المسلمين : حسّانُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله ابنُ رواحة ، وكعب بنُ مالك يخوّفهم الحربَ ، وعبدُ الله يعيّرُهم بالكفر ، وكان حسّانُ يُقْبِلُ على الأنساب . قال ابن سيرين : فبلغَني أنَّ دوساً [2] إنَّما أسْلَمَتْ فَرَقاً [3] من كعب وقوله :

قضينا من تِهامةَ كلَّ وتْر
وخيبرَ ثمَّ أغمدنا السيوفا

نخيِّرها ولو نَطَقتْ لقالت
قواطعهنّ : دوساً أو ثقيفا

فقالت دوس : انطلقوا فخذوا لأنفسكم ، لا ينزلْ بكم ما نَزَلَ بثقيف [4] .

قال : وأمّا شعراءُ المشركين فعمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبعري ، وأبو سفيان بن حرب .

وذكر أبو اليقظان أنَّ الحارثَ بنَ عوف [5] سيّدَ بني مُرّة ، وصاحبَ الحمالة بين عبس ، وذبيان أدركَ الإسلامَ فأسلم ، وبعث معه رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه

---

(١) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ١٢٤ ، والعقد الفريد ، ١/ ١٠٦ ، والخطيّ : الرماح ، والحفوف : جمع حَفّ وهو المِنسج .

(٢) دوس : قبيلة يمنية تنسب إلى أبيها دوس بن عُدثان ، من ولده مُنْهب ، وغَنْم ، ومن قبائل دوس مالك بن فهم ، وهم بعمان ، وسُلَيْم بن فَهمْ ، ومنهم أبو هريرة ، ووفد الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فدعا لدوس قائلاً : «اللهم اهدِ دوساً» . ينظر الاشتقاق ، ص ٤٩٦ و ٥٠٤ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ٣٧٩ ، وما بعدها .

(٣) فَرَقا : خوفاً .

(٤) الخبر في العقد الفريد ، ٥/ ٢٧٨ ، وزهر الآداب ، ١/ ٢٨ ، والشعر في سيرة ابن هشام ، ٤/ ١٢١ .

(٥) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني ، مشهور من فرسان الجاهلية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم خطب إليه ابنته ، فقال : لا أرضاها لك فإنَّ بها سواداً ، ولم يكن بها ، فرجع فوجدها قد برصت ، وله الحادثة التي يسوقها ابن قتيبة ، ينظر الإصابة ، ٢/ ١٦٨ ، رقم [١٤٥٧] ، والاستيعاب ، ٢/ ٢٥١ ، رقم [٤٢٨] ، والبرصان والعرجان ، ص ١٤١ .

رجلاً من الأنصار في جواره يدعو إلى الإسلام ، فقتله رجلٌ من بني ثعلبةَ ، فبلغ الخبرُ رسول اَللّه صلّى اَللّه عليه فقال لحسّان : قُلْ فيه . فقال :

يـا حـارِ مَـنْ يَـغْـدرْ بـذمّـة جـاره
مـنـكـم فـإنَّ مـحـمـداً لـم يَـغـدرِ [1]

وأمـانـةُ الـمُـريّ مـا اسـتـرعـيـتَـه
مـثـل الـزجـاجـةِ صَـدْعُـهـا لـم يُـجْـبَـرِ

إن تـغـدروا فـالـغـدرُ مـنـكـم عـادةٌ
والـغـدرُ يـنـبـتُ في أصـول الـسَـخْـبـرِ [2]

فبعث الحارثُ يعتذرُ ، وبعثَ بديةِ الرجلِ إبلاً فقبلها النبيّ صلّى اللّهُ عليه ، ودفَعها إلى ورثته [3] .

فتوقّف على هذا الخبر ، وتفهَّمْ قولَ رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه : قُل فيه ؛ لعلمه صلّى اللّهُ عليه بوقْع الشعر من القلوبَ ، ولُطف مدخله ، وأنّه أهزُّ ، وأمضُّ ، وأوجَعُ ، وأبخع ، لاَ جَرَمَ مَا كان الجوابُ عنه إلاّ الديّةَ .

وقد كان رسولُ اللّه صلّى اللهُ عليه يعطي الشعراءَ ، ومَدَحه شاعرٌ فقال : اقطعوا عنّي لسانَه ، فأعطَوه [4] .

وكسا كعبَ بن زهير بُرداً حين قال له :

---

(١) ياحار : ترخيم حارثة .

(٢) السخبر : شجر إذا طال تدلّت رؤوسه وانحنت واحدته سَخْبَرة .

(٣) ينظر الاشتقاق ، ص ٢٨٨ ، وفيه الحارث بن سنان ، والأغاني ، ٤/ ١١ و ١٥٥ ، والإصابة ، ٢/ ١٦٨ ، والاستيعاب ، ٢/ ٢٥١ ، وسرح العيون ، ص ١٦١ .

(٤) قال صلّى الله عليه وسلّم هذا القولَ للعباس بن مرداس بعد أن سمع شعره ، فأمر علياً كرّم الله وجهه أن يقطع لسانه ، فأخذه إلى الحظائر وأعطاه أربعين من الإبل ، ينظر زهر الآداب ، ٢/ ٩٣٨ ويضيف الحصري أنّ الحجاج نظر إلى هذا القول ، وأعاده حين خاطب ليلى الأخيلية ، ينظر خبر الحجاج مع ليلى في أمالي القالي ، ١/ ٨٦ ، وينظر خبر العباس في سيرة ابن هشام ، ٤/ ١٣٧ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢٧٦ ، ٥/ ٣٠٥ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٧٤٨ ، والحماسة البصرية ، ١/ ٢٥٨ ، وخزانة الأدب ، ١/ ١٥٢ .

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللّهِ أوعدني
والعفوُ عند رسول اللّه مأمولُ

فاشتراه منه معاويةُ بعشرين ألفِ درهمٍ ، ولم يزل البُردُ في أيدي الخلفاءِ إلى اليوم (1) .

حدَّثني الزيادي قال : حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن [ ] (2) عن محمد بن علي : أنَّ رجلاً مَدَحَ اللّهَ ، ومَدَحَ رسولَه فأعطاه رسولُ الله صلّى اللّهُ عليه لمديحه اللّهَ خلعةً ، ولم يُعْطه لمديحه إيّاه شيئاً (3) .

وقال خلاَّد الأرقط : إعطاءُ الشاعرِ من برِّ الوالدين (4) .

ومَدَحَ ابنَ شهاب شاعرٌ فأعطاه ، وقال : إنَّ من ابتغاء الخيرِ اتِّقاءُ الشرِّ (5) .

وقال رسولُ الله صلّى اللّهُ عليه لحسَّان : نافحْ عن قومكَ ، وَسَلْ أبا بكر عن معايب القوم ، وكان أبو بكر أعلمَ قريش بقريش ، وقال له : واللّه لَشعرُكَ أشدُّ عليهم من وَقْعِ السهامِ في غَلَسِ الظلام ، وقال صلّى اللّهُ عليه لحسَّان : اهجهم وجبريلُ معك (6) .

وكانوا يأمرونَ برواية الشعر لما يقيّدُ من مكارمِ الأخلاق ، وغرائب الحكمة . قال : وكان ابنُ عباسَ يقولَ : إنَّ الشعرَ علمُ العَرب ، وهو ديوانُها فتعلَّموه ،

---

(1) ينظر مجالس ثعلب ، ٢/ ٤٠٩ ، والشعر والشعراء ، ١/ ١٤٢ و ١٥٦ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٨٨ و ٢٩١ ، والأغاني ، ١٥/ ١٤٣ ، والعمدة ، ١/ ٢٣ ، والمصون ، ص ١٩٧ ، وثمار القلوب ، ص ٦١ .

(2) كلمة غير مقروءة .

(3) ينظر الفاضل ، ص ٩ .

(4) ينظر نثر الدرّ ، ١/ ١٨٤ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٤٣٣ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٨٨ ، وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي ، ١/ ١٩١ ، أنّه حديث موضوع باطل .

(5) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٢ ، والممتع ، ص ٣٦٣ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ١٨١ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٤٣٣ .

(6) ينظر صحيح البخاري ، ٧/ ١٤٢ ، مسند الإمام أحمد ، ٦/ ٨٢ ، وسنن الترمذي ، ٥/ ١٢٧ ، وسنن أبي داود ، ٥/ ٢٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ، ٢/ ٥١٣ ، والكامل ، ٣/ ١٤٧٢ ، وزهر الآداب ، ١/ ٢٥ ، والممتع ، ص ٤٣ ، والعقد الفريد ، ٦/ ٦ ، وثمار القلوب ، ص ٢٢٠ .

وعليكم بشعر الحجاز فإنَّه شَعَرُ الجاهلية ، وقد عُفي عنه [1] .

وقالَ مُسْلمُ بنُ بشّار : سمعت سعيدَ بن المسيَّب وقد أنْشَدَ شعراً ، فقلت : وإنَّكم لتنشدون الشعر؟ قال : أوَما ينشدونَه عندكم؟ قلتُ : لا . قال : لقد نسكتم نسكاً أعجمياً [2] ، ثمّ حدَّث أنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليه قال : شرُّ النسك نسكٌ أعجمي [3] .

وقال صلّى اللهُ عليه : إنَّ من الشعرِ حكماً [4] .

وروى شعيبُ بنُ واقد عن صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال : وَفَد العلاءُ بنُ الحضرمي [5] إلى رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه فقال له : أتقرأ من القرآن شيئاً؟ فقرأ (عبس) ، فزاد فيها منَ عنده : وهو الذي أخرجَ من الحُبْلى نسمةً تسعى من بين شراسيفَ [6] وحشا ، فصَاحَ به النبيُّ صلّى اللّهُ عليه ، وقال : كُفَّ ، فإنَّ السورةَ كافية ، ثمَّ قال : هل تروي من الشعرِ شيئاً ، فأنشده :

فحيٍّ ذوي الأضغانِ تَسْبِ قلوبَهم
تحيّتك الحسنى وقد يُرقع النَّغَل

فإن دحسوا بالكره فاعف تكرَّماً
وإن حبسوا عنكَ الحديث فلا تَسَلْ

---

(١) ينظر العقد الفريد ، ٥/ ٢٨١ ، ومجالس ثعلب ، ١/ ٣١٧ ، والعمدة ، ١/ ٣٠ ، والاتقان ، ١/ ٦٧ .

(٢) ينظر البيان والتبيين ، ١/ ٢٠٢ ، وزهر الآداب ، ١/ ١٦٥ ، والعمدة ، ١/ ٢٩ .

(٣) ينظر العمدة ، ١/ ١٦ .

(٤) ينظر مسند الإمام أحمد ، ٤/ ٢٦٨ و ٢٩٢ ، وجمهرة أشعار العرب ، ١/ ١٤٦ مع تخريجه ، والفاضل ، ص ٩ ، وزهر الآداب ، ١/ ١٨ ، والعقد الفريد ، ١/ ١١٧ و ٥/ ٢٧٤ ، والممتع ، ص ٣٢ و ٣٥ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٧ ، ورسائل الجاحظ ، ٢/ ١٦٠ ، والعمدة ، ١/ ١٦ و ٢٧ ، وديوان المعاني ، ١/ ١٥٠ ، وأول أمثال الميداني ، والمحاسن والمساويء ، ٢/ ٢٢٢ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٣٨ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٤ .

(٥) العلاء بن الحضرمي : صحابي ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين ، وأقرّه عليها أبو بكر وعمر ، قاتل أهل الردة بالبحرين وأبلى البلاء العظيم ، توفي في خلافة عمر . ينظر أسد الغابة ، ٤/ ٧ ، والإصابة ، ٢/ ٤٩٧ رقم [٥٦٤٢] .

(٦) شراسيف : جميع شرسوف وهو غضروف معلّق بكل ضلع ، أو طرف الضلع المشرف على البطن .

فـإنَّ الــذي يـؤذيـك مـنـه سـمـاعُـه

وإنَّ الـذي قـالـوا وراءَكَ لـم يُـقَـلْ

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إنَّ من الشعر حكماً ، وإنَّ من البيانِ لسحرا [1] .

والعجمُ تعجبُ بكلام بزرجمهر ، وآنوشروان وأشباههما من ملوكهم ، وموبذيهم [2] ، وتَفْخَرُ بما أودعوا من آدابهم ، وحِكَمِهم ، ولو تتبَّعوا ذلك من أشعار العربِ ، وكلامِ حكمائها مثل كلامِ أكثم بنِ صيفي التميمي ، وأبي حجارَ أبجر بنِ جابرِ العجليِّ ، وعامر بنِ الظرب العدواني [3] ، وأشباههم لوجدوه بعينه ، أو أجودَ منه في معناه ، وسأذكرُ من ذلكَ شيئاً ؛ لأنبِّهُ على ما للعرب وإن قَلَّ يكونُ خاتمةَ الكتابِ إن شاء الله .

الحكمة في الشعر

قال ابنُ عباس : إنَّها كلمةُ نبيّ [4]

ستبـدي لـكَ الأيـامُ مـا كـنـتَ جـاهـلاً

ويـأتـيـك بـالأخـبـارِ مَـنْ لـم تـزوِّد [5]

والعجمُ تقولُ في حِكَمِها : كلُّ عزيزٍ دَخَلَ تحت القدرةِ فهو ذليل [6] .

---

(١) الخبر والأبيات في : شرح الحماسة للتبريزي ، ١/ ٢ ، وعيون الأخبار ، ٢/ ١٨ و ١٦٨ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٦٥ و ١٢٣ و ٣٣٦ و ٣/ ٦٤ و ٥/ ٢٧٣ ، والزينة ، ١/ ١٠٠ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ١٣ ، وسرح العيون ، ص ١٤٩ ، ومعجم الشعراء ، ص ٢٩٦ ، وجمهرة أشعار العرب ، ١/ ١٥٧ ، ولسان العرب ، ٦/ ٧٦ ، وبلوغ الأرب ، ٣/ ١٣٠ .

(٢) الموبذ : قاضي المجوس ، وموبذ الموبذان قاضي القضاة ، ينظر مفاتيح العلوم ، ص ١٥١ ، ولسان العرب ، ٣/ ٥١١ .

(٣) عامر بن الظرب العدواني من حكام قيس ، كانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وصفه الجاحظ بقوله : «كان حكيماً ، خطيباً ، رئيساً» ، ينظر المعارف ، ص ٨٠ و ٥٥٣ ، والبيان والتبيين ، ١/ ٤٠١ ، وبلوغ الأرب ، ١/ ١٣٦ .

(٤) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ١٩١ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٧٦ و ٢٧١ ، وفيه ، ٣/ ١٣٧ : «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد أن سمع البيت : إنّ معناه من كلام النبوة» .

(٥) البيت لطرفة بن العبد ، ديوانه ، ص ٤٨ .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٢ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٧٨ ، والبخلاء ، ص ١٦١ ، وفيه : «وفي بعض كتب الفرس» .

قال الشاعر [1] في هذا المعنى ، أو شبهه :

وزادني كَلَفاً بالحبِّ أن مَنَعَتْ
حبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنعا [2]

وقالوا : كلُّ مقدور عليه مملولٌ محقور [3] . وقالوا : المرءُ توّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ [4] . ويقولُ أصحابُ القياس : ما شاهدتَ دليلٌ على ما غابَ عنك . وقال الشاعرُ في مثله :

ألوتْ باصبعها وقالت : إنّما
يكفيك ممّا لا ترى ما قدر [رأيت] [5]

وتقولُ الحكماءُ : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرضَ أن يُحْكَمَ عليه بها [6] . وقال أبو ذؤيب في مثله [7] :

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سرتَها
وأوّلُ راضٍ سنَّةً مَنْ يسيرُها [8]

---

(1) هو الأحوص الأنصاري ، عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والأحوص لقب . شاعر من مقدّمي شعراء الدولة الأموية ، مدح الخلفاء ورجالهم ، كان هجّاءً ممّا حدا بعمر بن عبد العزيز أن يسيّره إلى دهلك منفياً ليعيده بعد هذا يزيد بن عبد الملك إلى أن يدركه الموت في آخر خلافته . تنظر مقدمة شعره مع مصادرها .

(2) شعره ، ص ١٩٥ .

(3) ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ٥٣ ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٣ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٧٨ ، والبخلاء ، ص ١٦١ ، وينسبه إلى معاذة العدوية .

(4) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٣ .

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط ، ولعلَّ هذه اللفظة تناسب البيت .

(6) من أمثالهم : «لا تجزعن من سنّة أنت سرتها» ، مجمع الأمثال ، ٣/ ٢١٤ ، وفي عيون الأخبار ، ٤/ ١٣٦ : «كتبت مُنية إلى قابوس : مَنْ سنّ سنّة فليرضَ بأنْ يُحكم عليه بها» .

(7) في مجمع الأمثال ، ٣/ ٢١٥ أنَّ قائل هذا البيت ، ومعه ثلاثة أخرى هو خالد ابن أخت أبي ذؤيب ، وساق قصة للأبيات . ونسبه ابن قتيبة نفسه في عيون الأخبار ، ٤/ ١٠٩ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٦٥٤ إلى خالد بن زهير ، وهو ابن أخت أبي ذؤيب ، أو ابن عمّه ، وديوان الهذليين ، ١/ ١٥٧ .

(8) ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ٢١٥ ، وعيون الأخبار ، ٤/ ١٠٩ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٦٥٤ ، والأغاني ، ٦/ ٦٢ ، وأدب الخواص ، ص ٨٢ ، العجز وحده ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٧٨٨ ، وديوان الهذليين ، ١/ ١٥٧ ، وهو بلا نسبة في نوادر المخطوطات ، ص ٢٧٢ .

وتقولُ الحكماءُ : الطبعُ أَمْلَكُ [١] . وقال الشاعرُ في مثلِه :

ومَنْ يَبْتَدِعْ ما ليسَ من سوسِ نفسه
يَدَعْه وتغلبْه على النفسِ خيمُها [٢]

وقال آخر [٣] :

كلُّ امرِيءٍ راجعٌ يوماً لشيمتِه
وإن تخلّقَ أخلاقاً إلى حينِ [٤]

وقال آخر [٥] :

ارجع إلى خلقِكَ المعروفِ ديدنُهُ
إنّ التخلّقَ يأبى دونه الخُلُقُ [٦]

وتقول حكماءُ العجم : الحرصُ محرمة [٧] . وقال عدي بن زيد :

قَدْ يُدْرِكُ المبطيءُ من حظّه
والجَدُّ قد يسبقُ جهدَ الحريص [٨]

---

(١) ينظر العقد الفريد ، ٣/٣ ، وتأويل مختلف الحديث ، ص ٢٩١ .

(٢) نسب هذا البيت إلى غير واحد من الشعراء ، فهو لكثيّر ، ينظر ديوانه ، ص ١٤٨ ، أو حاتم الطائي ، ينظر ديوانه ، ص ٢٨٩ ، أو العتبي ، أو الأعور الشنيّ أو ذي الاصبع العدواني أو سليمان بن المهاجر . ينظر اختلاف النسبة في ديوان حاتم ، ص ٢٨٩ . ونسب إلى مالك بن الدخشم الأنصاري في معجم الشعراء ، ص ٣٦٢ ، وهو بلا نسبة في تأويل مختلف الحديث ، ص ٢٩١ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٦٠ ، ونُسب في الفاضل ، ص ٤٠ ، إلى خالد بن عبد الله الطائي ، كما نُسب إلى كثيّر في الشعر والشعراء ، ١/ ٥١٣ ، والحماسة البصرية ، ٢/ ١٧٣ .

(٣) هو ذو الاصبع العدواني ، واسمه حُرثان من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وسمّي ذا الاصبع ؛ لأنَّ حيَّةً نهشت ابهام قدمه . شاعر فارس جاهلي له غارات كثيرة ، ووقائع مشهورة ، عمّر دهراً طويلاً . تنظر ترجمته في المفضليات مع مصادر المحققّين ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٧٠٨ ، وخزانة الأدب ، ٥/ ٢٨٤ .

(٤) البيت منسوب إلى ذي الأصبع في الكامل ، ١/ ٢٦ ، والممتع ، ص ٣٩٨ ، والأمالي ، ١/ ٢٥٦ ، والحماسة البصرية ، ١/ ٢٢٤ ، وينظر مزيد من التخريج فيها .

(٥) هو العرجي ، واسمه عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، ولُقِّب بالعرجي نسبة إلى ماء له يقال له العرج ، شاعر من مقدّمي شعراء قريش ، والدولة الأموية ، غلب على شعره الغزل والمجون ووصف اللهو . توفي مسجوناً سنة ١٢٠ للهجرة بالمدينة . تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها .

(٦) ديوانه ، ص ٣٣ ، باختلاف . وينظر الهامش الخامس في الديوان .

(٧) ينظر الأدب الكبير ، ص ٩٧ .

(٨) ديوانه ، ص ٧٠ ، باختلاف يسير .

وقيل لبزرجُمهَر : هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال : لا ، إنَّ الذي لا عيبَ فيه لا ينبغي أن يموت [1] ، وقال أبو موسى شهوات [2] في مثله :

ليس فيما بدا لنا منكَ عيبٌ
عابه الناسُ غيرَ أنَّك فاني

أنتَ خيرُ المتاعِ لو كنتَ تبقى
غير أن لا بقاءَ للإنسانِ [3]

وتقولُ العجم : آفةُ الحلمِ الضعف . وقال النابغة الجعدي :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوَه أن يكدَّرا [4]

وأنشده النبيَّ صلّى اللّهُ عليه ، فقال : لا يغضض اللّهُ فاك . قال : فَغَبرَ مائةَ سنة لم تنغض له سنٌّ [5] .

وتقولُ الحكماءُ : أحقُّ مَنْ شركك في النِّعم شركاؤك في المكاره [6] . وقال

---

(١) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ١٧ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٣٦ ، وهو منسوب إلى العتابي في العقد ، ١/ ٣ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ١١ .

(٢) موسى شهوات : هو موسى بن يسار مولى بني تيم قريش ، وشهوات لقب لحق به . من شعراء المدينة وظرفائهم . ينظر الشعر والشعراء ، ٢/ ٥٧٧ ، مع مصادر المحقق ، والمؤتلف ، ص ٣٧٧ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٠٧ ، وخزانة الأدب ، ١/ ٢٩٧ .

(٣) في نسبة البيتين خلاف ، فهما في البيان والتبيين ، ٣/ ١٤٤ ، منسوبان إلى جارية لسليمان بن عبد الملك أنشدتهما بعد أن ركب في زيّ عجيب ، وهما لها في العقد الفريد ، ٤/ ٤٢٥ ، وتاريخ الطبري ، ٦/ ٥٤٧ ، والكامل في التاريخ ، ٥/ ٣٧ ، وهما في الأخبار الموفقيات ، ص ١٩٣ لأعرابي يمدح سعيد بن العاص ، وهما لموسى في الشعر والشعراء ، ٢/ ٥٧٨ ، وعيون الأخبار ،٢/ ١٧ ، ومعجم الشعراء ، ص ٣٧٧ ، والعمدة ، ٢/ ١٣٦ ، والأغاني ، ٩/ ٩٤ ، و٣/ ١٢٢ .

(٤) شعره ، ص ٦٩ ، باختلاف يسير .

(٥) ينظر مجالس ثعلب ، ٢/ ٦٦٣ ، والشعر والشعراء ، ١/ ٢٨٩ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٣٦٤ ، ومعجم الشعراء ، ص ٣٢١ ، وغريب الحديث ، ١/ ١٢٧ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٥٢ و ٨٠ ، و ٥/ ٢٧٦ ، والمختار من شعر بشار ، ص ١٤٠ ، والعمدة ، ١/ ٥٣ ، وطبقات ابن سلاّم ، ١/ ١٠٣ ، وجمهرة أشعار العرب ، ١/ ١٥٢ ، والإصابة ، ١٠/ ١١٨ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٧١٤ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٧١ ، وتنغض : تتحرك .

(٦) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٢٠ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٦٦ ، والتمثيل والمحاضرة ص ٣٦ ، وبهجة المجالس ١/ ٧١٤ ، ونُسب إلى أكثم بن صيفي .

الشاعر [١] :

وإنَّ أوْلى البرايا أن تواسيَه

عند السرور لمن آساكَ في الحَزَنِ [٢]

وفي كتاب : قد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتنبت ، ويُقطع اللحمُ بالسيوف فيندمل ، واللسانُ لا يندملُ جرحُه [٣] . قال امرؤ القيس :

وجُرحُ اللسانِ كجُرحِ اليدِ [٤]

وقال طَرَفة :

وتصدُّ عنكَ مخيلةَ الرجلِ الـ

ـعرِّيضِ موضحةٌ عن العَظْمِ

بحسامِ سيفِك أو لسانِك والـ

ـكلمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلِمِ [٥]

ونحوه :

والقولُ ينفذُ ما لا تنفذ الإبَرُ [٦]

---

(١) هو دعبل الخزاعي ، أو أبو تمام ، أو إبراهيم بن العباس الصولي . ينظر عن اختلاف النسبة شعر دعبل الخزاعي ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ويرجّح جامع شعره أنَّ البيت ليس لدعبل بلا أسباب يوردها .

(٢) ينظر شعر دعبل ، ص ٤٦٢ ، والشعر والشعراء ، ٢/ ٨٥٢ ، والحماسة البصرية ، ٢/ ٣ ، ونسب فيهما إلى دعبل . ويذهب جامع شعر دعبل إلى أنَّ البيت ضمن قصيدة لأبي تمام مطلعها :

أراكَ أكبرتَ إدماني على الدِّمنِ

وحمليَ الشوقَ من بادٍ ومكتمِنِ

وهي في ديوانه ، ٣/ ٣٣٧ - ٣٣٩ ، وليس فيها هذا البيت .

(٣) ينظر يتيمة السلطان ، ص ١٦٢ ، وعيون الأخبار ، ٢/ ٢٢ ، وفيه : «وقرأت في كتاب للهند» ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٧٦ ، وفيه : «وقال بعض حكماء الهند» .

(٤) ديوانه ، ص ١٨٣ ، وهو عجز بيت وصدره : «ولو نثا غيره جاءني» .

(٥) ديوانه ، ص ٩٦ ، والمخيلة : الخيلاء والتكبّر ، والعريّض : المعترض فيما لا يعنيه ، والموضحة : الشجّة تبدي عن وضح العظم وبياضه ، أي تمنع المتكبّرَ ضربةٌ شديدة ، وكأرغب الكلم أي كأوسعه .

(٦) هذا عجز بيت للأخطل ، ينظر ديوانه ، ١/ ٢٠٢ ، وصدره : «حتى استكانوا وهم مني على مضض» .

وقالت الحكماءُ : إذا لم يُنْجِكَ الخيرُ أنجاكَ الشرّ[1] . وقال الفند الزِّمَّاني[2] :

وفي الشرِّ نجاةٌ

حين لا ينجيك إحسانُ[3]

ويقولون : العجلةُ موكّلٌ بها الزلل[4] . وقال القطامي[5] :

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له

ما يشتهي ولأمِّ المخطيءِ الهَبَلُ

قد يُدركُ المتأنّي بعضَ حاجته

وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ[6]

وفي كتاب الهند : من علامة الصديق أن يكونَ لصديقِ صديقهِ صديقاً ، ولعدوِّ صديقهِ عدّواً[7] ، فقال الشاعرُ[8] في مثلهِ :

---

(١) من أمثالهم : «قد يُدفع الشرّ بمثله إذا أعياك غيره» . ينظر مجمع الأمثال ، ٢/ ٤٨٥ ، وساق بيت الفند .

(٢) الفند الزِّمَّاني : شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمَّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، والفند لقب غلب عليه ، وهو القطعة العظيمة من الجبل . شاعر جاهلي ، فارس . شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة . تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها ضمن كتاب [عشرة شعراء مقلون] ، ص ٩ .

(٣) شعره ، ص ٢٢ .

(٤) ينظر العقد الفريد ، ٢/ ٣٦٠ .

(٥) القطامي : لقب واسمه عُمير بن شييم بن عامر بن بكر بن عبّاد . . . بن تغلب بن وائل . شاعر إسلامي مقلّ مجيد ، كان نصرانياً فأسلم وضعه الجمحي في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ووصفه بأنّه شاعر فحل رقيق الحواشي . تنظر جمهرة أشعار العرب ، ٢/ ٨٠٣ في مشوبته المشهورة مع مصادر المحقق .

(٦) ديوانه ، ص ٢ .

(٧) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٦ ، وفيه : «وقرأت في كتاب للهند» ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٠٦ ، ويتيمة السلطان ، ص ١٥٩ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٨٧ .

(٨) هو صالح بن عبد القدوس كما في حماسة البحتري ، ص ٢٨٠ ، أو العتابي كما في عيون الأخبار ، ٣/ ٦ ، أو عبد الله بن المخارق كما في الحماسة البصرية ، ٢/ ٤٣ .

تـــودُّ عــدّوي ثـــمَّ تــزعـــم أنّـــنـــي
صـديـقُــك ، إنَّ الـرأيَ عــنـكَ لـعـازبُ

ولـيـس أخـــي مَــنْ ودَّنــي رأيَ عـيـنـه
ولـكـنَّ أخـي مَنْ صَـدَّقَـتْـه الـمغـايـبُ[1]

وتقولُ الحكماءُ : السكوتُ أخو الرضا[2] . قال الشاعر :[3]

بـنـي هـلال ألا فــانـهــوا سـفـيـهـكُـمُ
إنَّ الــسـفـيــهَ إذا لــم يُـنْـهَ مـأمـورُ[4]

وقال الشاعر :

رأيــتُ أخــا الــدنـيــا وإن بــاتَ آمـنـاً
عـلـى سَـفَـرٍ يُـسـرى بـه وهـو لا يـدري

وأصحابُ الفقه ، والحكّامُ يروَن مقاطعَ الحقوقِ في ثلاث : يمين ، أو محاكمة ، أو حجّةَ ، وقد جَمَعَ ذلك زهير في قوله :

فــإنَّ الـــحـــقَّ مـــقـــطـــعـــهُ ثـــلاثٌ
يـــمـــيـــنٌ أو نـــفـــارٌ أو جَـــلاءُ[5]

وأُنْشِدَ[6] عمر بن الخطاب رحمه الله هذا البيتَ فجعل يعجب من معرفتِهِ

(١) حماسة البحتري ، ص ٢٨٠ لصالح ، وهما للعتابي في عيون الأخبار ، ٣/ ٦ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٠٧ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٨٩ باختلاف يسير ، وهما بلا نسبة في أمالي القالي ، ١/ ٨٣ ، ورسالة الصداقة ، ص ٤٦ ، ولعبد الله بن المخارق في الحماسة البصرية ، ٢/ ٤٣ ، وينظر فيها المزيد من التخريج .

(٢) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٠ ، وفيه أنّ القائل هو حسان بن ثابت ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ١٤٨ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٥٢١ .

(٣) هو الأحوص الأنصاري ، وقد مرَّت ترجمته .

(٤) شعره ، ص ١٦١ ، باختلاف يسير .

(٥) ديوانه ، ص ٧٥ .

(٦) ينظر الشعر والشعراء ، ١/ ١٤٩ ، والبيان والتبيين ، ١/ ٢٤٠ ، والعقد الفريد ، ٥/ ٢٨١ ، والعمدة ، ١/ ٥٥ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٤٧ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٦٢ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٦٧ ، وهناك زيادة فيه هي : «. . . وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحقّ من إحدى ثلاث إمّا يمين أو محاكمة أو حجّة» .

بمقاطعِ الحقوق . وأُنْشد لعبدة بن الطبيب[1] :

والـعـيـشُ شـحٌّ واشـفـاقٌ وتـأمـيـلُ[2]

فجعلَ يكررّهُ ، ويعجبُّهُم من حُسْنِ ما قسَّم ، وفَصَّل[3] .

واللّهُ يقول : (لا يؤاخذكم اللهُ باللغوِ في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان)[4] ، وقال الشاعر[5] :

ولَـسْـتَ بـمـأخـوذٍ بـقـولٍ تـقـولُـه

إذا لـم تَـعـمَّـد عـاقـدات الـعـزائـمِ[6]

وقالت العجمُ : مَنْ لم يكن عقلهُ أغلبَ خصال الخيرِ عليه ، كان حتفهُ في أغلب خَصال الشرِّ عليه[7] ، وقال الشاعر[8] في نَحوه :

رأيـتُ الـلِّـسـانَ عـلـى أهـلـه

إذا سـاسَـه الـجـهـلُ لـيـثـاً مـغـيـرا[9]

وفي كتاب الهند : ليس من خصلة هي للغنيِّ مدحٌ إلاّ وهي للفقير ذمٌّ . فإن كان شجاعاً قيل : أهوج ، وإن كانَ وقوراً : قيل بليد ، وإن كان لَسِناً قيل :

---

(١) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم من شعراء تميم ، أدرك الإسلامَ وأسلم وحسن إسلامه . شارك في فتوح العراق . توفي بعد سنة عشرين للهجرة . تنظر مقدمة شعره المجموع ومصادرها .

(٢) ينظر شعره ، ص ٧٥ ، وهو عجز بيت وصدره [والمرء ساعٍ لأمر ليس يدركه] .

(٣) ينظر البيان والتبيين ، ١/ ٢٤٠ ، والحيوان ، ٣/ ٤٦ ، وبهجة المجالس ، ١/ ١١٧ .

(٤) المائدة ، ٨٩ .

(٥) هو الفرزدق .

(٦) ديوانه ، ٢/ ٣٠٧ ، باختلاف يسير .

(٧) ينظر البيان والتبيين ، ١/ ٨٦ ، ونُسب إلى بعض الأولين ، وعيون الأخبار ، ١/ ٣٣٠ ، والكامل ، ١/ ١٠٤ ، ونُسب إلى أردشير باختلاف .

(٨) البيت غير منسوب لشاعر بعينه .

(٩) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٣٣٠ و ٢/ ١٧٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٢٨ ، والمحاسن والمساوىء ، ٢/ ٩٠ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٨٣ ، وفصل المقال ، ص ٢٠ ، ونوادر المخطوطات ، ص ٢٦٦ .

مهذار ، وإن كان زمِّيتاً قيل : عييّ[1] . وقال الشاعر[2] :

ومَنْ يفتقرْ في قومِه يحمدِ الغنى
وإن كان فيهم ماجدَ العمّ مخولا

يمنّون إن أعطوا ويبخلُ بعضُهم
ويُحسبه عيّاً سكتُه إن تجمّلا

ويزري بعقلِ المرءِ قلةُ مالِه
وإن كان أقوى من رجالٍ وأحولا[3]

ومن حكَمِ الشعراءِ قولُ الشاعر[4] :

إذا أنتَ جاريْتَ السفيهَ كما جرى
فأنتَ سفيهٌ مثله غيرُ ذي حلمِ

إذا أمِنَ الجهالُ جهلَكَ مرّةً
فعرْضُك للجُهّالِ غُنْمٌ من الغُنْمِ

فلا تَقْرِضَنْ عِرضَ السفيهِ وداره
بحلمٍ ، فإن أعيا عليكَ فبالصَّرْمِ

وَغَمٌّ عليه الحلمَ والجهلَ والقَه
بمرتبةٍ بين العداوةِ والسلمِ

---

(١) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٣٩ ، ويتيمة السلطان ، ص ١٥٩ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٣٦ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٢٠٩ .

(٢) هو جابر بن الثعلب الطائي ، كما في الحماسة البصرية ، ١/ ٣٥٠ ، وشرح الحماسة للتبريزي ، ١/ ٢٩٢ ، وسمط اللآلي ، ٢/ ٨٤٢ ، وهو شاعر جاهلي ، ينظر شعر طيء وأخبارها ، ٢/ ٣٥٩ .

(٣) تنظر المصادر السابقة ، وشعر طيء وأخبارها ، ٢/ ٣٦١ باختلاف يسير ، وفيه مزيد من التخريج .

(٤) هو مروان بن الحكم كما في بهجة المجالس ، ٣/ ٦٢٣ ، ويبدو أنه كان شاعراً إذ نجد المرزباني يترجم له في معجم الشعراء ، ص ٣٩٦ .

لـيـرجـوكَ تـارات ويـخـشـاكَ تـارةً

وتـأخـذ فـيـمـا بـيـن ذلـك بـالـحـزمِ

فإن لـم تَجدْ بُدّاً من الجهـلِ فاستَعِنْ

عـلـيـه بـجـهّـالٍ فـذاكَ مـن الـعَـزْمِ [1]

وقال كثيّر :

ومَـنْ لا يـغـمِّـضْ عـينَـه عـن صـديقـه

وعـن بعـضِ مـا فيـه يَمُـتْ وهـو عـاتـبُ

ومَـنْ يتَّـبـعْ مـن صـاحـبٍ كـلَّ عثـرة

يـجـدْها ولا يسلـمْ لـه الدَّهـرَ صـاحـبُ [2]

وأنشد ابن الأعرابي [3] :

أغـمِّـضُ لـلـصـديـقِ عـن الـمـساوي

مـخـافـة أن أعـيـشَ بـلا صـديـقِ [4]

والسابق إلى هذه ، النابغةُ . قال :

ولَـسْـتَ بـمـسـتـبـقٍ أخـاً لا تـلـمُّـه

علـى شَعَـثٍ ، أيُّ الرجـالِ الـمـهـذَّبُ [5]

---

(١) بهجة المجالس ، ٣/ ٦٢٣ ، باختلاف .

(٢) ديوانه ، ص ١٥٤ .

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي كما في رسالة الصداقة والصديق ، ص ١٩ ، وهو حرملة ابن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان . . . ، شاعر جاهلي قديم من طيىء ، كان نصرانياً وأدرك الإسلام ، وفي إسلامه أقوال . من فنونه الوصف والرثاء . تنظر مقدّمة شعره مع مصادرها .

(٤) ديوانه ، ص ١٢٥ ، باختلاف .

(٥) ديوانه ، ص ٥٦ .

وقال سويد بن الصامت [١] :

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى
مقالتَه بالغيبِ ساءَكَ ما يفري

مقالته كالشهدِ ما كنتَ شاهداً
وبالغيبِ مأثور على ثغرةِ النَّحْرِ

تُبين لكَ العينان ما هو كاتمٌ
وما جنَّ للبغضاءِ بالنظرِ الشزرِ

فَرِشني بخيرٍ طالما قد بريتني
وخيرُ الموالي مَنْ يريشُ ولا يبري [٢]

وقالَ رجلٌ من غطفان [٣] :

إذا أنتَ لم تَسْتَبقِ ودَّ صحابة
على دَخَنٍ أكثرتَ ردَّ المعايبِ

وإنّي لأستبقي امرأ السوءِ عدَّةً
لعدوةِ عرِّيضٍ من الناسِ عائبِ

---

(١) سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي بن قيس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري ، صحابيٌّ من الذين شهدوا غزوة أحد ، وهو شاعر مقلّ ، تنظر الإصابة ، ٢/ ٩٩ ، رقم [٣٥٩٩] ، وفي طبقات ابن سعد ، ٣/ ٥٥٢ ذكر لرجل اسمه سويد بن الصامت قُتل في الجاهلية فهيّج قتله وقعة بعاث .

(٢) الأبيات منسوبة إلى سويد باختلاف يسير في عيون الأخبار ، ٣/ ٨١ ، وأمالي القالي ، ٢/ ١٩٨ ، والبيان والتبيين ، ٤/ ٦٦ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٨٦ ، ورسالة الصداقة والصديق ، ص ٩٧ ، والثالث وحده بلا نسبة في جمهرة الأمثال ، ١/ ٥٥٠ ، والرابع وحده بلا نسبة في الفصول والغايات ، ص ٣٦٣ ، وهي منسوبة إلى عمير بن حباب في لسان العرب ، ٥/ ٢٠٨ .

(٣) نُسبت الأبيات إلى النعمان بن حنظلة العبدي في حماسة البحتري ، ص ٢٤٩ ، وإلى رجل من بني عبد الله بن غطفان في الحيوان ، ١/ ٣٦٨ ، وإلى ابن دارة في رسالة الصداقة والصديق ، ص ٢٦٦ .

أخافُ كلابَ الأبعدين ونَبْحَها

إذا لم تجاوبُها كلابُ الأقاربِ [(١)]

وقال النّعمان بن بشير [(٢)] :

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلاً

وأدرك للمولى المعاندِ بالظلمِ

وإنّي متى ما يَلْقَني صارماً له

فما بيننا عند الشدائدِ من صَرْمِ

فلا تعدد المولى شريكك في الغنى

ولكنّما المولى شريكُكَ في الغُرْمِ

إذا مَتَّ ذو القُربى إليكَ برحمه

وغشَّك واستغنى فليس بذي رحمِ

ولكنَّ ذا القُربى الذي يستخفّهُ

أذاكَ ومَنْ يرمي العدوَّ الذي ترمي [(٣)] .

وقال كعبُ بنُ زهير :

وليس لمَنْ لم يركبِ الهولَ بغيةٌ

وليس لرِجْلٍ حطّها اللهُ حاملُ

إذا أنتَ لم تُقْصِرْ عن الجهلِ والخنا

أصبتَ لبيباً أو أصابَك جاهلُ [(٤)]

---

(١) حماسة البحتري ، ص ٢٤٩ ، والحيوان ، ١/ ٣٦٨ ، والصداقة والصديق ، ص ٢٦٦ ، باختلاف يسير .

(٢) النعمان بن بشير الأنصاري أول مولود يولد للأنصار بعد الهجرة ، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو ابن ثماني سنين . شاعر معروف ، بيته من بيوتات الشعر المعرقة . شارك في الأحداث السياسية في العصرين الإسلامي والأموي ، وله فيها شعر كثير . قُتل سنة أربع وستّين للهجرة . تنظر مقدّمة شعره مع مصادرها .

(٣) شعره ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤) شرح ديوانه ، ص ٢٥٧ ، باختلاف يسير .

وقال آخر :

تـرى الـشـيء مـمّـا تـتّـقـي فـتـخـافـه
ومـا لا يُـرى مـمّـا يـقـي الـلـه أكـثـرُ

وقال إياسُ بن قتادة [1] :

تـعـاقِـبُ أيـديـنـا ويـحـلـم رأيُـنـا
ونـشـتـم بـالأفـعـالِ لا بـالـتـكـلُّـمِ [2]

وقال :

إنّـي امـرؤ يـذبُّ عـن حـريـمـي حـلـمـي وتـركـي الـلـؤمَ لـلـئـيـمِ
والحلمُ أحمى من يدِ الظلومِ [3]

ونحوه قال الأحنف : وجدتُ الحلمَ أنْصَرَ لي من الرجال [4] . وقال امرؤ القيس :

فـإنَّـك لـم يَـفْـخَـرْ عـلـيـكَ كـفـاخـرٍ
ضـعـيـفٍ ولـم يـغـلِـبْـكَ مـثـلُ مـغـلَّـبِ [5]

وقال سويد [6] :

(1) إياس بن قتادة : بن أوفى بن مؤلة بن عتيبة بن عميرة بن مُلادس بن عبشمس ، فارس شجاع ، ابن أخت الأحنف ، حمل ديات الأزد أيام حرب مسعود . ينظر جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٥ .

(2) في الحماسة البصرية ، ١/ ٣٠ ، والممتع ، ص ٣٥٠ نسب إلى معبد بن علقمة وهو شاعر جاهلي ، وينظر التخريج هناك . وهو بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٦ و ٢/ ١٧٨ .

(3) بلا نسبة في عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٦ ، وفيه : [والعلم] بدل [والحلم] وفي الهامش : «كذا في الأصول ولعلّه والحلم» .

(4) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٦ .

(5) ديوانه ، ص ٩٩ .

(6) هو سويد المراثد الحارثي ، ويقال له سويد المراثي . شاعر مقلّ تغلب على شعره الحكمة ، ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ١٨٦ ، وشرح التبريزي للحماسة ، ٢/ ٣٢٠ .

إنّي إذا ما الأمرُ بيّن شكُّه

وبدتْ بصائرُه لمن يتأمّلُ

أدعُ التي هي أرفقُ الحالات بي

عند الحفيظةِ للتي هي أجملُ[1]

وقال زهير :

السترُ دونَ الفاحشات ولا

يلقاكَ دونَ الخير من سترِ[2]

وقال حسّان أو ابنُه :

وإنَّ امرأً يمسي ويُصبحُ سالماً

من الناسِ إلاّ ما جنى لَسَعيدُ[3]

وقال الفرزدق :

تصرّمَ عنّي ودُّ بكرِ بنِ وائل

وما خلتُ عنّي ودَّهم يتصرَّمُ

قوارصُ تأتيني ويحتقرونها

وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيفعم[4]

وقال كثيّر ، وذكر النساءَ وسياستهَ لهنَّ :

يحاذرن منّي غيرةً قد علمْنَها

قديماً فما يضحكنَ إلاّ تبسُّما

(١) ينظر البيان والتبيين ، ٣/ ٢٤١ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٢٨٩ ، منسوبان إليه .

(٢) ديوانه ، ص ٩٥ .

(٣) ديوان حسّان ، ١/ ٤١٤ ، وفيه عرض شامل لتنازع البيت بين حسّان وابنه .

(٤) ديوانه ، ٢/ ١٩٥ ، باختلاف يسير .

تـــراهُـــنَّ إلاّ أن يـــؤدِّيـــنَ نـــظـــرةً
بـمـؤخّـر عـيـنٍ أو يـقـلّـبـن مـعـصـمـا
كـــواظـــم مـــا يـــنـــطـــقـــن إلاّ مـــحـــورةً
رجـيـعـة قـولٍ بـعـدَ أن تـتـفـهَّـمـا
وكُـــنَّ إذا مـــا قُـــلْـــنَ شـــيـــئـــاً يـــســـرُّه
أسـرّ الـرّضـا فـي نـفـسـه وتـجـرَّمـا [1]

وقال القطامي [2] :

ومـعـصـيـةُ الـشـفـيـقِ عـلـيـكَ مـمّـا
يـــزيـــدك مـــرَّة مـــنـــه اســـتـــمـــاعـــا
وخـيـرُ الأمـورِ مـا اسـتـقـبـلـتَ مـنـه
ولـــيـــس بـــأن تـــتـــبّـــعـــه اتـــبـــاعـــا
كـــذاك ومـــا رأيـــت الـــنـــاسَ إلاّ
إلـــى مـــا جـــرَّ غـــاويـــهـــم ســـراعـــا
تـــراهـــم يـــغـــمـــزون مَـــنْ اســـتـــركُّـــوا
ويـجـتـنـبـون مَـنْ صـدق الـمـصـاعـا [3]

الحكمة في منثور كلام العرب ومسجعه

قال أكثمُ بن صيفي : تباعدوا في الديارِ تقاربوا في المودَّة [4] .

---

(١) ديوانه ، ص ١٣٦ ، كواظم : صامتات . المحورة : الجواب . رجيعة قول : ردّاً على قول . التجرّم : ادعاء الجرم دون أن يكون حاصلاً .

(٢) مرَّت ترجمته .

(٣) ديوانه ، ص ٣٩ .

(٤) ينظر البيان والتبيين ، ٢/ ٧٠ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ٨٨ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٢٦ و ٣/ ٧٧ و ١٠٣ .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى : مُرْ ذوي القراباتِ أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا [1] .

وقيل لأعرابي : ما تقولُ في ابنِ عمِّك؟ قال : عدوّك وعدوُّ عدوِّك .

وقال معاوية : ما رأيتُ شرفاً قطّ إلاّ وإلى جانبه حقٌّ مضيَّع [2] .

وقال عمرو بن العاص ليس العاقلُ الذي يعرفُ الخيرَ من الشرّ ، ولكنَّه يعرفُ خيرَ الشرّين [3] .

وقال زياد : ليس العاقلُ الذي يحتال للأمرِ إذا وقع فيه ، ولكنَّ العاقلَ الذي يحتالُ للأمرِ أن لا يقعَ فيه [4] .

وقال أكثم بن صيفي لقومٍ أرادوا محاربةَ قومٍ : أقلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أنَّ كثرةَ الصياحِ من الفشل ، والمرءُ يعجزُ لا المحالة ، تلبّثوا فإنَّ أحزمَ الفريقين الركين ، وربَّ عجلة تَهَبُ رَيْثاً ، وابرزوا للحرب ، وادَّرعوا الليلَ فإنَّه أخفى للويل ، ولا جماعةَ لمنِ اختلفَ [5] .

وقال أبجرُ بن جابر لابنه : إذا قدمنا المصرَ فاستكثر من الصديق ، فأمّا العدوّ فلا يهمنّنكَ . وإيّاك والخطب فإنَّها مشوارٌ كثيرُ العثار [6] .

---

(١) ينظر عيون الأخبار ، ٣/ ٨٨ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٢٦٦ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٩ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٣٢٦ و٣/ ١٠٣ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٢٨١ .

(٢) ينظر البيان والتبيين ، ٣/ ٢٦٧ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٣٣٢ ، وزهر الآداب ، ١/ ٥٣ .

(٣) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٠ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٤٦ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣١ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٦٨ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٥٣٥ .

(٤) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٠ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٤١ .

(٥) ينظر عن هذه الأقوال المعمرّون والوصايا ، ص ١٦ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٠٨ ، والعقد الفريد ، ١/ ٩٧ ، ونثر الدر ، ٦/ ٣٩٢ ، وشرح نهج البلاغة ، ٤/ ٥٤٣ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٩٣ ، ونهاية الأرب ، ٦/ ٨ .

(٦) ينظر المعمرون والوصايا ، ص ١٣٩ ، وفيه [النشوار] بدل [المشوار] وعلّق المحقّق بقوله : «والنشوار ما تبقيه الدابة من علفها ، والمراد أنَّ الخطب فيها فضل كلام لا يؤمن الصواب فيه فيعثر اللسان» ، وهو تأويل بعيد ، وفي جمهرة الأمثال ، ١/ ١٨٧ : «الخطبة مشوار كثير العثار» ، وقول أبجر في غريب الحديث ، ١/ ٥٥٨ ، ولسان العرب ، ٤/ ٤٣٦ ، ويفسّران المشوار بأنّه المكان الذي تعرض فيه الدواب ، أي إنَّ الخطيب يعرض عقله في الخطبة ، وربّما أخطأ ، وهو أليق بالسياق .

وقال أكثم : الانقباضُ مكسبةُ العداوة ، وإفراطُ الأنس مكسبةٌ لقرناءِ السوء[1] .

وقال أعرابي : اللّهُ يخلفُ ما أتلفَ الناس ، والدّهرُ يُتلف ما جمعوا[2] .

وكم من منيَّة علقها طالبُ الحياة ، وحياة سببُها التعرّضُ للموت . وقال أبو بكر رحمه الله لَخالد بن الوليد : احرص علَى الموت توهَب لكَ الحياة[3] .

والعربُ تقول : اشتدّي تنفرجي[4] . العدم عدم العِقل[5] . السخاءُ وشكُ البذل . بقاءُ المودَّة التعّهد[6] . إن يثقل الشكر فلا تخف الكفر . من التواني والعجز نتجت الفاقة[7] . عيّ الصمت أحمدُ من عُسر النطق[8] ، كثيرُ النُصح يهجم على كثيرِ الظنّة[9] . لكلٍّ ساقطةٍ لاقطة[10] . من مأمنه يؤتى الحذر[11] .

---

(1) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٣٢٩ ، والأمثال ، ص ٢٢٠ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٥٠٣ ، ونثر الدرّ ، ٤/ ١٧٦ ، والمعمرون والوصايا ، ص ٢٣ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٩٥ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٦٧٤ و ٣/ ١٩٢ والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٦ .

(2) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ١٢٦ .

(3) ينظر رسائل الجاحظ ، ٢/ ٣٧٧ ، وعيون الأخبار ، ١/ ١٢٥ و ١٢٦ ، وغريب الحديث ، ٢/ ٣٢٨ ، والعقد الفريد ، ١/ ٢١ و ١٠٠ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٢٢٤ .

(4) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٣ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٨١ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٢١٨ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٩٠ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٣ .

(5) ينظر الفاخر ، ص ٢٦٣ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٩٦ .

(6) ينظر الفاخر ، ص ٢٦٣ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٩٦ ، والوسيط ، ص ١٤٩ .

(7) ينظر الفاخر ، ص ٢٦٣ ، والمستقصى ، ٢/ ٣٤٩ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٣٣٣ ، والأمثال ، ص ٢٠٠ ، والعقد الفريد ، ٣/ ١٠٨ ، والوسيط ، ص ١٤٩ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٩٣ .

(8) ينظر الأمثال ، ص ٤٤ ، والمستقصى ، ٢/ ٣٤٩ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٣٥٥ ، وأدب الخواص ، ص ٧٥ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٩٤ .

(9) ينظر جمهرة الأمثال ، ١/ ٤٩٥ و ١٢١ و ١٦١ و٢/ ٤٩٥ ، والمستقصى ، ٢/ ٢١٥ ، والفاخر ، ص ٢٦٣ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ١١٦ ، والكامل ، ٣/ ١٥٠٢ ، والوسيط ، ص ١٤٦ .

(10) ينظر الأمثال ، ص ٤١ ، وفصل المقال ، ص ٢٣ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ١١٥ ، والمستقصى ، ٢/ ٢٩٢ ، والفاخر ، ص ١٠٩ ، وأدب الكاتب ، ص ٥٨ ، والحيوان ، ١/ ٢٠١ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٨٠ ، والزاهر ، ١/ ٣٥٠ .

(11) ينظر الأمثال ، ص ٣٢٧ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٧١ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٣٢٩ ، والمستقصى ، ٢/ ٣٥٢ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٧٧ .

اسْعَ بجدٍّ أو دع [١] . جَدُّك لا كدُّك [٢] . سيّدُ القومِ أسبقُهم فكُنْه . رُبَّ قولٍ أنفذُ من صولٍ [٣] . لا تَبُلْ على أكمة ولا تُفْشِ سراً إلى أمة [٤] . مقتلُ الرجلِ بين التقدّم قبل التندّم [٥] . لم يذهبْ من مالكَ ما وعظك [٦] .

مَنْ حفظ مالَه حفظ الأكْرَمَينْ [٧] . قتل أرضاً عالمها قتلت أرضٌ جاهلَها [٨] . لا يُرَحِّلُ رحلَك مَنْ ليس معك [٩] . منكَ مَنْ أعتبك [١٠] . الدالُّ على الخير كفاعله [١١] . قلّ ابن ذلّ [١٢] الحرُّ حرٌّ وإن مسَّه الضرّ والعبد عبد وإن كان في رغد [١٣] . ليس من العدلِ سرعةُ العذل [١٤] . المسألةُ آخرُ كسب المرء [١٥] .

---

(١) ينظر جمهرة الأمثال ، ١/ ١٢٩ ، وفصل المقال ، ص ٢٨٤ ، والمستقصى ، ١/ ١٦٨ ، والأمثال ص ١٩٣ ، وديوان المعاني ، ٢/ ٢٤٧ ، والوسيط ، ص ٥٧ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٩٣ .

(٢) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٣٠٦ ، وفصل المقال ، ص ٢٨٥ ، والفاخر ، ص ٢٥٢ ، والأمثال ، ص ١٩٣ ، والوسيط ، ص ٧٧ ، وبهجة المجالس ، ١/ ١٨٦ ، ٣/ ١٩٣ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٣٠٢ .

(٣) ينظر الأمثال ، ص ٤١ ، والمحاسن ، والمساويء ، ٢/ ٩٠ ، وفصل المقال ، ص ٢٣ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ٢٩ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٤٧٦ و ٢/ ٩٢ ، وأدب الخواص ، ص ٦٤ ، والممتع ، ص ٢٨٣ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٢ و ٣/ ٧٨ ، والمستقصى ، ٢/ ٩٨ ، والفاخر ، ص ٢٦٥ .

(٤) ينظر جمهرة الأمثال ، ٢/ ٣٧٨ ، والفاخر ، ص ٢٦٤ ، والمستقصى ، ٢/ ٢٥٧ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٢٣ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ١٥٦ ، والأمثال ، ص ٥٧ و ٨٥ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٨٤ ، والمعمرون والوصايا ، ص ١٥ .

(٥) ينظر الفاخر ، ص ٢٦٤ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٢٣٩ .

(٦) ينظر العقد الفريد ، ٣/ ١٠٧ ، والمستقصى ، ٢/ ٢٩٥ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٢٧٧ ، والأمثال ، ص ١٩٤ ، والأمالي ، ١/ ١١٦ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٨٨ .

(٧) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٤٤ ، والأكرمان : الدين والعرض .

(٨) ينظر مجمع الأمثال ، ٢/ ٥٠٤ ، والأمثال ، ص ٢٠٥ ، والمستقصى ، ٢/ ١٨٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ١٢١ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٨٠ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٨٩ .

(٩) ينظر جمهرة الأمثال ، ٢/ ٣٩٦ ، والمستقصى ، ٢/ ٢٦٩ ، والأمثال ، ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ، ٣/ ١٢٧ ، والأمالي ، ١/ ١٣٢ .

(١٠) ينظر المعمرون والوصايا ، ص ١٧ .

(١١) ينظر جمهرة الأمثال ، ١/ ٤٩٤ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ٢٤٥ ، والوسيط ، ص ٤٩ ، والمعمرون والوصايا ، ص ١٨ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٧٩ ، والمستقصى ، ١/ ٣١٧ ، ومجمع الأمثال ، ١/ ٤٧١ ، والفاخر ، ص ١٤٣ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٣ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٦١ .

(١٢) قريبٌ منه في جمهرة الأمثال ، ١/ ٤٦٦ ، و٤٩٥ و ٢/ ٢٣٥ .

(١٣) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٣٦٩ ، والفاخر ، ص ٢٦٥ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٩٢ ، وتمثال الأمثال ، ١/ ٢٩٥ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٧٨ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٢٢١ ، وبهجة المجالس ، ٢/ ٧٩٢ .

(١٤) ينظر الأمثال ، ص ٢٦٧ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٩٢ و ١٩٢ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ٤٩ ، والمستقصى ، ٢/ ٣٠٨ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ١٩٩ ، والبخلاء ، ص ١٨٧ ، والعقد الفريد ، ٢/ ١٤٢ و ٣/ ٧٨ و ١٢٩ .

(١٥) ينظر الأمثال ، ص ٢٨٧ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٢٧٨ ، والمستقصى ، ١/ ٣٤٦ ، وفصل المقال ، ص ٤٠٧ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ١٩٠ ، والمعمرون والوصايا ، ص ١٣٥ .

الحليمُ مطيّةُ الجهول [1] . مَنْ سلك الجَدَد أمن العثار [2] . آخِ كريماً أو دَعْ . يدٌ تشجّ وأخرى تأسو [3] . حسبُكَ من شرٍّ سماعُه [4] . تذكّر قبل الورود الصَّدَر . كفى بالمرء عاراً أن يُنسبَ إلى أمّه [5] . شرُّ النصرة التعدّي . أسرعُ الذنوب عقوبةً البغيُ [6] . [   ] [7] الرفد لا النعم . اليأسُ عونٌ على الصَّبر . مَنْ يئس من شيء استغنى عنه [8] . الاستطالةُ تهدمُ الصنيعة . القدرةُ تُذهب الحفيظة [9] . الصبرُ من أسباب الظفر [10] . لا يغني الحَذَرُ من قَدَر [11] . استقبالُ الموت خيرٌ من استدباره . الكلامُ مصائدُ القلوب . خيرُ الحفظ ما كان في المغيب . فَقْدُ الأحبّة غربة [12] . تطأطأ لها تُخْطك [13] . أحقُّ مَنْ أعطيتَ مَنْ إن سألتَه لم يمنعْك . الاجتماعُ حصنٌ . الفقرُ في الوطنِ غربة [14] . الغنى في الغربةِ وطن [15] .

---

(1) ينظر مجمع الأمثال ، 1/ 375 ، والمستقصى ، 1/ 313 ، والعقد الفريد ، 3/ 104 ، وعيون الأخبار ، 1/ 284 ، والأمثال ، ص 150 ، وديوان المعاني ، 1/ 133 ، وجمهرة الأمثال ، 1/ 351 ، وبهجة المجالس ، 2/ 618 ، وسرح العيون ، ص 33 .

(2) ينظر الأمثال ، ص 218 ، وجمهرة الأمثال ، 2/ 256 ، ومجمع الأمثال ، 3/ 320 ، والمستقصى 2/ 356 ، وفصل المقال ، ص 315 ، والعقد الفريد ، 3/ 111 ، ونهاية الأرب ، 3/ 52 .

(3) ينظر الأمثال ، ص 52 و 304 ، وفصل المقال ، ص 47 ، ومجمع الأمثال ، 3/ 521 ، والمستقصى ، 2/ 411 ، والعقد الفريد ، 3/ 83 ، والمحاسن والمساوىء ، 2/ 214 ، ونهاية الأرب ، 3/ 60 .

(4) ينظر جمهرة الأمثال 1/ 344 و 2/ 265 ، ومجمع الأمثال ، 1/ 345 ، والمستقصى ، 1/ 62 ، والتمثيل والمحاضرة ، ص 327 ، والأمثال ، ص 72 ، والعقد الفريد ، 2/ 444 ، والمعمرون والوصايا ، ص 17 ، ونهاية الأرب ، 3/ 26 .

(5) ينظر المعمرون والوصايا ، ص 17 .

(6) ينظر مجمع الأمثال ، 1/ 191 بلفظ قريب .

(7) كلمة غير مقروءة ، ولعلّها [يسير] .

(8) ينظر شرح نهج البلاغة ، 3/ 159 .

(9) ينظر مجمع الأمثال ، 1/ 20 ، والمستقصى ، 1/ 349 ، والأمثال ، ص 155 ، والعقد الفريد ، 2/ 156 ، وديوان المعاني ، 1/ 221 ، وعيون الأخبار ، 1/ 103 و 288 .

(10) ينظر مجمع الأمثال ، 1/ 272 ، والعقد الفريد ، 3/ 34 ، ونسبة إلى أرسطو .

(11) ينظر جمهرة الأمثال ، 1/ 181 ، ومجمع الأمثال ، 1/ 103 ، والعقد الفريد ، 3/ 119 .

(12) ينظهر المستقصى ، 2/ 181 ، ومجمع الأمثال ، 2/ 460 .

(13) ينظر مجمع الأمثال ، 1/ 239 ، والمستقصى ، 2/ 29 ، وعيون الأخبار ، 1/ 291 .

(14) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص 392 ، وعيون الأخبار ، 1/ 245 .

(15) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص 392 ، وعيون الأخبار ، 1/ 245 ، والعقد الفريد ، 3/ 79 .

الشر يبد[ؤه] [1] صغاره [2] . كم مطرٍ بدؤه مطير . الحلال يقطرُ والحرام يسيل [3] ، ومثله قولُ الشاعر :

إنَّ الـحـرامَ غـزيـرةٌ حـلـبـاتُـه

ورأيـتُ حـالـبـةَ الـحـلال [ ] [4]

تركُ الذنب أيسرُ من طَلَب التوبة [5] . عداوةُ العاقل خيرٌ من صداقة الأحمق [6] . مِنَ البلاء أن تُعنَّى بحظِّ غيرك . مَنْ غَلَبَ شَهوتَه [ ] [7] .

مَنْ غلبَ هواه فهو الرجل . الولوعُ بالشرِّ ظَفرٌ به . المرءُ بأصغريه [8] . خيرُ مالكَ ما وقاكَ وشرُّه ما وقيته . مَنْ حقر حُرم [9] . كلٌّ ما هو آت قريب [10] . أولَى الأمور بالنُّجح المواظبة [11] . حفظُ ما في الوعاء شدُّ الوكاء [12] . تلافيك ما فاتك في صمتك أيسرُ من ادراكك ما فرط في منطقك . حفظُ ما في يدكَ خيرٌ من طلبك ما في يدِ غيرك [13] . ظلمُ الضعيف أفحشُ الظلم [14] . مَن

---

(1) ما بين المعقوفين غير مقروء في المخطوط ، والزيادة من المصادر القادمة .

(2) ينظر فصل المقال ، ص ٢٣٢ ، والمستقصى ، ١/ ٣٢٦ ، ومجمع الأمثال ، ٢/ ١٦٢ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٥٥٠ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٢٧ ، والأمثال ، ص ١٥٢ ، والمعمرّون والوصايا ، ص ١٨ .

(3) ينظر بهجة المجالس ، ١/ ١٤٤ .

(4) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة .

(5) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٢١٤ ، والمستقصى ، ٢/ ٢٤ ، والأمثال ، ص ٦٤ ، والعقد الفريد ، ٣/ ٨٦ ، والوسيط في الأمثال ، ص ٨٧ .

(6) ينظر الأمثال ، ص ١٢٥ ، والمستقصى ، ٢/ ٣٤٦ ، وفصل المقال ، ص ١٨٧ .

(7) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة .

(8) ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ٣٠١ ، والمستقصى ، ١/ ٣٤٥ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٠٦ .

(9) ينظر المستقصى ، ٢/ ٣٥٥ ، والوسيط ، ص ١٦٥ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ١٧٨ ، وجمهرة الأمثال ، ٢/ ٢٤٩ .

(10) ينظر فصل المقال ، ص ٣٢٩ ،

(11) ينظر مجمع الأمثال ، ٣/ ٤٤٦ .

(12) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٣٦٧ ، والمستقصى ، ١/ ٦٨ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٠٤ ، والوكاء : كلّ سَيْر أو خيط يُشدّ به فم السِّقاء أو الاناء .

(13) ينظر بهجة المجالس ، ٣/ ١٩٥ .

(14) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٥٢ باختلاف يسير .

أسباب الحرمان التواني [1] . مَن حلم ساد ومَنْ تفهَّم ازداد [2] . إن كنتَ جازعاً على ما تَلَف مَن يديك فاجزع على ما لم يصلْ إليك . الشفيق بسوء الظنّ مولع[3] . أخِّر الشرَّ فإنَّك إذا شئتَ تعجَّلته . من الكرم منعُ الحرم [4] . ما أحقُّ مَنْ غَدَر بأنْ لا يوفى له [5] . زلَّةُ المتوقِّي أشدُّ زلَّة [6] . علَّةُ الكذوب أقبحُ علَّة[7] . الاقتصادُ يثمر اليسار . ما عال مَنْ اقتصد [8] .

لا خَيْرَ في لذَّة تعقب ندماً . المزاحُ يورث الضغائن [9] . إذا تغيّر السلطانُ تغيّر الزمان [10] . الرفيقُ قبل الطريق [11] . الجارُ ثمّ الدار [12] . الخيرُ عادة والشرُّ لجاجة [13] . الحقُّ أبلج والباطلُ لَجْلَج [14] .

فهذا ما للعرب من العلوم قد دللنا عليه بقليلِ ما ذكرنا منه ، وهو لهم خالصٌ لا يُنازَعونه ، ولا يَدَّعي أحدٌ من الأممِ أنّهم أخذوا شيئاً من ذلك عنه .

---

(١) ينظر بهجة المجالس ، ٣/ ١٩٥ .

(٢) ينظر عيون الأخبار ، ١/ ٢٨٢ ، والعقد الفريد ، ٢/ ٢٨٣ و ٤٨٠ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٩٥ .

(٣) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ١٧ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٧١ و ٥٥٥ ، والأمثال ، ص ١٨٤ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ١٥ .

(٤) ينظر العقد الفريد ، ٣/ ٧٧ و ١٠٤ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٩٦ .

(٥) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٢٣٥ باختلاف ، والمستقصى ، ٢/ ٣٥١ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٧ .

(٦) ينظر بهجة المجالس ، ٣/ ١٩٦ .

(٧) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٢٦ .

(٨) ينظر عيون الأخبار ، ٢/ ٢٦ .

(٩) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص ٢٧ ، وفيه أنّ هذا القول من سائر أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وحكمه ، وينظر ص ٤٢٨ ، ومجمع الزوائد ، ٨/ ٩٦ ، ونثر الدر ، ١/ ١٦٢ ، وبهجة المجالس ، ١/ ٢١٥ ، وعيون الأخبار ، ١/ ٣٣١ .

(١٠) ينظر المستقصى ، ١/ ٤٥٢ ، ومجمع الأمثال ، ٣/ ٢٨٦ .

(١١) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ص ١٣١ .

(١٢) ينظر مجمع الأمثال ، ٢/ ٥٢ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٢١٩ ، والمستقصى ، ١/ ٣٢٣ ، والأمثال ، ص ٧٧ .

(١٣) ينظر التمثيل والمحاضرة ، ٢٨ و ٣٢٦ ، والأمثال ، ص ١٦٩ ، ونثر الدرّ ، ١/ ١٦٢ ، وفيه أنّه حديث ، وخرّجه المحقق من سنن ابن ماجه ، ١/ ٤٩ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١١٣ ، وعيون الأخبار ، ٣/ ١٥٧ ، وفيه أنّه حديث .

(١٤) ينظر مجمع الأمثال ، ١/ ٣٦٧ ، والتمثيل والمحاضرة ، ص ٣٢٨ ، وجمهرة الأمثال ، ١/ ٣٦٤ ، وبهجة المجالس ، ٣/ ١٩٦ ، ونهاية الأرب ، ٣/ ١٥ .

وكلُّ ما يعلمهُ أهلُ فارسَ[1] فهم له متعلّمون ، وفيه لغيرِهم متبِّعون ، ولأعقابِ الأممِ واطئون .

فإن نحن سألنا عن قدماء الأطباء دُلِلنا على أبقراط[2] ، وجالينوس[3] ، وإن سألنا عن أوّل علمِ النجومِ والحسابَ دُلِلنا على كتاب إقليدس[4] ، وكتاب المجسطي[5] . وإن سألنا عن حَدِّ المنطق دُلِلنا على كتاب أرسطوطاليس . وإنْ سَأَلْنا عن علم اللحون دُلِلنا على كتابَ الموسيقا[6] ، وهذا كُلُّه للروم ، واليونان ، وليس لأهلِ فارسَ فيه إلاّ ما لغيرِهم من القابسين المستفيدين . وللرومِ الفلاحة ، وللهند الشطرنجُ ، وكتابُ كليلة ودمنة ، والحسابُ بالحروفِ التسعة[7] ، ولهم طبٌّ قديمٌ صحيحٌ عن استنباطٍ يخالفون في كثيرٍ منه اليونانيين .

ومن الدليلِ على ذلكَ ما أقرَّ به أهلُ فارسَ على أنفسهم في كتاب سِيَر ملوكهم ، فإنّهم ذكروا أنَّ سابورَ[8] لمّا أسنَّ ، وكَلَّ بَصرُهُ ، ووهنتْ قواهُ شَكَا

(١) يقول العسكري : « . . . وقد اتفقت العرب والفرس في جميع أمثالها إلاّ في هذا المثل » ، ويسوق مثلاً واحداً هو : جاور بحراً أو ملكا . ينظر جمهرة الأمثال ، ١/ ٣٠١ .

(٢) أبقراط : أو بقراط بن إيراقلس ، سيد الطبيعيّين في عصره ، له في الطبّ تآليف مشهورة في جميع أنحاء العالم ، كان فاضلاً متديّنا يعالج المرضى احتساباً ، كان في زمن أردشير ودعاه إلى معالجته فأبى وامتنع . من كتبه : عهد بقراط ، وكتاب الفصول ، وكتاب الأمراض الحادّة ، وغيرها ، وهي مترجمة إلى العربية ، ينظر تاريخ الحكماء ، ص ٩٠ ، وما بعدها ، وعيون الأنباء ، ص ٤٣ ، وما بعدها .

(٣) جالينوس : إمام الأطباء في عصره ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطبّ التي زادت على مائة كتاب ، وهو من أهل مدينة فرغاموس في أرض اليونان . من كتبه : التشريح الكبير ، تعرّف علل الأعضاء ، حركات الصدر والرئة وغيرها وكثير منها مترجم إلى العربية ، ينظر تاريخ الحكماء ، ص ١٢٢ ، وما بعدها ، وعيون الأنباء ، ص ١٠٩ ، وما بعدها .

(٤) إقليدس : بن نوقطرس بن برنيقس ، المظهر للهندسة المبرِّز فيها ، حكيم قديم العهد ، يوناني الجنس ، شامي الديار . من كتبه في الهندسة والحساب كتاب الأركان ، وكتاب اختلاف المناظر ، وكتاب الثقل والخفّة وغيرها ، ينظر تاريخ الحكماء ، ص ٦٢ ، وما بعدها .

(٥) المجسطي : من أهمّ الكتب الفلكية ، وهو ذو تأثير على تقدّم الفلك عند العرب ، وفي أوربا في القرون الوسطى ، كتبه عالم الاسكندرية بطليموس ، وترجم إلى اللغة العربية . ينظر تفصيل ذلك في الموسوعة العربية ، ص ١٦٤٨ .

(٦) لعلَّ ابن قتيبة يريد به كتاب الموسيقى لنيكوماخوس ، أو كتاب الموسيقى لفيثاغورس ، وترجم الكتابان إلى العربية منذ وقت مبكر . ينظر تاريخ الموسيقى العربية ، ص ١٨٠ .

(٧) ينظر تفصيل هذا الحساب في مفاتيح العلوم ، ص ٢٠٨ .

(٨) هو سابور ذو الأكتاف بن هرمز ، أحد الأكاسرة الأقوياء ، شبَّ ذكياً فطناً ، كانت له وقائع كثيرة مع بعض القبائل العربية مثل عبد القيس ، وتميم ، وبكر ، وتغلب . ملك اثنتين وسبعين سنة ، ينظر المعارف ، ص ٦٥٦ ، وتاريخ الطبري ، ٢/ ٥٥ .

إلى أهلِ مملكته الضّعْفَ عن سياستهم ، وأمرهم بالتماس مَنْ يضطلعُ بأمورهمَ فأكبروا ذلك ، وقطعوا به ، وَسألوه الإذنَ لهم في طَلَب الأطباء له فأذن لَهم ، فأرسلوا إلى ملك الهند رسولاً ، وبعثوا إليه بهدّية عظيمةَ ، وسألَوه أن يَبعثَ إليهم طبيباً من أفاضَل مَنْ عنده فَفَعل ، فلم يزل يُعالجُه حتى اشتدَّ عصبُه ، وانبسطَ جلْدُه ، وارتدَّ بصَرُه ، وركب للصيد ، وهشَّ للنساء . فأحسنَ مكافأة الطبيب ، وأمره أن يتخيَّر أحبَّ المواضعِ إليه من مملكته لينزلَه فاختارَ السوس [1] فسكَنها ، فورثَ طبَّه أهلُ السوس [2] .

قالوا : وقد كان أيضاً أسكنَ السوسَ سَبْياً من سبيِ الروم فتعلموا منه الطبَّ ، فصارَ أهلُ السوس أطباءَ أهلِ فارس . وهذا خبرٌ صادقٌ ؛ لأنَّا نجدُ في جامع الطبِّ المعمول بالسوس أخلاطاً هنديةَ ، وأخلاطاً رومية . فإن ادُّعيَ أنَّ الاسكندرَ لمّا دخَلَ أرضَ فارسَ ، وقتلَ فيها ، وسبى ، وأخربَ ، نَقَلَ كتبَ علومهم إلى الروم ، وترجمها بلسانهم ، وأحرقَ أصولَها التي كانت عندَهم فصارَتْ علومُهم للروم [3] . قلنا : خبرُكم هو إقرارٌ على أنفسكم يُقْبلُ فيه قولكم ، وخبرُكم الثاني دعوى لما في أيدي غيركم تحتاجونَ معه إلى إقرارِ الرومِ لكم به ، واحضارِ بيِّنة وبرهان .

تمَّ كتابُ العرب وعلومها والحمدُ للّه ربِّ العالمين

وصلّى اللّهُ على سيِّدنا محمد النبيِّ وآله الطاهرين [4]

وحسبُنا اللّهُ ونعْم المعين

وفرِغ من كَتْبهِ لنفسهِ هبةُ الله المكنى أبا

---

(١) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر النبي دانيال . يقال إنَّ أوّلَ سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستر ، وأول مَنْ حفر نهرها ، وبنى كُورَها أردشير بن بهمن . ينظر معجم البلدان ، ٣/ ٣١٩ ، ومعجم ما استعجم ، ٣/ ٧٦٧ .

(٢) ينظر المعارف ، ص ٦٥٨ ففيه هذا الخبر ، وتاريخ الطبري ، ٢/ ٦١ .

(٣) ينظر تفصيل ذلك في عيون الأنباء ، ص ١٨ ، وفيه حديث إحراق الكتب .

(٤) في الهامش قريب من هذا الموضع ختم الكتبخانة الخديوية المصرية .

الفتوح بن يوسف بن خمرتاش في شهر
ربيع الأول من سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة ،
وهو حاملٌ كفَّه ، شاكرٌ له ، مُصَلٍّ على
رسولِه المصطفى ، ونبيّه المجتبى وعلى آله
الطاهرين . غفر الله لمن دعا له بالمغفرة
وكافّة المسلمين . آمين . آمين
وفي الهامش الأيمن ما نصُّه : «قوبل وصُحّح معارضةً
بالأصل ، ولِلّه الحمدُ والمنّة»[1] .

(١) في آخر النسخة بخطٍّ مغاير حديث ما نصّه : «جامعة الدول العربية . الإدارة الثقافية . آخر النسخة . تمتّ تصويراً بدار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء ٢٦ من محرم الحرام ١٣٦٧هـ الموافق ٩ من ديسمبر ١٩٤٧م .

فهارس الكتاب

إضاءات

١– لم يرد اسم ابن قتيبة لانتشاره في أغلب صفحات الكتاب .

٢– الأعلام والقبائل التي تبدأ بأب أو ابن أو (ال) التعريف أو (آل) أو (بنو) أُهمل ما تبدأ به ، ورُتّبتْ وفق ما بعد ذلك ، فابن الأعرابي في الهمزة ، وبنو هاشم في الهاء وهكذا .

٣– أثبت العلم وفق ما عُرف ، واشتهر به ، سواء من حيث الاسم أم اللقب ، أم الكنية فأبو تمام في التاء ، والأصمعي في الهمزة ، والطبري في الطاء وهكذا .

٤ – إذا ورد العلم أو القبيلة أو الطائفة في الصفحة الواحدة غير مرة يكتفى بذكره مرة واحدة في الفهرس .

القرآن الكريم

الحديث الشريف

الصفحة

الشـــعر

أنصاف الأبيات

الأعلام

الطوائف والقبائل والأمم

الأمثال

الأماكن

المصادر والمراجع

[المقدمة والتحقيق]

١- الآثار الباقية عن القرون الخالية . أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي . باعتناء س . ادوارد ساك . لايبزج ، سنة ١٩٢٣ .

٢- ابن قتيبة . د . إسحاق موسى الحسيني . ترجمة د . هاشم ياغي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٠ .

٣- ابن قتيبة . د . محمد زغلول سلام . دار المعارف بمصر . القاهرة . سنة ١٩٦٥ .

٤- ابن قتيبة العالم الناقد الأديب . د . عبد الحميد سند الجندي . المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٦٣ .

٥- ابن قتيبة والشعوبية . د . عبد الله الجبوري . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . سنة ١٩٩٠ .

٦- الأجوبة المسكتة . ابن أبي عون الكاتب . تحقيق ودراسة د . محمد عبد القادر أحمد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . سنة ١٩٨٥ .

٧- أخبار الدولة العباسية . مؤلف مجهول . تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت . سنة ١٩٧١ .

٨- الأخبار الطوال . أبو حنيفة الدينوري . تحقيق عبد المنعم عامر . وزارة الثقافة والارشاد القومي . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٠ .

٩- الأخبار الموفقيات . الزبير بن بكار . تحقيق د . سامي مكي العاني . رئاسة ديوان الأوقاف . الجمهورية العراقية . مطبعة العاني . بغداد . سنة ١٩٧٢ .

١٠- اختيار من كتاب الممتع . عبد الكريم النهشلي ، تقديم وتحقيق د . منجي الكعبي . الدار العربية للكتاب . ليبيا . تونس . سنة ١٩٧٨ .

١١- أدب الخواص . الوزير المغربي . أعدَّه للنشر حمد الجاسر . من منشورات النادي الأدبي في الرياض . المملكة العربية السعودية . سنة ١٩٨٠ .

١٢- أدب الكاتب . ابن قتيبة الدينوري . حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٢ .

١٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري . شهاب الدين القسطلاني . دار صادر . بيروت . نسخة مصوّرة عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٤ هجرية .

١٤- الأزمنة والأمكنة . المرزوقي . طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٢ هجرية . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة بلا تاريخ .

١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب . يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر . تحقيق فضيلة الدكتور طه محمد الزيني . مطبوع على هامش الإصابة . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٦ .

١٦- أُسد الغابة في معرفة الصحابة . ابن الأثير . دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٧- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها . الأسود الغندجاني . حقّقه وقدّم له الدكتور محمد علي سلطاني . دمشق . سنة ١٩٨١ . لم يذكر مكان الطبع .

١٨- أسماء خيل العرب وفرسانها . ابن الأعرابي . تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد القادر أحمد . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٤ .

١٩- الأشربة . ابن قتيبة الدينوري . عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . سنة ١٩٤٧ .

٢٠- أشعار اللصوص وأخبارهم . جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي . دار الحضارة الجديدة . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٩٣ .

٢١- الإصابة في تمييز الصحابة . ابن حجر العسقلاني . تحقيق فضيلة الدكتور طه محمد الزيني . الناشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٦ .

٢٢- الأصمعيات . اختيار الأصمعي . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر . القاهرة ، الطبعة الخامسة . سنة ١٩٧٩ .

٢٣- الأصنام . هشام بن محمد بن السائب الكلبي . تحقيق د . محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد . ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . سنة ١٩٩٣ .

٢٤- الأغاني . لأبي الفرج الأصفهاني . دار الثقافة . بيروت . سنة ١٩٥٧ .

٢٥- أمالي ابن الشجري . الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد الدكن . سنة ١٣٤٩ هجرية .

٢٦- الأمالي . لأبي علي القالي . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٢٦ .

٢٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة . القفطي . بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . سنة ١٩٥٢ .

٢٨- الأنساب . السمعاني . بتحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . الناشر محمد أمين دمج . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨١ .

٢٩- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها . ابن الكلبي . تحقيق المرحوم أحمد زكي باشا . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . سنة ١٩٤٦ .

٣٠- الأنواء في مواسم العرب . ابن قتيبة الدينوري . باعتناء م . نظام الدين . حيدر آباد الدكن . الطبعة الأولى . سنة ١٩٥٦ .

٣١- الأنوار ومحاسن الأشعار . لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي . تحقيق صالح مهدي العزاوي . منشورات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية . سنة ١٩٧٦ .

٣٢- الأوائل . أبو هلال العسكري . حققه وعلّق عليه محمد السيد الوكيل . المدينة المنورة . سنة ١٩٦٦ .

٣٣- البخلاء . للخطيب البغدادي . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي . ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٤ .

٣٤- البخلاء . الجاحظ . حقّق نصَّه وعلّق عليه طه الحاجري . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٦٣ .

٣٥- البرصان والعرجان والعميان والحولان . الجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . منشورات وزارة الثقافة والاعلام . الجمهورية العراقية . سنة ١٩٨٢ .

٣٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . السيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية . بيروت . بلا تاريخ .

٣٧- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . السيد محمد شكري الآلوسي البغدادي . عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية . بلا تاريخ .

٣٨- بهجة المجالس وأنس المجالس . يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي . تحقيق محمد مرسي الخولي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٢ .

٣٩- البيان والتبيين . الجاحظ . بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي بمصر . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٠ .

٤٠- تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى الزبيدي . المطبعة الخيرية . مصر سنة ١٣٠٦ للهجرة .

٤١- تاريخ الأدب العربي . د . عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت لبنان . الطبعة السادسة . سنة ١٩٩٢ .

٤٢- تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . نقله إلى العربية د . عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٦١ .

٤٣- تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

٤٤- تاريخ الحكماء . القفطي . باعتناء الدكتور يوليوس لايبرت . لايبزج . سنة ١٩٠٣ .

٤٥- تاريخ الخلفاء . السيوطي . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٦٤ .

٤٦- تاريخ الموسيقى العربية . هنري جورج فارمر . ترجمة د . حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة . سنة ١٩٥٦ .

٤٧- تأويل مختلف الحديث . ابن قتيبة الدينوري . صححه وضبطه محمد زهدي النجار . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . سنة ١٩٦٦ .

٤٨- تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة الدينوري . بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر . دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . سنة ١٩٥٤ .

٤٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك . القاضي عياض . تحقيق الدكتور محمد بن شريفة . المملكة المغربية . وزارة الأوقاف بلا تاريخ .

٥٠- تفسير سورة الاخلاص . ابن تيمية . عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني . الطبعة الأولى .

القاهرة . سنة ١٣٢٣هـ .

٥١- تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . دار الفكر . بيروت سنة ١٩٨٨ .

٥٢- تفسير القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٦٧ .

٥٣- تفسير غريب القرآن . ابن قتيبة الدينوري . بتحقيق السيد أحمد صقر . دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . سنة ١٩٥٨ .

٥٤- تمثال الأمثال . أبو المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبي . حققه وقدّم له الدكتور أسعد ذبيان . دار المسيرة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٢ .

٥٥- التمثيل والمحاضرة . الثعالبي . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو . دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . سنة ١٩٦١ .

٥٦- تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك . السيوطي . دار الندوة الجديدة . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

٥٧- تهذيب الأسماء واللغات . محيي الدين النووي . عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة . بلا تاريخ .

٥٨- تهذيب التهذيب . ابن حجر العسقلاني . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية . الهند . الطبعة الأولى . سنة ١٣٢٥ هجرية .

٥٩- التوراة السامية . ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحق الصوري . نشرها وعرّف بها الدكتور أحمد حجازي السقا . الناشر دار الأنصار . القاهرة . سنة ١٩٧٨ . الطبعة الأولى .

٦٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . الثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٨٥ .

٦١- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام . لأبي زيد القرشي . حققه وعلّق عليه وزاد في شرحه د . محمد علي الهاشمي . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٩ .

٦٢- جمهرة الأمثال . لأبي هلال العسكري . حققه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش . ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٤ .

٦٣- جمهرة أنساب العرب . ابن حزم . تحقيق وتعليق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٦٢ .

٦٤- جمهرة النسب . ابن الكلبي . تحقيق محمد فردوس العظم . دار اليقظة العربية . دمشق . بلا تاريخ .

٦٥- حلية الفرسان وشعار الشجعان . علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي . تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن . دار المعارف مصر . القاهرة . سنة ١٩٥١ .

٦٦- الحماسة . لأبي عبادة البحتري . نقله عن صورة فوتوغرافية للنسخة الأصلية وضبطه وعلّق حواشيه كمال مصطفى . المطبعة الرحمانية . القاهرة . المطبعة الأولى . سنة ١٩٢٩ .

٦٧- الحماسة البصرية . لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري . اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الدكتور مختار الدين أحمد أم - اي - ذي - فل - آكسن . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد

الدكن . الهند . سنة ١٩٦٤ .

٦٨- الحماسة البصرية . تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان . جمهورية مصر العربية . وزارة الأوقاف . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . لجنة احياء التراث الإسلامي . سنة ١٩٧٨ .

٦٩- الحيوان . الجاحظ . بتحقيق وشرح عبد السلام هارون . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٥ .

٧٠- الخيل . أبو عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق د . محمد عبد القادر أحمد . مطبعة النهضة العربية . القاهرة . سنة ١٩٨٦ .

٧١- الخيل ، للأصمعي . تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي . مستلة من مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد . مطبعة الحكومة . بغداد . سنة ١٩٧٠ .

٧٢- خزانة الأدب . عبد القادر البغدادي . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٩ .

٧٣- دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . الأردن وفلسطين . مطبوعات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . عمّان . الأردن .

٧٤- دراسة في كتب ابن قتيبة . د . عبد الله الجبوري . بحث منشور بمجلة آداب الجامعة المستنصرية . بغداد . سنة ١٩٧٧ .

٧٥- الديباج ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق د . عبد الله الجربوع ، ود . عبد الرحمن العثيمين . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩١ .

٧٦- الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب . ابن فرحون المالكي . تحقيق وتعليق د . محمد الأحمدي أبو النور . دار التراث للطبع والنشر . القاهرة . سنة ١٩٧٢ .

٧٧- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٧٦ .

٧٨- ديوان أبي العتاهية . باعتناء كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت . بيروت . سنة ١٩٦٤ .

٧٩- ديوان أبي نواس . تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي . دار الشرق العربي . بيروت . الطبعة الأولى؟ سنة ١٩٩٢ .

٨٠- ديوان الأسود بن يعفر . صنعة د . نوري حمودي القيسي . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . سنة ١٩٦٨ .

٨١- ديوان الأعشى الكبير . ميمون بن قيس . شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . سنة ١٩٦٨ .

٨٢- ديوان امريء القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٥٨ .

٨٣- ديوان جران العود النميري . رواية أبي سعيد السكري . مطبعة دار الكتب المصرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٣١ .

٨٤- ديوان جرير ، باعتناء كرم البستاني . دار صادر للطباعة والنشر . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . سنة ١٩٦٠ .

٨٥- ديوان حاتم الطائي . تحقيق وشرح كرم البستاني . مكتبة صادر . بيروت . سنة ١٩٥٣ .

٨٦- ديوان حسان بن ثابت . حققه وعلّق عليه د . وليد عرفات . دار صادر . بيروت . سنة ١٩٧٤ .

٨٧- ديوان الحطيئة . برواية وشرح ابن السكيت . تحقيق د . نعمان محمد أمين طه . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٧ .

٨٨- ديوان الحماسة لأبي تمام . تحقيق د . عبد المنعم أحمد صالح . منشورات وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . سنة ١٩٨٠ .

٨٩- ديوان حميد بن ثور الهلالي . صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٥١ .

٩٠- ديوان الخريمي . جمعه وحقّقه علي جواد الطاهر ، ومحمد جبار المعيبد . دار الكتاب الجديد . بيروت . لبنان الطبعة الأولى . سنة ١٩٧١ .

٩١- ديوان ذي الرمة . حقّقه وقدّم له وعلّق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح . مؤسسة الايمان . بيروت لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٢ .

٩٢- ديوان الراعي النميري . جمعه وحقّقه راينهرت فايبرت . المعهد الألماني للأبحاث الشرقية . بيروت . سنة ١٩٨٠ .

٩٣- ديوان زيد الخيل الطائي . صنعة د . نوري حمودي القيسي . مطبعة النعمان . النجف الأشرف . بغداد . سنة ١٩٦٨ .

٩٤- ديوان السيد الحميري . جمعه وحقّقه وشرحه شاكر هادي شكر . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . بلا تاريخ .

٩٥- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره . صنعة يحيى بن مدرك . رواية هشام بن محمد الكلبي . دراسة وتحقيق د . عادل سليمان جمال . مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٩٠ .

٩٦- ديوان شعر الخوارج . جمع وتحقيق د . احسان عباس . دار الشروق . بيروت . القاهرة . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٨٢ .

٩٧- ديوان طرفة بن العبد . شرح الأعلم الشنتمري . تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . سنة ١٩٧٥ .

٩٨- ديوان الطرّماح . حقّقه د . عزّة حسن . وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي . دمشق . سنة ١٩٦٨ .

٩٩- ديوان الطفيل الغنوي . تحقيق محمد عبد القادر أحمد . دار الكتاب الجديد . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٨ .

١٠٠- ديوان العباس بن مرداس السلمي . جمعه وحقّقه د . يحيى الجبوري . مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . سنة ١٩٦٨ .

١٠١- ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي . دراسة ، جمع ، تحقيق د . حسن محمد باجودة . مطبعة السنة المحمدية . القاهرة . سنة ١٩٧٢ .

١٠٢- ديوان العجّاج . رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه . عني بتحقيقه د . عزة حسن . مكتبة

دار الشرق . شارع سوريا . بيروت . سنة ١٩٧١ .

١٠٣- ديوان عدي بن زيد العبادي . حقّقه وجمعه محمد جبار المعيبد . وزارة الثقافة والارشاد . بغداد . سنة ١٩٦٥ .

١٠٤- ديوان العرجي . شرحه وحقّقه خضر الطائي ورشيد العبيدي . الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة . بغداد . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ .

١٠٥- ديوان عروة بن الورد . شرح ابن السكيت . حقّقه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي . وزارة الثقافة . دمشق . بلا تاريخ .

١٠٦- ديوان الفرزدق . دار صادر . دار بيروت . بيروت . سنة ١٩٦٠ .

١٠٧- ديوان القطامي . باعتناء جي . بارث . بريل . لايدن . سنة ١٩٠٢ .

١٠٨- ديوان كثيّر عزّة . جمعه وشرحه د . احسان عباس . نشر وتوزيع دار الثقافة . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧١ .

١٠٩- ديوان المزرّد بن ضرار الغطفاني . عني بتحقيقه خليل إبراهيم العطية . مطبعة أسعد . بغداد . سنة ١٩٦٢ .

١١٠- ديوان مسكين الدارمي . جمعه وحقّقه عبد الله الجبوري وخليل العطية . مطبعة دار البصري . بغداد . سنة ١٩٧٠ .

١١١- ديوان المعاني . لأبي هلال العسكري . عالم الكتب . بلا تاريخ .

١١٢- ديوان النابغة الذبياني . جمعه وشرحه وكمّله وعلّق عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . الشركة التونسية للتوزيع . سنة ١٩٧٦ .

١١٣- رسائل البلغاء . محمد كرد علي . لجنة التأليف والترجمة والنشر . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٤٦ .

١١٤- رسائل الجاحظ . بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة . سنة ١٩٦٤ .

١١٥- رسالة الصداقة والصديق . لأبي حيان التوحيدي . عني بتحقيقها والتعليق عليها د . إبراهيم الكيلاني . دار الفكر بدمشق . سنة ١٩٦٤ .

١١٦- رفع الإصر عن قضاة مصر . ابن حجر العسقلاني . بتحقيق د . حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة . المطبعة الأميرية . القاهرة . سنة ١٩٥٧ .

١١٧- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات . الخوانساري تحقيق أسد الله إسماعيليان . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١١٨- زاد المعاد في هدى خير العباد . لابن قيّم الجوزية . دار الفرقان . عمّان . الأردن . بلا تاريخ .

١١٩- زهر الآداب وثمر الألباب . الحصري القيرواني . عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي . دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . الطبعة الأولى . القاهرة . سنة ١٩٥٣ .

١٢٠- سرح العيون في رسالة ابن زيدون . جمال الدين بن نباتة المصري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

الناشر دار الفكر العربي . القاهرة . سنة ١٩٦٤ .

١٢١- سلم الخاسر . د . نايف معروف . بلا ذكر لمكان الطبع وتاريخه .

١٢٢- سمط اللآلي . البكري . نسخه وصححّه وحقّق ما فيه وخرّجه عبد العزيز الميمني . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة سنة ١٩٣٦ .

١٢٣- سنن ابن ماجه . حقّق نصوصه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء التراث العربي . سنة ١٩٧٥ .

١٢٤- سنن أبي داود . إعداد وتعليق عزّت عبيد الدعاس وعادل السيد . دار الحديث للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الأولى؟ سنة ١٩٧٤ .

١٢٥- سنن الترمذي . تحقيق كمال يوسف الحوت . دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ .

١٢٦- سنن الدارمي . طبع بعناية محمد أحمد دهمان . نشرته دار احياء السنة النبوية . بلا تاريخ ومكان الطبع .

١٢٧- سير أعلام النبلاء . الذهبي . أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٣ .

١٢٨- السيرة النبوية . ابن هشام . حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا . إبراهيم الأبياري . عبد الحفيظ شلبي . منشورات دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٢٩- شرح أشعار الهذليين . صنعة السكري . حقّقه عبد الستار أحمد فراج . راجعه محمود محمد شاكر . مكتبة دار العروبة . بلا تاريخ .

١٣٠- شرح ديوان أبي تمام . ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى؟ سنة ١٩٨٧ .

١٣١- شرح ديوان أميّة بن أبي الصلت . قدّم له وعلّق حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٣٢- شرح ديوان الحماسة . الخطيب التبريزي . حقّقه وضبط غريبه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي . القاهرة . سنة ١٩٣٨ .

١٣٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . صنعة الإمام أبي العباس ثعلب . باعتناء أحمد زكي العدوي . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٦٤ .

١٣٤- شرح ديوان كعب بن زهير . صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٥٠ .

١٣٥- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . حقّقه وقدّم له د . احسان عباس . وزارة الارشاد والأنباء في الكويت . الكويت . سنة ١٩٦٢ .

١٣٦- شرح نقائض جرير والفرزدق . لأبي عبيدة . تحقيق د . محمد حور . ود . وليد محمود خالص . مطبوعات المجمع الثقافي . أبوظبي . سنة ١٩٩٤ .

١٣٧- شرح نهج البلاغة . ابن أبي الحديد . بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الجيل . بيروت . الطبعة

الأولى . سنة ١٩٨٧ .

١٣٨- شعر أبي زبيد الطائي . جمعه وحقّقه د . نوري حمودي القيسي . مطبعة المعارف . بغداد . سنة ١٩٦٧ .

١٣٩- شعر الأحوص الأنصاري . جمعه وحقّقه عادل سليمان جمال . مكتبة الخانجي . القاهرة . مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٩٠ .

١٤٠- شعر الأخطل . صنعة السكري . تحقيق د . فخر الدين قباوة . دار الأصمعي . حلب . سنة ١٩٧٠ .

١٤١- شعر بني تميم في العصر الجاهلي . جمع وتحقيق د . عبد الحميد محمود المعيني . من منشورات نادي القصيم الأدبي . بريدة . المملكة العربية السعودية . سنة ١٩٨٢ .

١٤٢- شعر دعبل بن علي الخزاعي . صنعة د . عبدالكريم الأشتر . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٣ .

١٤٣- شعر زياد الأعجم . جمع وتحقيق ودراسة د . يوسف حسين بكار . وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق سنة ١٩٨٣ .

١٤٤- شعر طريح بن إسماعيل الثقفي . دراسة وجمع وتحقيق د . بدر أحمد ضيف . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . سنة ١٩٨٧ .

١٤٥- شعر طيىء وأخبارها في الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق ودراسة د . وفاء فهمي السنديوني . دار العلوم للطباعة والنشر . الرياض . المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٣ .

١٤٦- شعر عبدة بن الطبيب . د . يحيى الجبوري . دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع . بغداد . سنة ١٩٧١ .

١٤٧- شعر علي بن جبلة الملقّب بالعكّوك . جمعه وحقّقه وقدّم له د . حسين عطوان . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٧٢ .

١٤٨- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي . جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٥ .

١٤٩- شعر الكميت بن زيد الأسدي جمع وتقديم د . داود سلوم . مطبعة النعمان . النجف . مكتبة الأندلس . بغداد . سنة ١٩٦٩ .

١٥٠- شعر النابغة الجعدي . باعتناء عبد العزيز رباح . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر . بيروت . دمشق . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٤ .

١٥١- شعر النعمان بن بشير الأنصاري . حقّقه وقدّم له د . يحيى الجبوري . مطبعة المعارف . بغداد . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٨ .

١٥٢- الشعر والشعراء . ابن قتيبة الدينوري . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٢ .

١٥٣- شعراء مقلّون . د . حاتم الضامن . عالم الكتب . مكتبة النهضة المصرية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٧ .

١٥٤- الشعوبية والأدب . د . خليل جفال . منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .

١٥٥- صحيح البخاري . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى؟ سنة ١٩٩٢ .

١٥٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته . محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي . بيروت . دمشق . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٢ .

١٥٧- صحيح مسلم بشرح النووي . دار احياء التراث العربي . بيروت لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٢٩ .

١٥٨- الطبقات الكبرى . ابن سعد . تقديم . د . احسان عباس . دار صادر . بيروت . بلا تاريخ .

١٥٩- عبد الله بن المبارك المروزي . د . عبد المجيد المحتسب . من منشورات وزارة الأوقاف . عمّان . الأردن . سنة ١٩٧٢ .

١٦٠- عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقّى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء . دراسة وإعداد د . احسان عباس . دار الشروق . عمّان . الأردن . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٨ .

١٦١- العثمانية . الجاحظ . بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . مطابع دار الكتاب العربي . القاهرة . سنة ١٩٥٥ .

١٦٢- العقد الفريد . ابن عبد ربّه الأندلسي . شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته ورتّب فهارسه أحمد أمين . أحمد الزين . إبراهيم الإبياري . دار الكتاب العربي سنة ١٩٨٣ . نسخة مصوّرة عن الطبعة المصرية . سنة ١٩٤٠ .

١٦٣- العمدة في محاسن الشعر . ابن رشيق القيرواني . حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٦٣ .

١٦٤- عهد أردشير . حقّقه وقدّم له د . احسان عباس . دار صادر . بيروت . سنة ١٩٦٧ .

١٦٥- عيون الأخبار . ابن قتيبة الدينوري . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية . باعتناء أحمد زكي العدوي . القاهرة . بلا تاريخ .

١٦٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ابن أبي أصيبعة . شرح وتحقيق د . نزار رضا . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . سنة ١٩٦٥ .

١٦٧- غريب الحديث . ابن قتيبة الدينوري . تحقيق ودراسة ألسنية د . رضا السويسي . الدار التونسية للنشر . تونس . سنة ١٩٧٩ .

١٦٨- غريب الحديث . ابن قتيبة الدينوري . تحقيق د . عبد الله الجبوري . الجمهورية العراقية . وزارة الأوقاف . الطبعة الأولى . بغداد . سنة ١٩٧٧ .

١٦٩- الفاخر . المفضّل بن سلمة بن عاصم . تحقيق عبد العليم الطحاوي . مراجعة محمد علي النجار . دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . وزارة الثقافة والارشاد القومي . الجمهورية العربية المتحدة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٠ .

١٧٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري . العسقلاني . رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ .

١٧١- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال . لأبي عبيد البكري . حقّقه وقدّم له د . احسان عباس ود . عبد المجيد عابدين . دار الأمانة . مؤسسة الرسالة . بيروت . سنة ١٩٨١ .

١٧٢- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ . لأبي العلاء المعري . ضبطه وفسّر غريبه محمود حسن زناتي . المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت . بلا تاريخ .

١٧٣- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية شهر مايو سنة ١٩٢٦ . الطبعة الأولى . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . سنة ١٩٢٧ .

١٧٤- الفهرست . ابن النديم . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان . بلا تاريخ .

١٧٥- القرطين ، لابن مطرف الكناني . مكتبة الخانجي . الطبعة الأولى . القاهرة . سنة ١٣٥٥ هجرية .

١٧٦- الكامل . المبرد . حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه د . محمد أحمد الدالي . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٩٣ .

١٧٧- الكتاب . سيبويه . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٧ .

١٧٨- كتاب الأمثال ، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم . حقّقه وعلّق عليه وقدّم له د . عبد المجيد قطامش . جامعة الملك عبد العزيز . المملكة العربية السعودية . دار المأمون للتراث . دمشق . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٠ .

١٧٩- كتاب النخلة . لأبي حاتم السجستاني . تحقيق د . حاتم الضامن . منشور ضمن كتاب [نصوص محقّقة في اللغة والنحو] . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . جامعة بغداد . مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر . بغداد . سنة ١٩٩٠ .

١٨٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة . دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . سنة ١٩٨٢ .

١٨١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . علاء الدين الهندي . ضبطه وفسّر غريبه الشيخ بكر حياني . مؤسسة الرسالة . بيروت . دمشق . سنة ١٩٧٩ .

١٨٢- لسان العرب . ابن منظور الأفريقي . دار صادر . بيروت . بلا تاريخ .

١٨٣- مجالس ثعلب . لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٤٨ .

١٨٤- مجلسة المقتبس . لمنشئها محمد كرد علي .

١٨٥- مجمع الأمثال . الميداني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الجيل . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٧ .

١٨٦- المحاسن والمساويء . البيهقي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة نهضة مصر . القاهرة . سنة ١٩٦١ .

١٨٧- المحبَّر . محمد بن حبيب . اعتنت بتصحيح هذا الكتاب الدكتورة ايلزة ليختن شتّير . منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . نسخة مصوّرة عن طبعة حيدر آباد الدكن . سنة ١٣٦١

هجرية .

١٨٨- المختار من شعر بشار . اختيار الخالديين وشرحه لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي . اعتنى بنسخه وتصحيحه السيد محمد بدر الدين العلوي . مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر . سنة ١٩٣٤ .

١٨٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان . اليافعي . الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيد آباد الدكن . سنة ١٣٣٨هـ .

١٩٠- مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية . القاضي سعدي أبو جيب . دار لسان العرب . لبنان . سنة ١٩٧٢ .

١٩١- المستقصى في أمثال العرب . الزمخشري . حيد آباد الدكن . من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية . الهند . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٢ .

١٩٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت .

١٩٣- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . د . ناصر الدين الأسد . دار الجيل . بيروت . الطبعة السابعة . سنة ١٩٨٨ .

١٩٤- المصون في الأدب . الحسن بن عبد الله العسكري . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الناشر مكتبة الخانجي . دار الرفاعي . الرياض . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٢ .

١٩٥- مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب . استخراج محمد بن حسين بن عمر اليمني . تحقيق د . محمد يوسف نجم . دار الثقافة . بيروت . سنة ١٩٦١ .

١٩٦- معاهد التنصيص على شواهد التخليص . عبد الرحيم العباسي . حقّقه وعلّق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . القاهرة . سنة ١٩٤٧ .

١٩٧- معاني أبيات الحماسة . لأبي عبد الله النمَّري . تحقيق د . عبد الله عبد الرحيم عسيلان . مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٣ .

١٩٨- المعاني الكبير . ابن قتيبة الدينوري . باعتناء عبد الرحمن بن يحيى اليماني . حيد آباد الدكن . الطبعة الأولى . سنة ١٩٤٩ .

١٩٩- معجم الأدباء . ياقوت الحموي . تحقيق د . احسان عباس . دار الغرب الإسلامي . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩٣ .

٢٠٠- معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة . السيد ادّي شير . مكتبة لبنان . بيروت . سنة ١٩٩٠ .

٢٠١- معجم البلدان . ياقوت الحموي . تحقيق فريد عبد العزيز الجندي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩٠ .

٢٠٢- المعجم الذهبي . د . محمد التونجي . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٩ .

٢٠٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . البكري الأندلسي . حقَّقه وضبطه مصطفى السقا . الطبعة الثالثة . عالم الكتب . بيروت . سنة ١٩٨٣ .

٢٠٤- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . لأبي منصور الجواليقي . بتحقيق وشرح أحمد

محمد شاكر . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٣٦١هـ .

٢٠٥- المعمّرون والوصايا . لأبي حاتم السجستاني . تحقيق عبد المنعم عامر . عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . سنة ١٩٦١ .

٢٠٦- مفاتيح العلوم . الخوارزمي . تحقيق ودراسة نهى النجار . دار الفكر اللبناني . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩٣ .

٢٠٧- المفصَّل في الألفاظ الفارسية المعرَّبة . وضعه وأيّده بشواهده العربية د . صلاح الدين المنجد . مطبوعات بنياد فرهنك . إيران . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ .

٢٠٨- المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام . د . جواد علي . دار العلم للملايين . بيروت . مكتبة النهضة . بغداد . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٨ .

٢٠٩- مكارم الأخلاق . الطبرسي . صحّحه وعلّق عليه علاء الدين العلوي الطالقاني . من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . طبع بمطابع النجف . بلا تاريخ .

٢١٠- المؤتلف والمختلف . الآمدي . تصحيح الأستاذ الدكتور ف . كرنكو . عنيت بنشره للطبعة الأولى مكتبة القدسي . الطبعة الثانية مصوّرة عنها بدار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . سنة ١٩٨٢ .

٢١١- الموضوعات . ابن الجوزي . خرَّج آياته وأحاديثه توفيق حمدان . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩٥ .

٢١٢- الميسر والقداح . ابن قتيبة الدينوري . نسخه وصحّحه وعلّق عليه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب . عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة . سنة ١٣٤٢هـ .

٢١٣- نثر الدرّ ، للوزير الكاتب أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي . تحقيق محمد علي قرنة . مراجعة علي محمد البجاوي . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

٢١٤- نهاية الأرب في فنون الأدب . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . سنة ١٩٢٤ .

٢١٥- نوادر المخطوطات . المجموعة الثالثة . بتحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٥٣ .

٢١٦- النوادر في اللغة ، لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري . تحقيق ودراسة د . محمد عبد القادر أحمد . دار الشروق . بيروت . القاهرة . سنة ١٩٨١ .

٢١٧- نور القبس المختصر من المقتبس . الحافظ اليغموري . عني بتحقيقه رودلف زلهايم . دار النشر فرانتس شتايز . فسبادن . سنة ١٩٦٤ .

٢١٨- الوافي بالوفيات . صلاح الدين الصفدي . باعتناء دوروتيا كرافولسكي . يطلب من دار النشر فرانز - شتاينر - شتوتغارت . ألمانيا . الطبعة الثانية . سنة ١٩٩١ .

٢١٩- الوزراء والكتّاب . الجهشياري . حقّقه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٣٨ .

٢٢٠- الوسيط في الأمثال . الواحدي . تحقيق د . عفيف محمد عبد الرحمن . مؤسسة دار الكتب الثقافية .

الكويت . سنة ١٩٧٥ .

٢٢١- وفيات الأعيان . ابن خلكان . حقّقه وعلّق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٤٨ .

٢٢٢- وقعة صفين . نصر بن مزاحم المنقري . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٣٦٥هـ .

٢٢٣- الولاة والقضاة . محمد بن يوسف الكندي . مهذّباً ومصحّحاً بقلم رفن كست . طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت . سنة ١٩٠٨ .

هذا الكتاب

تعدّ مصنفات ابن قتيبة الدينوري وكتبه من أعلاق تراثنا العربي الزاهر ونفائسه ،ويأتي كتاب (فضل العرب والتنبيه على علومها) إضافة جديدة هامة إلى تلك الكتب بعد أن ظلَّ منسيّاً مدةً طويلةً لا يعرف القرّاءُ منه سوى قطعة من الجزء الأول نُشرت في كتاب (رسائل البلغاء) . وها هو يصدر كاملاً محققاً تحقيقاً علمياً مزوداً بالفهارس ليكشفَ جانباً من جهاد ابن قتيبة الفكري في التصدي للشعوبية ، ومَنْ سعى إلى التنقّص من العربِ ، وبَخْسِهم فَضْلَهم ، ويضيفُ إلى هذا الموضوع مصدراً أصيلاً لا غنى للدارسين عنه ، وحسبُ هذا الكتاب أن خطّه يراعُ ابن قتيبة ليحتلَّ هذه المكانةَ العاليةَ التي احتلتها كتب أخرى له سبقته مثل الشعر والشعراء ، وأدب الكاتب ، وتأويل مشكل القرآن وغيرها ، فهو ينضمّ إلى إخوة له أثْرَتْ التراثَ العربيَّ بالفكرِ النيّرِ ، والمنهجِ المستقيم .

